مجلة إسلامية شهرية جامعة

البيان

AL BAYAN

السنة الخامسة والعشرون . العدد ٢٧٥ . رجب ١٤٣١ هـ . يونيو/ يوليو ٢٠١٠ م

يؤمنون بالشريعة إلا قليلا ...

حوار مع : الشيخ حارث الضاري

الرقابة على المال

أوروبا بين عقدتين

فلسطين... مأزق شعب وقضية أم سلطة ومقاومة ؟

الرسوم المتحركة وأثرها في قيم الطفل

سعر العدد: السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . مصر ٥ جنيهات . المغرب ١٢ درهماً . قطر ١٠ ريالات . اليمن ١٥٠ ريالاً . السودان ٣٠٠ دينار . سلطنة عُمان ٨٠٠ بيزة . الأردن ٧٥ فلسً . الإمارات العربية ١٠ دراهم . البحرين دينار

الرياض	الخرج 5440306	البديعة 4491908	عنيزة 3653320
الروضة 2080442	الدمام 8418590	البديعة ٢ 4268812	الدوادمي 6442636
العثيم "الريان" 4930013	الإحساء 5314922	الشفا 2984706	الرس 3381666
العليا ٣٠ 2935395	الحفر 7294343	حي التعاون 4943155	الرس مول 3391515
الملك عبد الله 2050363	بريدة 3265340	حي الروابي 8105684	حائل 5341666

جهينة شعارنا الجديد

جهينة حليب - لبن - تمور

مستشفى أبها الخاص
ABHA PRIVATE HOSPITAL

توفير عناء السفر إلى الخارج

وحدات متخصصة في خدمتكم

- وحدة طب وجراحة المخ والأعصاب
- وحدة جراحة العظام والعمود الفقري
- وحدة جراحة التجميل وشفط الدهون
- وحدة جراحة الكلى والمسالك البولية
- وحدة الجراحة العامة والمناظير
- وحدة الأنف والأذن والحنجرة
- وحدة الأمراض الباطنية والمناظير
- وحدة طب وجراحة العيون
- وحدة النساء والولادة
- وحدة الأطفال وحديثي الولادة
- وحدة جراحة الأطفال
- وحدة الجلدية والتناسلية
- وحدة الأمراض الصدرية
- وحدة العلاج الطبيعي والتأهيل
- وحدة أمراض الكلى
- وحدة السمنة والسكري
- وحدة الطب النفسي
- وحدة أمراض القلب والشرايين
- وحدة علاج الروماتيزم والمفاصل
- وحدة طب وجراحة الأسنان
- وحدة العناية المركزة
- وحدة أمراض الشرج والمستقيم

جهاز الليزر الأخضر KTP
لإستئصال تضخم البروستاتا

جهاز الموجات الصوتية
رباعي الأبعاد

أحدث أجهزة الأمراض الجلدية

جهاز ديناميكية التبول

جهاز ديكسا DEXA لقياس هشاشة العظام

جهاز قياس جهد القلب

جهاز الأشعه تحت الحمراء لعلاج البواسير

وحدة الطوارئ واستقبال الحوادث والأشعة التشخيصية والمختبرات الطبية
على مدار ٢٤ ساعة

www.aph.med.sa

أبها – شمال الخطوط السعودية هاتف : ٢٢٩٢٢٢٢ فاكس : ٢٢٤٤٨٠١ ص ب : ١٧٩٤

ولا أسهل!

الآن .. منتجات دواجن الوطنية أصبحت أكثر تنوعاً وأكثر سهولة لتناسب كافة الأذواق، لتكون اختيار الأم الحقيقي

حب الأم الحقيقي.. متنوع حقيقي

AL-WATANIA POULTRY
دواجن الوطنية
غذاؤكم ترعاه أيد أمينة

HACCP CERTIFIED SQF 2000 01883

SYSTEM CERTIFICATION HACCP SGS
أعلى المقاييس الدولية للغذاء

MOODY INTERNATIONAL CERTIFICATION UKAS QUALITY MANAGEMENT 016
ISO 9001-2000 REGISTERED COMPANY

إنتاج المملكة العربية السعودية • الرقم المجاني ٨٠٠١٢٤٤٦٦٦ • www.al-watania.com

للنشر والتوزيع

دار التدمرية

الجديد والمخفض دائماً

صدر حديثاً

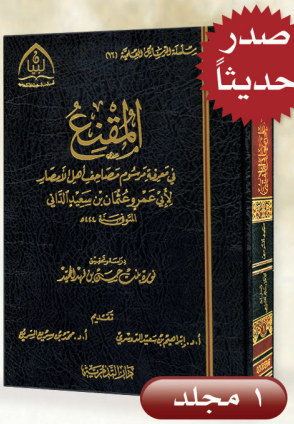

صدر حديثاً

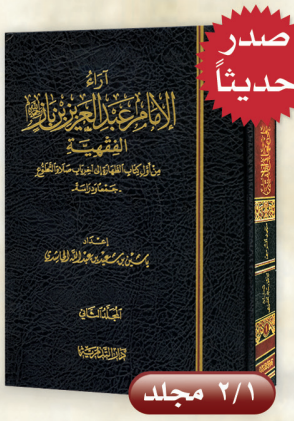

صدر حديثاً

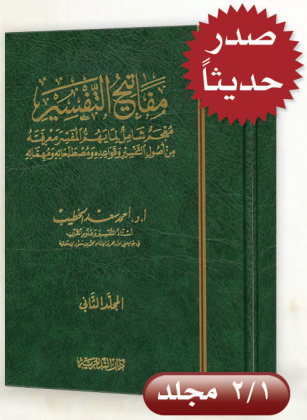

صدر حديثاً

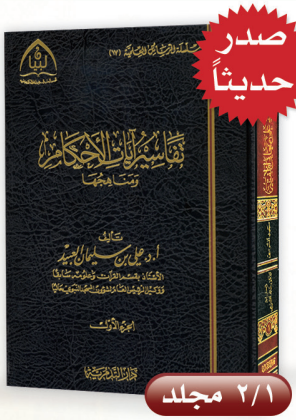

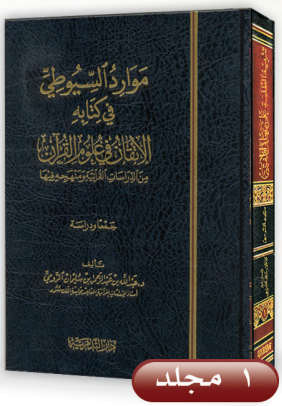

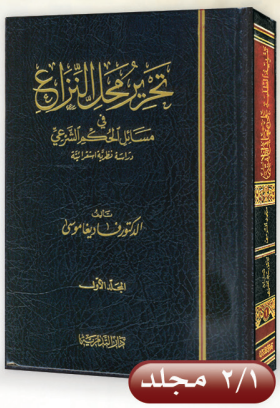

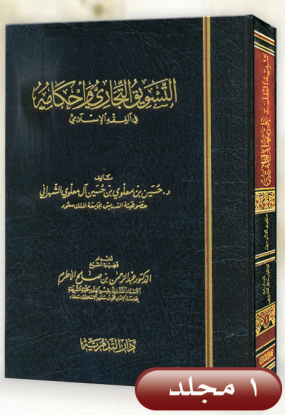

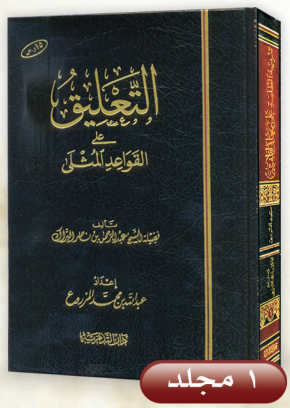

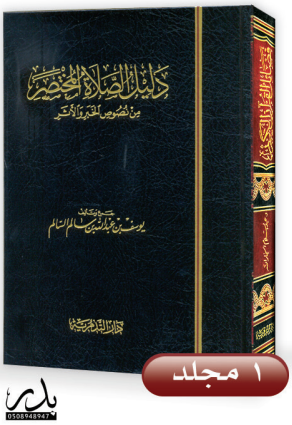

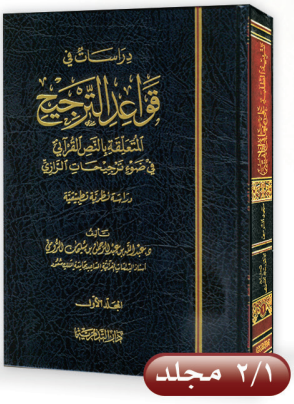

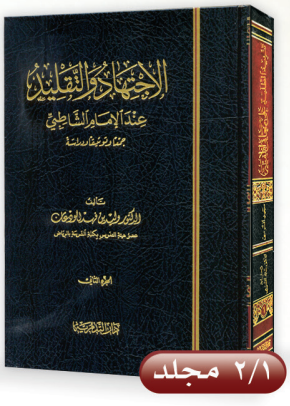

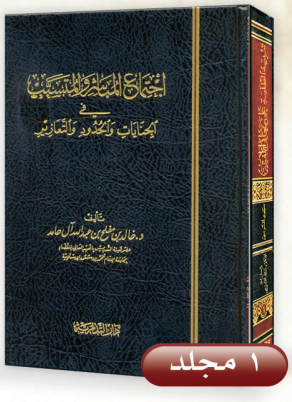

tadmoria@hotmail.com

الرياض - الدائري الشرقي - جنوب مخرج ١٥ مقابل جامع الراجحي

الجديد هاتف : ٤٩٢٤٧٠٦/٤٩٢٥١٩٢ فاكس : ٤٩٣٧١٣٠ بريدة - طريق الشاحنات - حي الصفرا - هاتف ٣٢٦٢٢٦٢

مجلة البيان
إسلامية . شهرية . جامعة

خدمة العملاء

السعودية

ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦.

هاتف خدمة العملاء مباشر: ٢٢٥١٩٦٧

هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

للمراسلات عبر البريد الإلكتروني

التحرير

editors@albayan.co.uk

خدمة العملاء

sub@albayan.co.uk

التسويق

sales@albayan.co.uk

الموزعون

الأردن: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٢٧٧٣٣.

الإمارات العربية المتحدة : شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩ هاتف : ٣٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦٦١٢٦ .

سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠ .

البحرين: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ **المنامة:** ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.

السعودية : الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.

السودان: الخرطوم، مكتب المجلة ٨٣٢١٢١٨٣.

قطر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ – ٤٥٥٧٨١١ – ٤٥٥٧٨١٢ – فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.

الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع، ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩.

المغرب: سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٢٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.

اليمن: دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء : ص.ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ ـ فاكس: ٤٠٥١٣٥

رئيس التحرير

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

alsowayan@albayan.co.uk

مدير التحرير

د. عبد الله بن سليمان الفراج

هيئة التحرير

أحمد بن عبد العزيز العامر

د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

د. يوسف بن صالح الصغير

فهد بن صالح العجلان

أحمد بن عبد المحسن العساف

فيصل بن علي أحمد الكاملي

سكرتير التحرير

إسلام السيد علي

الإخراج الفني

خالد حسن عمارة

عنوان المجلة على الشبكة العالمية

www.albayan-magazine.com

الحسابات

السعودية: مصرف الراجحي **آي بان:** SA١٣٨٠٠٠٠٢٩٦٦٠٨٠١٠٠٢١٠٠٧

الاشتراكات

السعودية ودول الخليج	١٢٠ ريال سعودي
بريطانيا وايرلندا	٤٧ يورو
أوروبا	٥٥ يورو
البلاد العربية وإفريقيا	٤٥ يورو
أمريكا وبقية دول العالم	٥٥ يورو
المؤسسات الرسمية	٦٠ يورو

الافتتاحية

٦ **أوروبا بين عُقْدَتين!** التحرير

العقيدة والشريعة

٨ **عنيف القول ولطيفه تجاه السلف**
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

١٢ **خذوا زينتكم... لا يفتننكم الشيطان**
د. عبد الوهاب بن لطف الديلمي

١٦ **إن هو إلا وحيٌ يوحى**
عماد الصامت

قضايا دعوية

٢٢ **حُسْنُ الخلق** محمد أكجيم

قضايا تربوية

٢٦ **﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾**
د. هشام عبد القادر عقدة

٣٠ **الرسوم المتحركة وأثرها في عقيدة الطفل المسلم وقيمه** عبد اللطيف خروبة

النجاح: إدارة

٣٤ **اعملوا الخير ولو في الصين!**
إبراهيم بن سليمان الحيدري

معركة النَّص

٣٦ **يؤمنون بالشريعة... إلا قليلاً!**
فهد بن صالح العجلان

حوار

٣٨ **البيان في حوار خاص مع الشيخ الدكتور حارث الضاري** حارث الأزدي

المسلمون والعالم

٤٤ **فلسطين... مأزق شعب وقضية أم سلطة ومقاومة؟** عصام زيدان

٤٨ **متى نرى مسؤولاً عربياً في غزة؟**
السنوسي محمد السنوسي

٥٠ **حلف الناتو والبحث عن دور إستراتيجي جديد**
هشام منور

٥٢ **قَتَلَة الأنبياء** د. يوسف بن صالح الصغير

٥٤ «ماذا لو...؟» إستراتيجيةُ رَدْعٍ جديدةٌ
أحمد فهمي
٥٥ مفاوضات في ظلال المستعمرات والتنازلات!
محمد العبد الله
٥٦ المسلمون في بولندا... الواقع والمأمول
السيد محمد المسيري
٦٠ مرصد الأحداث جلال الشايب

نص شعري

٥٦ طَيْبَةَ الطِّيبَة تامر إسماعيل محمد حميدي

عين على العدو

٦٦ لماذا يستعدي الكيان الصهيوني دول العالم، ويفقد الأصدقاء؟ د. عدنان أبو عامر

متابعات

٦٨ قراءة في ظاهرة التطاول على «الثوابت»
صلاح بن فتحي هَلَل

اقتصاد

٧٢ نظام الرقابة على المال العام في الاقتصاد الإسلامي نور الدين بوكروديد الجزائري

خاطرة أدبية

٧٨ اللغة العربية لغةُ كلِّ العصور
إبراهيم علي

في دائرة الضوء

٨٠ ثقافة المقاومة عند المحدث الدكتور نزار ريان (رحمه الله) يوسف علي فرحات

قراءة

٨٦ «دفتر سراييفو» لخوان غويتيسولو كاتب إسباني يفضح مؤامرة الصمت وتهافت المثقفين هشام الشاوي

الباب المفتوح

٩٠ تربيتنا أمام تحدي التعليم بالصورة البصرية
عبد المجيد العابد

الورقة الأخيرة

٩٤ في مدرسة الإمام القرطبي التحذير من أوهام تَعُوقُ عن عمل الخير
عبد العزيز بن صالح العسكر

[كلمة صغيرة]

جريمة فوق القانون!

الحصار... جريمة.

وتجويع الكبار والصغار، والرجال والنساء... جريمة.

ومَنْعُ الأدوية، والأغذية، وحليب الأطفال... جريمة.

وإهلاك الحرث والنسل، وتشريد الآمنين... جريمة.

لقد مضى أربع سنوات من الجرائم المتتابعة، والقتل البطيء الذي يمارسه العدو الصهيوني على أهلنا المحاصرين في غزة أمام سَمْع العالم وبَصَرِه؛ ومع ذلك لا يجرؤ أحد على الكلام!

ثم تأتي الفاجعة في ممارسة الكيان الصهيوني القرصنةَ البحرية ضد قافلة (الحرية)؛ ليمنع الطعام والمساعدات الطبية والإغاثية عن أهالي غزة.

وعلى الرغم من هذا التطاول الإرهابي المستفِز على المدنيين العزَّل من أعضاء القافلة، وسقوط عدد منهم قتلى وجرحى، والاستهانة بكل ما يسمونه: الأعراف والقوانين الدولية... على الرغم من ذلك كلِّه فالعالم كله يقول: (إسرائيل) فوق القانون!

والغريب كل الغرابة أن بعضهم لا زال يتحدث عن السلام، وعن المفاوضات المباشرة وغير المباشرة... فأي حضيض هذا الذي وصل إليه القوم؟

لقد أدركت الشعوب أنَّ الحرية لا تُستَجْدَى، وأن الاستكبار والشجب لن يغير من الواقع شيئاً، وأن شعارات الغرب: (حقوق الإنسان، والحرية، والعدالة،) شعارات نفعية تُسوِّق الأكاذيب والدجل الإعلامي؛ ولهذا بدأت تتحرك لكسر هذا الطوق الصهيوني الجائر، ولن يعوقها هذا الإرهاب الصهيوني المفرط، بل سيزيدها إصراراً وتعاطفاً.

وهذه تحيَّة إجلالٍ ومحبةٍ نرفعها لإخواننا الصامدين في أرض الرباط، ونقول لهم: لا يضرنَّكم مخالفة المخالفين أو تخذيل المرجفين، أو جبروت الظالمين؛ فاللَّه - تعالى - معكم: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

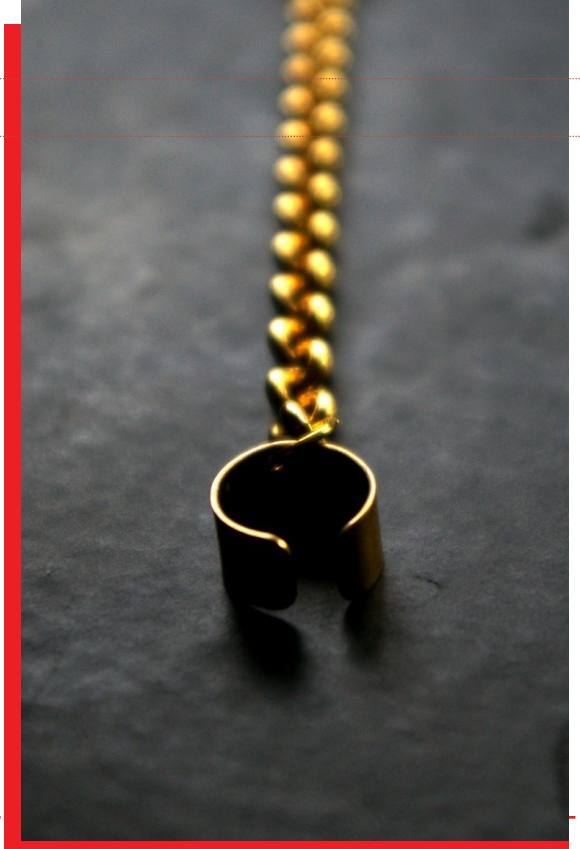

أوروبا بين عُقْدَتَين!

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، وبعد:

فإن الخوف من الإسلام ظاهرة قديمة في أوروبا، كانت بارزة عند بعض المنظمات والأحزاب اليمينية المتطرفة خصوصاً، ومع صعود هذه الأحزاب والمنظمات وتناميها تحوَّل الخوف (أو التخويف) من الإسلام إلى شعارٍ انتخابيٍّ، ثم ازداد انعكاس هذه الظاهرة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م على الخطاب الإعلامي؛ فقد شنَّ الإعلام حملةً محمومةً للتخويف من الإسلام والمسلمين، والهجوم على النبي ﷺ والقرآن الكريم، مستثمراً المناخ العالمي لـ (الحرب على الإرهاب).

ثم تنامت هذه الظاهرة حتى برزت في تصريحات بعض الساسة وقادة الرأي والفكر؛ فقد ذكر المستشار الألماني السابق: أنه لن يُسمَحَ للإسلام بتهديد الحضارة الأوروبية، واتهم بيرلسكوني (رئيس الوزراء الإيطالي السابق) دين الإسلام بأنه دين متخلِّف، وأخيراً وليس آخراً يأتي الرئيس الفرنسي ساركوزي ويشن هجوماً على الحجاب ثم النقاب، ويصفه بالظلامية وانتهاك حقوق المرأة، وعدَّه علامةَ استعبادٍ لها... ونظائر هذه التصريحات تتصاعد يوماً بعد يوم.

وانتقل تسويق الخوف من الإسلام إلى رجل الشارع الأوروبي حين زَجَّ به السياسيون والإعلاميون ليشارك في التصويت حول بعض الظواهر الإسلامية؛ ليتشكل رأيٌ عامٌّ أوروبي متشنج يبذر الكراهية والعداء إزاء كلِّ ما هو إسلامي، حتى أصبحت المحجبة - كما تقول الكاتبة الألمانية (باربرا جون) -: (هي الهدف الأساسي للهجوم، لقد خُلِقَت منها صورة تقليدية للعدو؛ فالرسالة السياسية المنتشرة تقول بأن غطاء الرأس يعد إعلاناً عسكرياً للحرب على المجتمع)[1].

ثم بلغ الهجوم على الإسلام ذروته عند تحوُّله من الحملات الإعلامية والتصريحات السياسية إلى سَنِّ الأنظمة والتشريعات التي تستهدف المسلمين وتصادر حرياتهم.

إنها ليست حرباً على النقاب أو المآذن أو اللحم الحلال وحسب، بل هي حرب فكرية شاملة (أو كما تسميها صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية: حرباً ثقافية) تستهدف الوجود الحضاري والفكري للمسلمين في أوروبا؛ فالحرب على الحجاب هي المدخل الأوروبي للحرب على الهوية الإسلامية بكل مكوناتها العقدية والأخلاقية والثقافية، وصدق المولى - جل وعلا - إذ يقول: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

إن هذه الحرب تدل دلالة جلية على غطرسة أوروبا، وعقليتها الاستعمارية، وعنصريتها المتأصلة من جهة، كما تدل على ضعفها وتهاوي بنيانها من جهة أخرى؛ وإلا فأيُّ تهديد ستحدثه مآذن سويسرا؟ وأيُّ خطر سينتج عن النقاب؟

لقد أدركت صحيفة الهيرالد تريبون أن مشكلة أوروبا في الحقيقة ليست في الحجاب؛ إذ ترى أن (الدافع الحقيقي وراء الاعتراض على

(١) من مقال لها نشرته صحيفة «تاغستسايتونغ» بتاريخ: ٢٧/ ٢/ ٢٠٠٤م، ترجمة أحمد فاروق.

ارتداء الحجاب، هو الاستياء من عدد المسلمين المتزايد في أوروبا).

لقد عاشت أوروبا بين عقدتين أصبحتا تشكلان العقلية الأوروبية في موقفها من الحجاب:

العقدة الأولى: عقدة الكبت الكَنَسي الصارم المخالف للفطرة السوية، التي انفجرت على هيئة فضائح أخلاقية، وشذوذٍ جنسي، واعتداءٍ مهين من بعض رجال الكنيسة على الأطفال، واغتصابٍ متوحش داخل ما يسمى بـ (دور العبادة).

والعقدة الأخرى: عقدة فرويد، التي أسقطت أوروبا في أسوأ مراحل العري والدعارة والشذوذ الجنسي، وتحطيم شتى قيم الأسرة والفضيلة؛ فاتسعت لكل رذيلة، وأعادت فتح سوق النخاسة الجنسي الذي تُعرَض فيه الفتيات كما تُعرَض الجواري والسلع الرخيصة، ثم ضاقت ذرعاً بقطعة قماش تعتز بها المسلمة؛ لأنها تعدُّها رمزاً لهويتها وعفافها!

ونحسب أن الواقع الأوروبي ينطبق عليه قول الحق - سبحانه وتعالى -: ﴿ **أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** ﴾ [**النمل** : ٥٦].

إنَّ أوروبا اليوم تعيش فوق مستنقعٍ آسنٍ من الفساد الأخلاقي والتفكك الاجتماعي، وهو ما قد يؤدي إلى تزلزلها وانهيار أركانها؛ وإن مراجعةً يسيرةً لمعدلات الاغتصاب، والعنف الجنسي، وزنا المحارم، والحمل خارج إطار الزوجية، وزيادة عدد دُورِ البغاء وقنوات الدعارة والمواقع الإباحية... لَتَكشف حقيقة الوجه الكالح للقارة العجوز. إن على عقلائها أن يتحدثوا عن استنقاذها وإعادة استصلاحها، بدلاً من تشدُّق ساستها بالحديث عن القيم[1].

لقد أصبح الوجود الإسلامي في أوروبا حقيقة متجذرة لا يمكن تجاهلها، وهي تزداد عاماً بعد عام، وفَرْضُ الثقافة والقيم الأوروبية على المسلمين في حياتهم الشخصية مخالف للأسس النظرية التي قامت عليها العَلمانية الأوروبية، كما أن محاصرة المسلمين وإقصاءهم ليس هو الخيار الصحيح لأوروبا؛ لأن هذا سيزيد من الاحتقان الفكري والجدل الاجتماعي.

وأخيراً:

إن من الملحوظات التي يَحسُن بنا الوقوف عندها ما يلي:

أولاً: إن اللافت للنظر أن بعض أهل الأهواء والشهوات من بني جلدتنا في عدد من بلداننا العربية والإسلامية راحوا يلهثون في الدفاع عن العَلمانية الإقصائية في أوروبا؛ بل يسوِّقون لقيمها وثقافتها، ويمارسون حرباً أشد ضراوة وشراسة على الحجاب والنقاب في ديار الإسلام نفسها، وفي أمثال هؤلاء قال الله - عز وجل -: ﴿ **وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ** ﴾ [**التوبة** : ٤٧]، ونكتفي ها هنا بذكر مثالين اثنين على ذلك الغثاء؛ حيث نشرت إحداهن مقالة بعنوان: (في نقد النقاب)، قالت في مقدمته: (شكراً لساركوزي على مَنْعِه النقاب ووَصْفِه المعبِّر للنساء اللواتي يرتدين البرقع بأنهن سجينات خلف سياج، وشكراً للبرلمان الفرنسي في قرب تصديقه على قرارٍ بإدانة ارتداء البرقع والنقاب الإسلامي، ووَصْفِ أغطية الوجه هذه بأنها إساءة لقيم الأمة واحترامها، ولمبدأ المساواة، والشكر موصول للبرلمان البلجيكي الذي كان له السبق في المصادقة على قانون يحظر النقاب في الأماكن العامة...)[2].

بل أشد من هذا تصريح وزير الشؤون الدينية الجزائري الذي انتقد النقاب، ووصفه بأنه: (سلوك متطرف تماماً مثل سلوك النساء اللواتي يخرجن عاريات إلى الشارع)[3].

ثانياً: من المفيد الإشارة في هذه الافتتاحية إلى أن غير واحد من الفضلاء تحدث عن الخلاف الفقهي في مسألة النقاب والحجاب، وانتقد بحدَّة التشدد أو التنطع الذي يقع فيه بعض المسلمين في أوروبا، وحمَّلهم جزءاً كبيراً من المسؤولية!

ونحن نرى أن هذه مسألة اجتهادية يسع فيها الخلاف، واتسعت لها صدور أئمة الفقه قديماً وحديثاً، وليس من المصلحة أن تحوَّل القضية إلى معركة جانبية ننشغل فيها ببعضنا، كما أن معيار التشدد أو التساهل يجب أن يبنى على الدليل الشرعي، وليس على الذوق الاجتماعي أو الانطباع الشخصي.

ونؤكد هاهنا ثانية على أن الحرب على الحجاب في التعليم عام ٢٠٠٣م، ثم الحرب على النقاب في عام ٢٠١٠م ليست إلا عناوين للحرب على الهوية الإسلامية.

ثالثاً: نرى أن هذه النازلة ربما تكون مَفْرَقَ طريق في علاقة أوروبا بالعالم الإسلامي، ومن المقترحات العملية التي نرى أن يتصدى لها بعض المبادرين السباقين إلى فعل الخيرات: تأسيس **(هيئة عالمية للاعتزاز بالحجاب)**، تكون مظلة مؤسَّسية لترسيخ الهوية الإسلامية، ومنبراً للذبِّ عن المرأة المسلمة وقيمها العقدية والأخلاقية، وحقوقها القانونية.

إن الحجاب ليس عادة اجتماعية تقبل المساومة، كما أنه ليس تراثاً شعبياً يمكن التنازل عنه أو المزايدة عليه؛ بل هو عبادة يستسلم لها المسلمون بكل اعتزاز وافتخار. قال - تعالى -: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا** ﴾ [**الأحزاب** : ٣٦].

---

(١) من المفيد الرجوع إلى كتاب: (موت الغرب) تأليف: بات بوكانون، وكتاب: (السقوط من الداخل) تأليف: د. محمد بن سعود البشر.

(٢) صحيفة الاتحاد الإماراتية: ١٦/ ٥/ ٢٠١٠م.

(٣) صحيفة القدس العربي: ١٨/ ٥/ ٢٠١٠م.

عنيف القول ولطيفه تجاه السلف

د. عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف(*)
www.alabdulltif.net

لا يُنْتَظر من الغرب إلا مزيداً من العداء الجلي، أو المكر الخفي لدين الإسلام وأهله، لا سيما مذهب أهل السُّنة والجماعة؛ فقد جاهر ساركوزي فرنسا بأن الحجاب ناشئ عن السلفية، وأما أهل البدع المغلَّظة: كالرافضة وغلاة الصوفية؛ فلا يزالون في كيدٍ دائمٍ، وعداء متلاحق لمذهب السلف الصالح.

لكن البلية أن ينساق بعض متسنِّنة هذا العصر إلى نقد السلفية، وتقويم أهل السُّنة عبر قنوات مأبونة، ومحافل مشبوهة، وربما تدثَّروا بالموضوعية وروح النقد والصدع بالحق. وأما أهل الأهواء والزندقة فهم في عافية من نقد أولئك «الشجعان»، بل صار الطعن في السلفية حِمَىً مستباحاً، واهتماماً راتباً، وقضية مكرورة مألوفة.

ومع ذلك فإن التطاول على مذهب أهل السُّنة هو علامة الإرث الصحيح، والاتباع التام لسيِّد الأنام ﷺ؛ فإن قريشاً كانت تسمي نبينا محمداً ﷺ تارة مجنوناً، وتارةً شاعراً، وتارةً كاهناً، والروافض يلقِّبون أهل السُّنة بالنواصب، وأهلُ الكلام يسمونهم حشوية ونوابت، وأهل التعطيل ينبزونهم بالمشبهة والمجسمة... إلخ[1]. وهذا الطعن والهجوم على مذهب السلف قد يكون في غاية النزق والبغي؛ فيكون حافلاً بالكذب الرخيص، والإفك المبين.

ولئن كان هذا البغي والفجور في الخصومة مُوجِعاً لأوَّل وهلة؛ إلا أنه سرعان ما يعتريه الزوال والانحسار؛ فهو أشبه بقعقعة الصبيان، وهذيان نزلاء المارستان. إضافة إلى أن العداء الصارخ، والحرب المكشوفة قد تبعث يقظة وتحفُّزاً، وتهيُّؤاً للمنازلة والمجالدة؛ فسبحان من قدَّر المقادير وأحكمها؛ فجعل في المحن مِنَحاً وألطافاً! فتبارك الله أحسن الخالقين.

وقد يسلك الخصوم مسلكاً هادئاً في مكايدة مذهب السلف، فيحرصون على التلطف والمراوغة من أجل تطويع مذهب السلف للتبديل والتحريف، والعصرنة والتنوير؛ فهو مسلك خفيٌّ يكمن مَكْرُه الخفي بإثارة الأغلوطات، وتكلُّف التأويلات، واتباع المتشابهات ابتغاء الفتنة، وقد يتظاهرون بمدح السلفية والاحتفاء بها، فَتَعْظُم الرزية بهؤلاء أشد ممن قبلهم.

وقد يستغرب القارئ الكريم إذا علم أن هذا الكيد الخفي هو سبيل قديم لأهل البدع الذين مردوا على النفاق؛ كما كشفه الإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠هـ) - رحمه الله - قائلاً: «بلغنا أن بعض أصحاب بشر المريسي قال: كيف تصنعون بهذه الأسانيد التي يحتجون بها علينا في ردِّ مذهبنا مما لا يمكن التكذيب بها؟ قال: لا تردُّوه فتفضحوا، ولكن غالطوهم بالتأويل، فتكونوا قد رددتم بلطف؛ إذ لم يمكنكم ردٌّ بعنف»[2].

وأظهر مثال على ذاك الهجوم بشقَّيه (العنيف واللطيف) هو الهجوم على شيخ الإسلام ابن تيمية وتراثه النفيس؛ فقد شَرِق الخصوم قديماً وحديثاً بهذا الإمام الرباني ومؤلفاته، وتكالبوا عليه، وأجلبوا بخيلهم ورَجِلِهم، فما زاده ذلك إلا رِفعة وقَبولاً، وأضحت مؤلفاته ملء السمع والبصر، وفي شتى الأصقاع والبلدان.

(*) أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.

(١) انظر: الحموية لابن تيمية، ص٥٣٢، وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية: ١/٣٨٦، ٣/٦٤٣.

(٢) الرد على بشر، ص ٥٥٦.

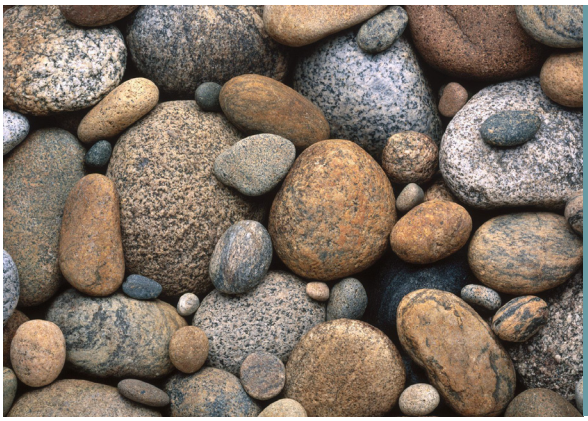

«فأقرأ تصانيفَ الإمامِ حقيقةً
شيخِ الوجودِ العالمِ الربانِي
أعني أبا العباس أحمدَ ذلك الـ
ـبحرُ المحيطُ بسائرِ الخُلْجَانِ
هي في الورى مبثوثةٌ معلومةٌ
تُبْتَاعُ بالغالي من الأثمانِ»[1]

فمن الكذبات الصلعاء أن ابن تيمية رجع إلى عقيدة الأشاعرة، وآخر يزعم أن ابن تيمية ليس سلفياً. ومن ركام ذاك الإفك الرخيص ما سوَّده أحد المعتوهين المنتكسين من أن ابن تيمية «المتشدد» يعاني أزمة روحية، ثم يغالط ذاك المأفون هذيانه السابق فيزعم أن ابن تيمية يقرر أن جميع البشر إلى الجنة[2]. وكذا ما ادَّعاه أحد المتعثرين المتقهقرين من أن ابن تيمية ليس له أي دراسة لكتب المنطق والفلسفة[3].

والحال المذكور آنفاً وإن كان يحكي سفهاً وحمقاً، وجهلاً كثيفاً، إلا أنه يكشف نوعاً من عوارض «الإسقاط»، أو كما في المثل السائر: «رمتني بدائها وانسلَّت».

ومن المغالطات الخفية ما تفوَّه به أحد المشايخ «العصريين» قائلاً: «شيخ الإسلام متسامح جداً؛ يقول بتهنئة أهل الكتاب وتعزيتهم، وعيادتهم إذا كانوا مرضىً، وهذا اختيار شيخ الإسلام، كما قال البعلي»[4].

وادَّعى أيضاً أن الجهاد عند ابن تيمية لأجل العدوان وليس لأجل الكفر[5].

إن العبارة الأُولَى لا تنفك عن إيهام ومغالطة، وبالرجوع إلى الاختيارات الفقهية للبعلي، نجد أن المقام بشأن أهل الذمة خصوصاً، الذين تجري عليهم الشروط العُمَرية وما تحويه من الذل والصغار و «الغيار» على أهل الذمة، وليس جميع أهل الكتاب مطلقاً؛ فالكافر قد يكون ذمياً، أو معاهَداً، أو مستَأمَناً، أو محارباً، كما أن عيادتهم وتعزيتهم جائزة إن كان يُرجى إسلامهم، ثم إن البعلي حكى اختلاف كلام ابن تيمية في ردِّ تحية الذمي، وهاك العبارة بتمامها «واختلف كلام أبي العباس (ابن تيمية) في ردِّ تحية الذمي، هل تُردُّ بمثلها أو: وعليكم فقط؟ ويجوز أن يقول: أهلاً وسهلاً. ويجوز عيادة أهل الذمة، وتهنئتهم وتعزيتهم، ودخولهم المسجد للمصلحة الراجحة؛ كرجاء الإسلام. قال العلماء: يعادُ الذمي، ويُعرَض عليه الإسلام»[6].

والشيخ المذكور يقول: (مشكلة الناس أنهم يقرؤون «اقتضاء الصراط المستقيم» ولا يقرؤون «الاختيارات الفقهية»).

ولا موجب لهذا الامتعاض، وافتعال هذه الإشكال؛ فالجميع كلام ابن تيمية، والمتعيَّن أن يُنظَر في جميع تقريراته، بل إن تقريراته في «الاقتضاء» أوثق وآكد من تقريرات واختيارات يكتنفها فَهْمُ من جَمَعَها وصنَّفها، كالبعلي.

وبالجملة فإن بتر النصوص، وإهمال بعضها ليس «ترشيداً» – كما يقصد الشيخ المذكور – بل هو «تشريد»، وبعثرة للنصوص، وتفريق لها.

ومجاراةً للشيخ ومريديه في الاحتفاء بالبعلي؛ فإن البعلي اختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، واختصر اقتضاء الصراط المستقيم، وأسوق بعض ما جاء في مختصر الفتاوى المصرية: «وليس لأهل الذمة إظهار شيء من شعار دينهم في ديار المسلمين، وليس للمسلمين أن يُعينُوهم على أعيادهم، لا ببيع ما يستعينون به على عيدهم، ولا بإجارة دوابهم ليركبوها في

(١) قالها ابن القيم في «النونية»، ص ١٦٣.
(٢) ينظَر: منصور النقيدان، موقع إيلاف: ٢٠٠٧/٧/٢٢م.
(٣) ينظَر الدراسة الرائعة التي سطرها عبد الله الهدلق بعنوان: «الهادي والهاذي» في الرد على شغب «السرحان».
(٤) انظر: مقابلة مع الشيخ عبد الله بن بية في مجلة الإسلام اليوم، عدد ٦٧.
(٥) انظر: مقابلة مع الشيخ عبد الله بن بية في مجلة الإسلام اليوم، عدد ٦٧.
(٦) الاختيارات الفقهية، ص ٣١٩.

عيدهم؛ لأن أعيادهم مما حرَّمه الرسول ﷺ. وأما إذا فعل المسلمون معهم أعيادهم مثل صبغ البيض، وبخور، وتوسيع النفقات، فهذا أظهر من أن يحتاج إلى سؤال، بل قد نصَّ طائفة من العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك على كفر من يفعل ذلك، ولو تشبَّه المسلم باليهود أو النصارى في شيء من الأمور المختصة بهم، لنَهْيِه عن ذلك باتفاق العلماء، بل ليس لأحد من المسلمين أن يخصَّ مواسمهم بشيء مما يخصونها به؛ ومن فعل ذلك على وجه العبادة والتقرُّب به، فإنه يُعرَّف دين الإسلام، وأن هذا ليس منه، بل هو ضده، ويستتاب منه، فإن تاب وإلا قُتِل. وليس لأحد أن يجيب دعوة مسلم يعمل في أعيادهم مثل هذه الأطعمة، ولا يحل له أن يأكل من ذلك»[1].

وأمر آخر فيما يخص التهنئة - التي هي محل خلاف - فيما ليس متعلقاً بأعيادهم وشعائرهم المختصة بهم؛ فتهنئة الكفار بأعيادهم حرام بالاتفاق، بل قد لا يسلم صاحبها من الكفر كما قرره ابن القيم تلميذ ابن تيمية[2]، بل قال العلاَّمة ابن عثيمين: «التهنئة بالأعياد؛ فهذا حرام بلا شك، وربما لا يَسْلَم الإنسان من الكفر؛ لأن تهنئتهم بأعياد الكفر رضاً بها، والرضا بالكفر كفرٌ، ومن ذلك تهنئتهم بما يسمى عيد «الكريسمس» أو عيد «الفصح» أو ما أشبه ذلك»[3].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية: «لا يجوز للمسلم تهنئة النصارى بأعيادهم؛ لأن في ذلك تعاوناً على الإثم، وقد نهينا عنه، قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، كما أن فيه توداً إليهم، وطلباً لمحبتهم.. وهذا لا يجوز، بل الواجب إظهار عداوتهم»[4].

ودعوى أن الجهاد عند ابن تيمية لأجل المحاربة والعداون، وليس لمجرد الكفر، فهذه دعوى مردودة مكذوبة، والرسالة المنحولة لابن تيمية في ذلك لا تصح ولا تثبت، كما حرره جملة من العلماء والمحققين كابن قاسم[5]، وابن مانع في رسالة خطية بعثها إلى الشيخ ابن سحمان سنة ١٣٤٠هـ[6]، بل صنَّف الشيخ سليمان بن حمدان سنة ١٣٨٢هـ كتاباً مستقلاً يزيد على مائة صفحة في الردِّ على هذه الرسالة المزعومة، وسمى كتابه بـ: «دلالة النصوص والإجماع على فرض القتال للكفر والدفاع»، كما أن الذين سردوا مؤلفات ابن تيمية: كابن رشيق وابن عبد الهادي ونحوهما، لم يذكروا تلك الرسالة، بل إن هذه الدعوى منقوضة بتقريرات ابن تيمية في كتبه المعتمدة، ورسائله الشهيرة، كما في «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح»[7]، و «الصارم المسلول»[8]، والصفدية[9]، ومجوع الفتاوى ونحوها[10].

قال ابن تيمية - رحمه الله -: «كل من بلغته دعوة رسول الله ﷺ إلى دين الله الذي بعثه فلم يستجب له، فإنه يجب قتاله حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله...»[11].

وأخيراً: فإن على القارئ أن يستصحب أن تراث ابن تيمية يحوي مجاميع متنوعة، ومجلدات كثيرة، بل هو أشبه بالموسوعات المتعددة؛ فلا غرو أن يقع اشتباه وإشكال في مواطن من هذه المؤلفات، أو تَردِ عبارات محتملة أو موهمة؛ ومسلك العلم والعدل يقتضي أن يؤخذ بكلام المؤلِّف كله، ويردَّ ما كان مشتبهاً ومجملاً إلى ما كان واضحاً مفصَّلاً؛ فلا يُحتَجُّ بالأغرب منها على الأغلب، ولا يُشغَب بالمغمور على كلامه المشهور[12].

كما يتعيَّن على أهل السُّنة أن يحققوا الرسوخ في العلم الشرعي، وإحكام منهج السلف، وتحرير مسائل الاعتقاد، والتهيؤ التام لمدافعة الشغب على مذهب السلف، وإبراز القواعد الكلية والأجوبة المتينة تجاه شبهات وأغاليط المخالفين؛ فإن هذا الحِجاج والجدال من أعظم القربات وآكد الحاجات. «قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ [الأنعام: ٨٣]. قال زيد بن أسلم وغيره: بالعلم؛ فالعلم بحُسْنِ المحاجَّة مما يرفع الله - تعالى - به الدرجات»[13].

«فقصة إبراهيم في العلم بالحجة، والمناظرة لدفع ضرر الخصم عن الدين، والمقصِّرون عن علم الحُجَج والدلالات مقهورون مع هذا الصنف، تارة بالاحتياج إليهم إذا هجم عدو يفسد الدين بالجدل، وتارة بالاحتياج إليهم لتخليص بعضهم من شرِّ بعضٍ في الدين، وتارة يعيشون في ظلِّهم في مكان ليس فيه مبتدع يستطيل عليهم، وما ذاك إلا لوجود علماء الحجج الدافعة لأهل البدع»[14].

---

(١) مختصر الفتاوى المصرية، ص٥١٧، ٥١٨ = باختصار، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم: ٢/ ٥١٥، وجامع المسائل: ٣/ ٣٧٤، والمستدرك على الفتاوى: ٣/ ٢٥٥، ومجموع الفتاوى: ٢٥/ ٣٢٥ - ٣٣١.

(٢) انظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم: ١/ ٢٠٥، ٢٠٦.

(٣) الشرح الممتع: ٨/ ٧٥، وانظر: فتاوى العقيدة لابن عثيمين، ص ٢٤٦، وكتاب الأعياد المحدثة وموقف الإسلام منها لعبد الله المهنا.

(٤) ٣/ ٤٣٥.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى: ٨/ ٥.

(٦) هذه الرسالة الخطية محفوظة في دارة الملك عبد العزيز بالرياض، رقم (٢٦٣).

(٧) ١/ ٧٥، (ط المدني).

(٨) ٢/ ٥١٤.

(٩) ٢/ ٣٢١.

(١٠) انظر: ٤/ ٢٠٥، ٢٨/ ٣٤٩، ٣٥٨.

(١١) مجموع الفتاوى: ٢٨/ ٣٤٩.

(١٢) انظر المدخل إلى آثار ابن تيمية، ص ٧٦ - ٧٨.

(١٣) بيان تلبيس الجهمية: ١/ ٤٩٣.

(١٤) مجموع الفتاوى: ١٤/ ٤٩٣، ٤٩٤ باختصار.

لا خـوف مـن

الإلقـاء

دورات معتمـدة

كـن خطـيب زمـأنك

بعـد اليـوم ...

الخطيب الصغير:
دورات إلقاء للأبناء:
آداب إجتماعية
+ علوم الرجال
+ لبس المشلح

- بعد تنفيـذ (250) دورة.
- وتدريب 10000 متدرب ومتدربة.
- وتقديـم 8 دورات دوليـة.
- وتقديم 45 برنامجاً لكبار الشخصيات والشركات والجهات الحكومية.

تحت إشراف المؤسسة العامة للتدريب المهني والتقني ترخيص (٢١٤/١٠٢٩)

دورة مهارات الإلقاء تحقق:

* كيفية إعداد الكلمات والمحاضرات المقنعة والمؤثرة.
* كسر حاجـز الهيبـة من التحـدث أمام الآخرين.
* التعـرف علـى أسـرار التـأثـير.
* تنمـية مهـارات الإصـغـاء.
* التعـامل مـع الإسئـلة المفـاجئـة .
* تهيئـة خريجـي الجامعـات للتطبيـق والتدريس.

قالوا عن الدورات

بدأت الدورة بترغيب الإلقاء ما أهيبها بحب المنبر

دورة الالقاء أعادت لي الثقة بالنفس

الآن اصبحت أقول ما أريد وأحسن ما أقول

دورة الألقاء دعوة تعلمك الثقة بالنفس وتنتظر الجديد

بداية

مركز الإلقاء

أول مركز متخصص في الإلقاء والمواجـهة

مـدربـون سعـوديون

الريـاض هاتف: ٠١/٤٧٧٩٩٩٢

جوال: ٠٥٣٣٣٩٥٩٣٣/٠٥٠٤٢٥٤٧٩٤

www.alelqa.com

من إصداراتنا
ألبومات وسيديهات : فن الإلقاء

من إصداراتنا
كتاب لماذا نخشى الإلقاء

إصداراتنا متوفرة لدى مكتبات:
جـرير - العبيكـان

خذوا زينتكم ... لا يفتننكم الشيطان

د. عبد الوهاب بن لطف الديلمي

أسكن الله - عز وجل - آدم وحواء الجنة، وحذرهما من الأكل من الشجرة، كما حذرهما من إغواء الشيطان وإغرائه، وأخبرهما بعداوته لهما. قال - تعالى -: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: ١١٧]، وقال - عز وجل -: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦]، ويظهر من النصوص القرآنية أن الإخراج من الجنة كان هو العقوبة البارزة للأكل من الشجرة؛ ولذلك ورد في الحديث الصحيح أن موسى - عليه السلام - قال لآدم - عليه السلام - في محاجَّته له: «وأخرجتنا من الجنة»[1].

غير أن الذي يلفت النظر، ما ورد في عدد من الآيات القرآنية من ربط انكشاف سوءات آدم وحواء بالأكل من الشجرة، وذلك في مثل قوله - تعالى -: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٠]، وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى﴾ [طه: ١١٨] وقال بعدها: ﴿فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ [طه: ١٢١].

وبعد أن ذكر الله - سبحانه - قصة آدم وحواء - عليهما السلام - في الأعراف توجه بالخطاب إلى بني آدم يحذرهم فتنة الشيطان الذي أغوى أبويهم، غير أنه ربط هذا التحذير بالتذكير بنعمة اللباس الذي يواري السوءات، وجعل ظهور سوءات آدم وحواء - عليهما السلام - مقروناً بالخروج من الجنة، فقال - تعالى -: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦ - ٢٧]، ثم يعقب ذلك بقوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨]، ثم يأتي بعد ذلك الأمر بستر العورة عند القيام لأداء الصلاة، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، ثم يختم ذلك بالتذكير مرة أخرى بنعمة الزينة التي على رأسها اللباس الذي يستر العورة، وسائر النعم الأخرى، فيقول - سبحانه -: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا

(١) أخرجه البخاري: ٦/ ٢٤٣٩ برقم: ٦٢٤٠، ومسلم: ٤/ ٢٠٤٢ برقم: ٢٦٥٢.

﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

ولعل الآيات القرآنية توحي بأن التعري الذي صاحب الخروج من الجنة من أعظم الفتن التي يتعرض لها الإنسان في الحياة، بدليل قوله - تعالى -: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧]، والشيطان قد لا يكون على علم بما يترتب على الأكل من الشجرة من ظهور السوءات، ولكن الله - تعالى - جعل الشيطان كأنه قصد إلى ذلك؛ لأن انكشاف السوءات مما يرضي الشيطان، بل ذلك من أعظم الوسائل التي يسعى الشيطان من ورائها لفتنة بني آدم. وأهم ما سعى إليه الشيطان ابتداءً هو إيقاعهما في المعصية، مع رغبته في ما يترتب على ذلك من العقوبة، ومن سوء الحال في الجملة؛ فكان من أهم مظاهر السوء إبداءُ السوءات التي كانت بالنسبة لبني آدم مفتاح شر مستطير، ولَمَّا جُبِل الإنسان على سَتْر نقائصه عند سلامة فطرته، كان ظهور العورة عند آدم وحواء من النقائص؛ ولذلك بادر بسترها، كما قال - تعالى -: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢].

ومعنى ذلك أن الإنسان لا يتوجه إلى كشف عورته دون خجل أو شعور بالنقص إلا كان ذلك دليلاً على فساد فطرته، وكمال انحراف سلوكه؛ لأن سَتْر العورة مما استقر في الفطرة البشرية واتفقت معها الشريعة الإلهية فيه. وعدم الشعور بقبح ظهور العورة، دليل على السقوط في الطبيعة الحيوانية الشهوانية، ودليل أيضاً على تجرد المجتمع - الذي يصبح فيه كشف العورات ظاهرة - من أي مظهر من مظاهر الحضارة؛ لأن غلبة الطبيعة الحيوانية على الإنسان سقوط في درك الحيوانية.

وهذا الخروج عن الفطرة السليمة نذير شؤم على الحياة العامة للإنسان؛ لأنه خروج عن سنن الله - تعالى - التي تستقيم بها الحياة، وتَفسُد بغيابها كل صورة من صورة الحياة السليمة، بل هو مِعْوَل هدم لكل مظاهر الحياة، ودخول في دروب الشقاء والتعاسة التي تلازم الإنسان في كل منعطفات حياته؛ ولذلك ربط الله - سبحانه - حياة الإنسان بهذه الأرض التي إن استقام الإنسان معها استقامت له الحياة، وإن أفسدها بالانحراف شقي فيها أيما شقاء؛ لأن استقامة الحياة وسعادة الإنسان مرهونين بلزوم طريق الهدى. قال - تعالى - موضحاً علاقة الإنسان بالأرض: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥]، وقد جاءت هذه الآية مع الآيات سابقة الذكر في سياق واحد.

وإذا كانت حياتهم مرهونة بهذه الأرض فكأنه يأمرهم بحُسْن التعامل معها، ومن ذلك عمرانها بما يكسب لهم الحياة الطيبة.

ومن الملاحظ أنه بعد أن ذكر الله - سبحانه - قصة آدم في سورة طه قال - جل ثناؤه -: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٤]، والمراد بالذكر في الآية (القرآن) كما جاءت تسميته بذلك في عدد من الآيات[1]، ومن ذلك قوله - تعالى -: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. والقرآن قد جاء بأنواع من التشريع التي تستقيم بها حياة الإنسان، ومن ذلك: الأمر بالزينة، وغضِّ البصر، وقد ذكر من بين العقوبات في الآخرة في آية طه العمى، ولعلَّ الحكمة من ذكر العمى هنا - والله أعلم - أنَّ مَنْ استباح كشف العورة استباح النظر إلى العورة، وعرَّض نظر الآخرين إلى النظر إلى العورة، فكان ذكر العمى مناسباً لنوع الجرم الذي ارتكبه في الدنيا؛ سواء في ذلك العمى في الدنيا الذي يعْني عمى البصيرة عن إدراك سُبُل الهدى بسبب الإغراق في حبِّ الشهوات الذي شغله عن معرفة الحق، أو العمى في الآخرة.

ومما يوقع في هذه المعصية الشنيعة إباحة الاختلاط بين الجنسين المفضي إلى ما وراءه من المعاصي.

وقد ظهرت اليوم نُذُر الدمار للمجتمعات الإباحية، بانتشاء الأمراض الفتاكة، التي كادت تقوِّض هذه المجتمعات من أساسها، وهو ما يزيد المسلمين إيماناً بعظمة هذا الدين الذي أحاط الحياة الدنيا والآخرة بما يُسعد الإنسان ويحميه من السقوط.

وكما أن هذه الآيات التي جاء فيها ذكر نعمة تيسير اللباس، والإرشاد إلى ستر العورة، والتحذير من مكر الشيطان فيها تذكير للمؤمنين بنعم الله - سبحانه - على عباده المؤمنين، تستحق منهم بالغ الشكر عليها، فهي كذلك دعوة للمشركين ليقلعوا عما كانوا عليه من الضلال، ويلزموا

(١) انظر: (يوسف: ١٠٤)، و (الحجر: ٦)، و (النحل: ٤٤)، و (الأنبياء: ٢)، وغيرها.

الآيات القرآنية توحي بأن التعري الذي صاحب الخروج من الجنة من أعظم الفتن التي يتعرض لها الإنسان في الحياة

هدى الله؛ فقد كان المشركون يطوفون بالبيت عرايا، وربما طافت المرأة به عارية وهي تقول:

اليومَ يبدو كلُّه أو بعضُه
وما بدا منه فلا أُحِلُّهُ

وَلْنتأمَّل في قوله - تعالى -: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا ﴾ [الأعراف: ٢٧]؛ حيث لم يذكر - تعالى - من مظاهر الفتن سوى نزع اللباس لتتكشف عوراتهما؛ وكأنه ينبه بني آدم إلى عدم الانجراف وراء إغواء الشيطان إذا ما أراد أن يحملهم على كشف عوراتهم؛ كونها من أفظع القبائح، وفي هذا دلالة واضحة على اهتمام الشيطان بكشف سوءات بني آدم، وأنه يُسَرُّ لذلك؛ لما يترتب عليه من الوقوع في الفحشاء وإشاعة المنكر.

ومن خلال هذه النصوص ندرك مدى فظاعة انتشار جريمة الزنا واستباحة الأعراض التي حذر الله - سبحانه - حتى من الوسائل التي توقع في ذلك، مثل العري، وأن التحصُّن - خاصة من قِبَل المرأة - أمر محمود، بل ضرورة مُلِحَّة لسلامة الحياة، ونحن نرى اليوم ما وصلت إليه المجتمعات التي استباحت ممارسة الجنس دون ضوابط ولا حدود، ولا تقييد بشرع ولا آداب.

لقد وصلت إلى حدٍّ أن الأمراض الفتاكة اليوم تهدد كيانها، وتنذر بخطر ماحقٍ للحياة كلها، وصارت هذه الأمراض شبحاً يلاحق هؤلاء الإباحيين الذين تملَّكتهم شهواتهم، واستحكمت فيهم أهواؤهم؛ وهم اليوم يتجهون بكل وسيلة لإلحاق الدمار بمجتمعات المسلمين بوسائل الإغراء والإغواء، وتحت ذريعة الدفاع عن حقوق المرأة، أو يسعون من خلال المؤتمرات، والمنظمات، والمساعدات، والاتفاقيات أن يجرُّوا المسلمين إلى هذا المستنقع الذي سقطوا فيه، وهم بهذا يريدون من المسلمين أن يحذوا حذو المجتمعات الغربية، وحقاً ما قاله بعض الدعاة: إن اليهود اليوم يخططون للحرب القادمة بينهم وبين المسلمين، وهي حرب الأخلاق لا حرب الجيوش؛ لأنهم يعرفون أن دمار الأخلاق سلاح فتَّاك بالشعوب؛ لكن المُغَفَّلين من المسلمين لا يعقلون، ولا يفهمون، ولا يفقهون، ومن ثَمَّ لا يحذرون.

إنهم يريدون أن يمنعوا تعدد الزوجات، وأن يمنعوا الزواج المبكر للفتاة، وأن يمنعوا الحمل بإشاعة الوسائل المتنوعة المجانية، وكل هذا وغيره إنما يعني الدعوة إلى الجريمة؛ لتقويض مجتمعات المسلمين؛ لأنهم يريدون - كما هو الحال عندهم - تشجيع العلاقات الجنسية المبكرة بين الجنسين؛ فالفتاة تمارس البِغاء من وقت مبكر؛ بحيث لا تبلغ سنَّ التكليف إلا وقد فقدت بكارتها، وهم يعرفون أنه لا بديل لمنع الطرق المشروعة في دين الله - عز وجل - إلا بإشاعة الفاحشة؛ لأن الشهوات المسعورة - خاصة مع وجود وسائل الإعلام التي تثير الشهوات، وتحرك الغرائز - إنما تتجه إلى الحرام عندما يحال بينها وبين الحلال الذي شرعه الله - سبحانه - ويصبح المحرَّم هو المتيسر بحكم العادة، أو القانون الذي يحمي الجريمة، أو الإباحية، في المجتمعات البهيمية، وهذا هدف يسعى إليه أعداء الإسلام؛ لأنهم يعرفون أنه أفتك سلاح يُقَوِّض المجتمعات عندما تنهار الأخلاق وتنتهي القيم العليا، ويصبح الإسلام معزولاً عن الحياة.

ومما يساعد على الوقوع في الفاحشة أيضاً، الأغلال التي وضعها الناس على الزواج المشروع؛ بحيث يصبح الشاب الذي يريد تحصين نفسه بالحلال، لا يجد سبيلاً إليه، وأصبحت المباهاة، والمغالاة هي العوائق التي يقع ضحيتها الشاب والشابة، ولم يَعُدْ عند غالب الناس مكان لـ: «إذا جَاءَكُمْ من تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ في الأرض وَفَسَادٌ». قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ وإن كان فيه؟ قال: «إذا جَاءَكُمْ من تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»[1].

ومن هنا جاء الفساد الكبير؛ فأين الذين يقودون السفينة بحكمة وبصيرة حتى تنجوَ من الهلاك؟ اللهم سلِّمْ سلِّم.

(١) أخرجه الترمذي في سننه من حديث أبي حاتم المزني، باب: ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه، ٣/ ٣٩٥، برقم(١٠٨٥).

مكتبة طالب العلم ①

في ثوب جديد

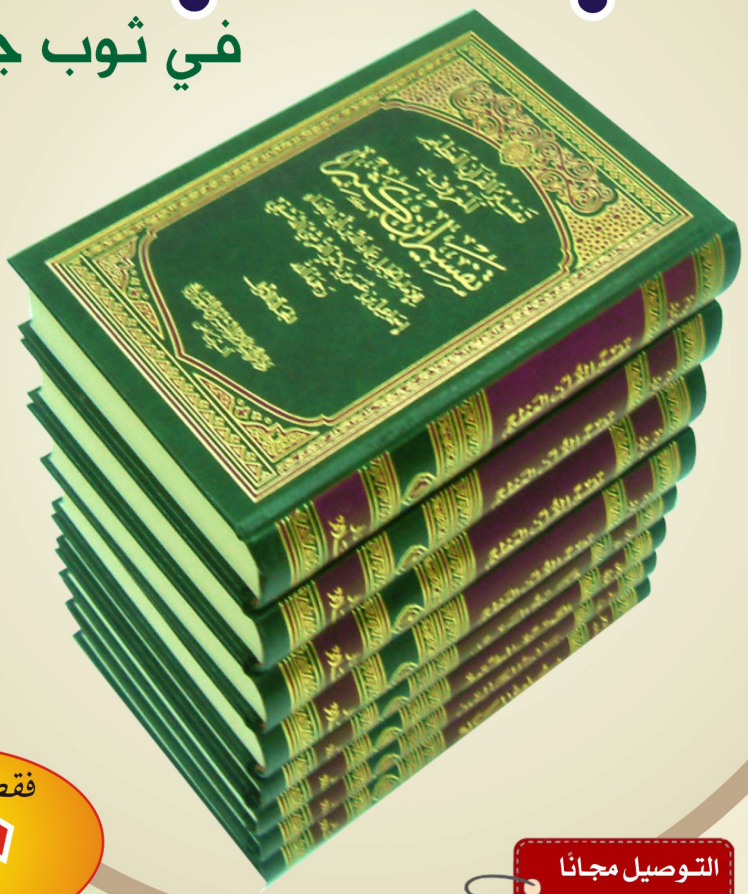

ورق شمواه فاخر
طباعة داخلي لونين
١٧×٢٤ سم

فقط ١٥٠ ريالاً

التوصيل مجانًا داخل الرياض

- تفسير ابن كثير (٤ مجلدات)
- الرحيق المختوم
- رياض الصالحين
- فتح المجيد
- بلوغ المرام

المكتب الرئيسي الرياض: ٤٠٣٣٩٦٢ - ٤٠٤٣٤٣٢ -١- ٠٠٩٦٦ فاكس: ٤٠٢١٦٥٩ الفروع: العليا: ٤٦١٤٤٨٣ الملز: ٤٧٣٥٢٢٠
السويلم: ٢٨٦٠٤٢٢ جدة: ٦٨٧٩٢٥٤-٠٢ الخبر: ٨٦٩٢٩٠٠-٠٣ المدينة المنورة: ٨٢٣٤٤٤٦-٠٤ الشارقة: ٥٦٣٢٦٢٣ -٦-٠٠٩٧١
ينبع البحر/تبوك: ٠٥٠٠٨٨٧٣٤١ القصيم: ٠٥٠٣٤١٧١٥٦ خميس مشيط: ٠٥٠٠٧١٠٣٢٨ الكويت : ٩٦٠٠٨٤٥
Email: darussalam@awalnet.net.sa Website: www.dar-us-salam.com

دار السلام للنشر والتوزيع
DARUSSALAM

إن هو إلا وحيٌ يوحى

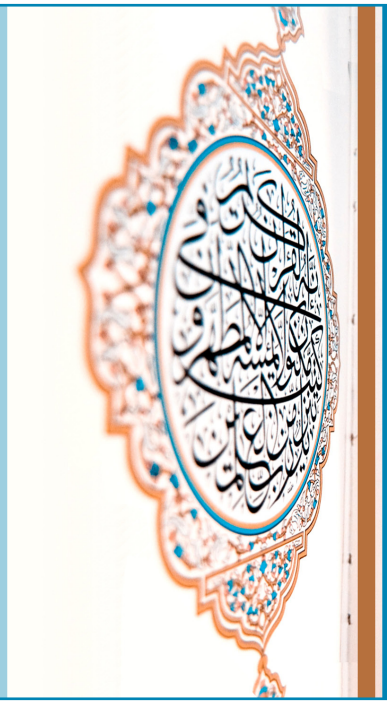

عماد الصامت

إن منشأ غلط كثير من أهل العلم في ترجيحهم بين الأحاديث المتعارضة في الظاهر، هو زعمهم أن النبي ﷺ يجوز له أن يخبر بشيء ويُعلِمُه الوحي بخلافه. قالوا: ويستحيل أن يقع التعارض بين خبرين من الوحي، لكنه جائز بين خبر قاله النبي ﷺ من عند نفسه وبموجب اجتهاده وخبرٍ من الوحي!

قلت: إن دعوى أن النبي ﷺ أخبر بشيء وأعلَمه الوحي بخلافه دعوى عاريةٌ عن الدليل، ورجمٌ بالغيب، وقولٌ في دين الله بغير علم؛ فلا تثبت هذه الدعوى إلا بأمرين:

الأول: إثبات أنه قال هذا القول من عند نفسه أو قاله شاكّاً أو متردداً، ولن يستطيع مدَّعٍ إثبات ذلك أبداً، اللهم إلا رجماً بالغيب وقولاً بغير علم.

الثاني: إثبات أنه قال هذا القول، وأخبر بهذا الخبر قبل إخباره بالخبر الآخر؛ حتى يصح ادعاء أن الخبر الآخر وحي، والأول قاله شاكّاً أو متردداً أو قَبْلَ أن يوحى إليه؛ فبدون إثبات أنه قال أحد القولين قبل الآخر، لا يجوز لمدَّعٍ أن يدَّعي أن أحد الخبرين وحيٌ والآخر ليس كذلك؛ فلا يمكن لمدعي هذه الدعوى أن يثبت صحتها ولو اجتمع له علم مَنْ في الأرض جميعاً.

إن القول في دين الله بغير علم حرام وقد قال الله - جل وعلا - لرسوله ﷺ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤]. وقال الصادق المصدوق ﷺ: «من أحب أن يسألني عن شيء فَلْيَسأَلْني عنه؛ فوالله لا تسألوني عن شيءٍ إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا»[1].

فلا يجوز لأحد من الناس أن يقول في دين الله بغير علم أو أن يُخْبِر عن شيء لا يدري ما هو؛ فكيف بالمعصوم ﷺ؟

نعم! يجوز له ﷺ أن يظن ظناً، أو يجتهد، أويرى رأياً، كما في حديث تأبير النخل، وقوله: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»[2]. وحُكْمِه في أسارى بدر، وإذنِه لبعض المتخلفين عن تبوك، ولكن هذا في الأحكام لا في الأخبار، ومن استقرأ نصوص الشريعة علم يقيناً أنه لا يجوز الاجتهاد في الأخبار؛ لأن الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو، هو عين الكذب، والأنبياء معصومون من هذا النوع من الكذب،

(١) صحيح مسلم: (٦٠٧٤).
(٢) صحيح مسلم: (٦٠٨١).

وإن جاز في حقهم الكذب فهو الكذب المشروع الذي هو خيرٌ وحكمةٌ ومصلحةٌ، وليس القول بغير علم، والرجم بالغيب، ولا أظن أحداً يشم رائحة الفقه يدعي أنه يجوز الاجتهاد في الأخبار.

وقد اتفقت كلمة الأصوليين على أنه لا يقع التعارض بين الأخبار؛ لأنه لو تعارض خبران كان أحدهما كذباً لا محالة. قال ابن قدامة في روضة الناظر: (اعلم أن التعارض هو التناقض؛ ولا يجوز ذلك في خبرين؛ لأن خبر الله - تعالى - ورسوله ﷺ لا يكون كذباً؛ فإن وُجِدَ ذلك في حكمين، فإما أن يكون أحدهما كذباً من الراوي، أو يكون الجمع بينهما بالتنزيل على حالين، أو في زمانين، أو يكون أحدهما منسوخاً)[1].

وهكذا صرَّح قَبْلَه الغزالي في المستصفى[2]، وروى الخطيب البغدادي بسنده إلى أبي الطيب الطبري أنه قال: (كل خبرين عُلِم أن النبي ﷺ تكلم بهما فلا يصح دخول التعارض فيهما على وجه، وإن كان ظاهراهما متعارضين... لأنه يوجب كون أحدهما صدقاً والآخر كذباً إن كانا خبرين؛ والنبي ﷺ منزَّه عن ذلك، ومعصوم باتفاق كلٍّ مثبت للنبوة)[3].

ولهذا صرحوا أنه لا يجوز النسخ في الأخبار؛ لأنه يستحيل التعارض بينها، والنسخ أثَرٌ من آثار التعارض؛ فلو جاز التعارض لجاز النسخ، ولا شك في غلط من جوَّز التعارض ومنع النسخ، ثم قرر أن ذلك الخبر قاله النبي ﷺ قبل أن يوحى إليه.

فدعوى أن النبي ﷺ قاله قبل أن يوحى إليه، فيها إهمال لوحي، وإسقاط لأحد الخبرين، وإبطالٌ لحديث الصادق المصدوق ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى؛ وقد اتفق الأصوليون على أن إعمال الدليلين أَوْلَى من إهمال أحدهما، وأنه لا يصار إلى إهمال أحد الدليلين إن أمكن الجمع بينهما.

قال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى -: (وكلما احتُمِل حديثان أن يُستعمَلا معاً استُعمِلا معاً ولم يعطَّل واحد منهما الآخر)[4].

وقال في الرسالة: (ولم نجد عنه ﷺ شيئاً مختلفاً فكشفناه إلا وجدنا له وجهاً يحتمل به ألا يكون مختلفاً)[5].

(١) روضة الناظر: (٢/٢٠٨).
(٢) المستصفى: (٢/٢٢٦).
(٣) الكفاية في علم الرواية: ص ٦٠٦.
(٤) اختلاف الحديث: ص ٣٩.
(٥) الرسالة: ص ٢١٦.

وقال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله -: (ليس ثَمَّ حديثان متعارضان من كل وجه، ومن وَجَد من ذلك شيئاً فَلْيَأتني لأؤلِّف له بينهما)[6].

وقال القرافي - رحمه الله -: «إذا تعارض دليلان، فالعمل بكل واحد منهما من وجه أَوْلَى من العمل بأحدهما»[7].

ويقول اللكنوي: (إن إخراج نصٍّ شرعيٍّ عن العمل به مع إمكان العمل به غير لائق؛ فالأَوْلَى أن يُطلَب الجمع بين المتعارضيين بأي وجه كان بشرط تعمُّق النظر وغوص الفكر)[8].

إن نصوص الوحي يفسر بعضها بعضاً ويؤيد بعضها بعضاً ويقوي بعضها بعضاً، ومحال أن تأتي متعارضةً ومتناقضةً؛ لأنها من مشكاة واحدة، وفي ملَّة واحدة، ولم تأتِ عن جهل، ولم تصدر عن هوى. وما تُوُهِّم عن بعضها أنها مختلفة ومتعارضة، فهو تعارض ظاهري ينشأ في الذهن ويقع في الخاطر، وسرعان ما ينكشف ويتلاشى أمام الراسخ في العلم، وأعظم أسباب هذا الوهم هو عدم حضور النصوص مجتمعة عند المجتهد؛ فيحضر بعضها ويغيب بعضها، وما غاب عنه هو الرابط الذي يربط بين تلك النصوص ويؤلِّف بينها والجامع الذي يجمع شَمْلَها. وهذه القاعدة أشار إليها شيخ الأسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى- فاستمسِك بها فإنها تغنيك عن سِفْر يُسْفِر عن كثير من القواعد في هذا الباب.

والعالِم الموفَّق، هيَّاب للوحي، معظِّم لشأنة، وقَّاف عند حدوده؛ لا يتقدم بين يدي الله ورسوله، وليس بهياب للجمهور، ولا معظِّم للآراء ولا متبعٍ لنخالة الأفكار وزبالة الأذهان.

وإن يعظِّم العبد نصوص الوحي من ربِّه، ويقدِّرْها حق قَدْرِها، ويأخذها بقوة؛ يفتح الله - سبحانه - له أبواباً من العلم والفهم؛ وهو الفتاح العليم.

وبَعْدُ: فقد استقرأنا مظانَّ هذه الدعوى، وتتبعنا مواضعها في كتب القوم، فألفيناها في عدة أحاديث صحيحة يمكن أن نُجْمِلُها في ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: الأحاديث التي وردت في مصير الأطفال.

القسم الثاني: في الأحاديث التي وردت في المسخ.

(٦) ابن كثير، اختصار علوم الحديث: ص ١٧٠.
(٧) القرافي، تنقيح الفصول: ص ٤٢١.
(٨) اللكنوي، الأجوبة الفاضلة: ص ١٨٣.

القسم الثالث: الأحاديث التي وردت في التفضيل بين الأنبياء.

وسنذكر هذه الأقسام مفصلة، ونذكر تأويلاتها اللائقة بها، ونبين أنه لا تعارض بينها وبين الأحاديث الأخرى، والله الموفق لا ربَّ سواه.

أولاً: الأحاديث التي وردت في مصير الأطفال:

بوَّب البخاري في صحيحه باباً بعنوان: (باب ما قيل في أولاد المشركين)، وأورد فيه حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين».

وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «سئل النبي ﷺ عن ذراري المشركين، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين». ورواه أبو داود في سننه وزاد: «هم مع آبائهم الله أعلم بما كانوا عاملين».

وأورد البخاري أيضاً حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تُنتِج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء؟».

وروى مسلم - رحمه الله - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: توفي صبيٌّ من الأنصار، فقلت: يارسول الله! طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة؛ لم يعمل السوء ولم يدركه. قال: «أَوَ غير ذلك يا عائشة؟ إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم».

وروى أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه بسند صحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «الوائدة والموؤدة في النار».

فهذه الأحاديث استشكلها كثير من أهل العلم، فزعم بعضهم[1] أن النبي ﷺ إذ قالها كان متوقفاً، ولم يقطع بمصير أطفال المشركين. وقال أكثرهم: بل قالها قبل أن يوحى إليه ولم يكن يعلم أن أولاد المشركين في الجنة. قالوا: وقد جاءت أحاديث صريحة بأن أطفال المشركين في الجنة منها: حديث إبراهيم الخليل ﷺ؛ حيث رآه النبي ﷺ في الجنة وحوله أولاد الناس قيل: يا رسول الله وأولاد المشركين؟ قال: وأولاد المشركين». قال ابن حجر في الفتح: (ويؤيده ما رواه أبو يعلى من حديث أنس مرفوعاً: «سألت ربي اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم». إسناده حسن، وورد تفسير اللاهين بأنهم الأطفال من حديث ابن عباس مرفوعاً أخرجه البزار. وأخرج أحمد من طريق خنساء بنت معاوية بن صريم عن عمتها قالت: قلت: يا رسول الله من في الجنة؟ قال: «النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة». إسناده حسن)[2]. واحتجوا أيضاً بما رواه ابن مَنْدَه في المعرفة وأبو نعيم في الحلية وأبو يعلى في مسنده أن النبي ﷺ قال: «أطفال المشركين خدم أهل الجنة»، وقد صححه الألباني بمجموع طُرُقِه.

فقال هؤلاء: هذه الأحاديث صريحة في أن أطفال المشركين في الجنة، والأحاديث السابقة قالها النبي ﷺ قبل أن يوحى إليه ويعلم أن أطفال المشركين في الجنة.

وهذا القول مذهب كثير من أهل العلم، واختاره أبو الفرج بن الجوزي والنووي، ورجحه القرطبي. قال النووي - رحمه الله -: (وهو المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون لقوله - تعالى -: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥])[3] واحتج بالأدلة التي ذكرناها.

وقال الراسخون في العلم: الأحاديث ليست متعارضة في هذا الباب، بل يصدِّق بعضها بعضاً ويؤيد بعضها بعضاً، ولا يجوز ضرب بعضها ببعض؛ لأنها من مشكاة واحدة، وأطفال المشركين الواجب أن يقال فيهم كما قال الصادق المصدوق ﷺ: «الله أعلم بما كانوا عاملين»؛ فهو إذ خَلَقَهم أعلم بمآلهم وما كان سيصدر منهم لو بلغوا، بل هو أعلم بمآلهم قبل أن يخلقهم، وهم أجنَّة في بطون أمهاتهم، وهو بكل شيء عليم.

وقد جاء في عدة أحاديث أنهم يُمتَحَنُون في الآخرة بأن تُرفَعُ لهم نار؛ فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن أبى عُذِّب. أخرجها البزار من حديث أنس وأبي سعيد، والطبراني من حديث معاذ بن جبل. وهي وإن كانت أسانيدها ضعيفة لكنها ليست شديدة الضعف، فيمكن أن ترتقي إلى درجة الحسن، ويشهد لها حديث الأسود بن سريع في حق المجنون والمعتوه ومن في الفترة؛ وهو حديث صحيح، صححه الأئمة:

(١) القرطبي، التذكرة: ص ٥١٥.

(٢) فتح الباري: (٣/ ٢٤٦).

(٣) فتح الباري: (٣/ ٢٤٧).

كالإمام أحمد، وعبد الحق الأشبيلي، وابن كثير، وغيرهم. قال شيخ الإسلام - رحمه الله - موضحاً الحق في هذه المسألة: (والصواب أن يقال فيهم: الله أعلم بما كانوا عاملين ولا يُحكَم لمعيَّنٍ منهم بجنة ولا نار، وقد جاء في عدة أحاديث أنهم يُمتَحَنُون يوم القيامة؛ يؤمرون ويُنهَون؛ فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار وهذا هو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السُّنة والجماعة)[1].

وقال في موضع آخر: (أطفال المشركين الذين لم يكلَّفوا في الدنيا يكلَّفون في الآخرة كما وردت بذلك أحاديث متعددة، وهو القول الذي حكاه أبو الحسن الأشعري في أطفال المشركين، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»)[2].

وهذا مذهب الشافعي كما ذكره البيهقي في كتاب الاعتقاد، ويدل لصحة هذا القول ما ورد في قصة الخَضِرالذي رحل نبي الله موسى ﷺ إلى لقائه في مجمع البحرين؛ فإنه قال مبيناً السر في قتله الغلام: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠]. وفي صحيح مسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «الغلام الذي قتله الخضر طُبِع يوم طُبِع كافراً؛ ولو تُرِك لأرهق أبويه طغياناً وكفراً». قال ابن تيمية - رحمه الله -: (طُبِع؛ أي كُتِبَ؛ يعني: طبعه الله في أُمِّ الكتاب أي أثبته وكتبه كافراً، ولو عاش كفر بالفعل)[3].

وقد ضعَّف ابن عبد البر والقرطبي والحليمي وغيرهم هذا المذهب، وقالوا: الآخرة دار جزاء لا دار امتحان وابتلاء. قال القرطبي في التذكرة: (ويضعِّف هذا القولَ من جهة المعنى أن الآخرة ليست بدار تكليف وامتحان وإنما هي دار جزاء)[4]، وقال ابن عبد البر: (هو مخالف لأصول المسلمين؛ لأن الآخرة ليست بدار تكليف)، وردَّ عليهم شيخ الأسلام من عشرة أوجه[5]، وبيَّن أن التكليف إنما ينقطع بدخول دار القرار (الجنة أو النار). قال - رحمه الله تعالى -: (التكليف إنما ينقطع بدخول دار الجزاء وهي الجنة والنار، وأما عرصات القيامة فيُمتَحَنُون فيها كما يُمتَحَنُون في البرزخ؛ وقد ثبت في الصحيح من غير وجه عن النبي ﷺ أنه قال: يتجلى الله لعباده في الموقف إذا قيل: ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون، فيتبع المشركون آلتهم ويبقى المؤمنون، فيتجلى لهم الرب في غير الصورة التي كانوا يعرفون فينكرونه، ثم يتجلى لهم في الصورة التي يعرفون فيسجد له المؤمنون وتبقى ظهور المنافقين كقرون البقر فيريدون أن يسجدوا فلا يستطيعون؛ وذلك قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢])[6].

ويدل عليه - كما قال ابن القيم رحمه الله -: حديثُ آخر من يدخل الجنة، الذي يأخذ عليه ربه عهوده ومواثيقه أن لا يسأَله غير ما أعطاه؛ فثبت بهذه الأحاديث وغيرها أن التكليف لا ينقطع إلا بدخول دار القرار فإن قيل: أحاديث الامتحان فيها أمر بالمشاق وتكليف بما لا يطاق؛ فكيف تصح؟ قلنا: هذا تكليف خاص، كبقية التكاليف الخاصة، كتكليف بني إسرائيل بقتل نفوسهم لتُقبَل توبتهم، وكتكليف من لم يكن من أهل السجود في الدنيا بالسجود في الآخرة، فيصبح ظهره طبقاً؛ فلا يستطيع السجود. وهذه النار التي يؤمرون بدخولها هي من جنس نار الدجال التي تكون على من دخلها برداً وسلاماً.

وأحسن من تكلَّم في هذه المسألة العلاَّمة ابن القيم في طريق الهجرتين؛ فقد حقق القول فيها غاية التحقيق وأجاد وأفاد وذكر فيها ثمانية مذاهب، وهي تدل على سِعَة عِلْمِه، رحمه الله تعالى.

أما حديث عائشة الذي ذكرتُه سابقاً فهو يدل على أنه لا يشهد لولد المؤمنين المعيَّن بجنة ولا نار، كما لا يشهد للمؤمن المعيَّن بجنة ولا نار؛ فإن الغلام الذي قتله الخَضِر كُتِب كافراً وكان أبواه مؤمنين، وأما حديث الوائدة والموؤدة في النار، فقد قاله النبي ﷺ في هذه الموؤدة بعينها، كما يدل عليه سياق الحديث؛ فالعبرة هنا بخصوص السبب لا بعموم اللفظ؛ وهذه الموؤدة دخلت النار بسبب آخر علمه النبي ﷺ؛ فهو مثل قوله: «القاتل والمقتول في النار» فإن المقتول إنما يدخل النار إذا كان حريصاً على قتل صاحبه، فإذا كان قوله: «القاتل والمقتول في النار» ليس على عمومه فهكذا قوله: «الوائدة والموؤدة في النار» ليس على عمومه. قال العلاَّمة

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (٢٤/ ٣٧٢).
(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (٢٤/ ٣٧٢) و (٤/ ٣٠٣).
(٣) ابن القيم، شفاء العليل: ص ٤٧٧.
(٤) القرطبي التذكرة: ص٥١٤.
(٥) ابن القيم طريق الهجرتين: ص٤٧٦.
(٦) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (٢٤/ ٣٧٢) و (١٧/ ٣٠٩).

ابن القيم: (وكونها موؤودة لا يمنع دخولها النار بسبب آخر، وليس المراد أن كونها موؤودة هو السبب الموجب لدخولها النار، حتى يكون اللفظ عاماً في كل موؤودة وهذا ظاهر)[1].

ثانياً: الأحاديث التي وردت في المسخ:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «فُقدَت أمَّة من بني إسرائيل لا يُدرَى ما فعلت، وما أراها إلا الفأر؛ ألا ترونها إذا وُضِعَ لها ألبان الإبل لم تشربْه، وإذا وُضِعَ لها ألبان الشاء شربته؟».

وروى مسلم عن جابر - رضي الله عنه - قال: أُتي النبي ﷺ بضبٍّ فأبى أن يأكل منه وقال: «لا أدري لعله من القرون التي مُسِخَت».

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الحيات مسخ الجن ، كما مُسِخَت القردة والخنازير من بني إسرائيل»[2].

وروى مسلم عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: «قال رجل: يا رسول الله القرد والخنازير هي مما مُسِخ؟ فقال النبي ﷺ: إن الله لم يجعلْ لمسخ نسلاً ولا عقباً، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك».

لقد اختلف العلماء في معاني هذه الأحاديث، فأخذ بعضهم بظاهر الأحاديث الأُوَلَى وزعموا أن الممسوخ يَنْسُل، وأن هذه القردة والخنازير هي من نَسْل بني إسرائيل الذين مُسِخُوا وكذلك الفأر والضب. وهو قول أبي إسحاق الزجاج واختاره القاضي أبو بكر بن العربي[3].

وقال الجمهور: إن الممسوخ لا يَنْسُل، وإن القردة والخنازير وغيرها كانت قبل ذلك، والذين مسخهم الله قد هلكوا، ولم يبقَ لهم نسلٌ؛ لأنه قد أصابهم السخط والعذاب فلم يكن لهم قرار في الدنيا بعد ثلاثة أيام، وقال ابن عباس: لم يعشْ مسخ قط بعد ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب ولم يَنْسُل.

قالوا: ويدل عليه حديث ابن مسعود الذي ذكرناه آنفاً: «إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقباً»، واختلفوا في معنى أحاديث الفأر والضب، فقال بعضهم: أحاديث الفأر والضب قالها النبي ﷺ قبل أن يوحى إليه أن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقباً، وهذا قول كثيرٍ من أهل العلم ورجَّحه القرطبي وابن حجر وغيرهما. قال القرطبي: (وكان هذا حدساً منه ﷺ قبل أن يوحى إليه أن الله لم يجعل للمسخ نسلاً، فلما أوحى إليه بذلك زال عنه ذلك التخوف، وعلم أن الضب والفأر ليسا مما مُسِخ)[4].

قلت: الأحاديث ليست متعارضة؛ لأنها أخبار والأخبار لا تتعارض؛ لأنها إن تعارضت لزم أن يكون بعضها كذباً، والنبي ﷺ منزَّه عن ذلك باتفاق، وإنما ينبغي تأويلها لتأتلف ويتفق معناها.

وقال الحازمي في الاعتبار: «ومهما أمكن حَمْلُ كلام الشارع على وجه يكون أعمَّ للفائدة؛ كان أَوْلَى؛ صوناً لكلامه عن سمات النقص»[5]؛ فلا بد أن تؤوَّل هذه الأحاديث تأويلاً صحيحاً بعيداً عن التعسف، ولا يؤدي إلى تعطيل اللفظ أو تحريفه.

وقال إمام الحرمين: «مما غلَّط الشافعي - رضي الله عنه - على المؤوِّلين كلُّ ما يؤدي فيه التأويل إلى تعطيل اللفظ»[6].

وبناءً عليه نقول - والله أعلم -: إن الأحاديث لا تعني أن الفأر الموجود الآن هي من بني إسرائيل الممسوخين، وإنما تعني أن بني إسرائيل وقع فيهم مسخٌ إلى الفأر، ويدل على هذا التأويل حديث ابن عباس: «الحيات مسخ الجن ، كما مُسِخَت القردة والخنازير من بني إسرائيل»؛ فإن ظاهره يوحي بذلك، وراوي هذا الحديث هو ابن عباس القائل: لم يعشْ مسخ قط فوق ثلاثة أيام. قال العلاَّمة الألباني - رحمه الله -: «إن الحديث لا يعني أن الحيات الموجودة الآن هي من الجن الممسوخ وإنما يعني أن الجن وقع فيهم مسخ إلى الحيات». وهذا التأويل كالمتعين؛ لأنه جارٍ على منهج الفصحاء، وأسلوب البلغاء، وليس فيه تعسُّف ولا يؤدي إلى تعطيل اللفظ أو تحريفه؛ فإن قيل: فما وجه امتناعه ﷺ عن أكل الضب وقوله: «لعله من القرون التي مسخت»؟ قلنا: لا جرم أنه ﷺ كان يشك: هل وقع المسخ إلى الضب أم لا؟ وإذا كان قد وقع إليه المسخ، فهو حرام قطعاً؛ لأن المسخ لا يقع إلا إلى الحيوان الخبيث لوجود الشبه بين الممسوخ والممسوخ إليه ثم لا يزال هذا الشبه كما يقول ابن القيم يقوى ويتزايد حتى يصيرَ ظاهراً على الوجه، ثم يقوى حتى يَقْلِبَ

(١) ابن القيم، طريق الهجرتين: ص٥٤٧.
(٢) الألباني، السلسلة الصحيحة.
(٣) القرطبي، سورة البقرة: آية ٦٥.
(٤) المصدر السابق.
(٥) الحازمي، الاعتبار: ص ١١.
(٦) البرهان: (١/ ٥٥١).

الصورة الظاهرة، كما قلب الهيئة الباطنة، ومن له فِراسة تامة يرى على صور الناس مسخاً من صور الحيوانات التي تخلَّقوا بأخلاقها في الباطن؛ فالظاهر مرتبط بالباطن أتمَّ ارتباط، وعقوبات الرب - تعالى - جارية على وَفْقِ حكمته وعدله[1]، ويدل على هذا المعنى قوله ﷺ: «وإني لا أراها إلا الفأر؛ ألا ترونها إذا وُضِعَ لها ألبان الإبل لم تشربه وإذا وُضِعَ لها ألبان الشاء شربته»؛ فهو ﷺ قد استدل على وقوع المسخ إلى الفأر بوجود الشبه بين المسوخ والممسوخ إليه، وتبيَّن له أن الضب لم يقع إليه المسخ، فأُكِل بين يديه وعلى مائدته، ولم ينكِر، وقال: «إنه ليس من طعام قومي أجدني أعافه»[2].

وبهذا تجتمع الأدلة ويرتفع التعارض، ولله الحمد والمنَّة.

ثالثاً: الأحاديث التي وردت في التفضيل بين الأنبياء:

روى مسلم وأبو داود عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأوَّل من ينشق عنه القبر، وأوَّل شافعٍ، وأوَّل مشفَّع».

وروى مسلم وأبو داود والترمذي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «جاء رجل إلى الرسول ﷺ، فقال: يا خير البرية، فقال رسول الله ﷺ: ذاك إبراهيم، عليه السلام».

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تخيِّروني على موسى؛ فإن الناس يصعقون فأكون أوَّل من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان فيمن صُعِق فأفاق قبلي، أم كان ممن استثنى الله؟».

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله - عز وجل - لا ينبغي لعبد لي أن يقول: أنا خير من يونس بن متى، عليه السلام».

إن هذه الأحاديث من مشكاة واحدة، ولا تعارض بينها البتة، والله سبحانه - فضل بعض الأنبياء على بعض، وكل نبي له منزلة لم يبلغها غيره، وكلٌّ منهم اختص بخصيصة

(١) ابن القيم إغاثة اللهفان: ص٤١٠.
(٢) الألباني، السلسلة الصحيحة.

وتفرَّد بفضيلة كما جاء في هذه الأحاديث وغيرها، وإن كان نبينا ﷺ سيدَهم وأفضلَهم وأكملَهم.

أما قوله ﷺ: «خير البرية إبراهيم»، فقد قال عنه النووي في شرحه: «قال العلماء: إنما قال ﷺ هذا تواضعاً واحتراماً لإبراهيم ﷺ لِخُلَّته وأُبوَّته، وإلا فنبينا أفضل. قال: وقيل: يُحتَمَل أنه ﷺ قال: خير البرية إبراهيم قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فإن قيل: التأويل المذكور ضعيف؛ لأن هذا خبر؛ فلا يدخله خَلَف ولا نسخ، فالجواب: أنه لا يمتنع أنه أراد أفضل البَرية الموجودين في عصره، وأطلق العبارة الموهِمَة للعموم؛ لأنه أبلغ في التواضع، وقد جزم صاحب التحرير بمعنى هذا فقال: المراد أفضل برية عصره»[3].

وأما الحديث الآخر: «لا تفضلوا بين الأنبياء»، وفي رواية: «لا تخيروني على موسى»، فقد ذكر النووي - رحمه الله - أن جوابه من خمسة أوجه:

أحدها: أنه قاله ﷺ قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فلما علم أخبر به.

الثاني: أنه قاله أدباً وتواضعاً.

الثالث: أن النهي إنما هو عن تفضيلٍ يؤدي إلى تنقيص المفضول.

الرابع: إنما نهى عن تفضيلٍ يؤدي إلى الخصومة والفتنة، كما هو مشهور في سبب الحديث.

الخامس: أن النهي مختص بالتفضيل في النبوة نفسها؛ فإنه لا تفاضل فيها وإنما التفاضل في الخصائص وفضائل أخرى، ولا بد من اعتقاد التفضيل؛ فقد قال - تعالى -: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣][4]

قلت: الوجه الأول هو الذي كان الغرض إبطاله وقد ذكرنا الأدلة على فساده، والأوجه الأربعة محتمَلة، والله أعلم وأحكم.

(٣) النووي، شرح صحيح مسلم: (١٥/١٢١).
(٤) النووي شرح صحيح مسلم: (١٥/٤٠).

حُسْنُ الخلق

دراسة موجزة في مختلف جوانبه ومناحيه

محمد أكجيم(*)

عُني الإسلام عناية بالغة بالأخلاق حتى جعلها النبي ﷺ المقصد من بعثته؛ حيث قال: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»(١) وكانت الآيات التي تتنزل في مكة تحث على الإيمان والتحلي بالأخلاق الفاضلة قبل أن يهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وكان مما نزل منها قوله - تعالى -: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣].

بل بلغت عناية النبي ﷺ بالأخلاق أن جعل يفكر - وهو على فراش الموت - في الخدم الضعفاء خشيةَ أن تُهدَر حقوقهم؛ فجعل ذلك من عامة وصيته. يقول أنس - رضي الله عنه -: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة: «الصلاةَ وما ملكت أيمانكم»(٢).

بالخلق الحسن مع الإيمان: تُصد هجمات الأعداء؛ فالعدو إنما يتسلل ويبث سمومه في الأمة المنهارة في أخلاقها

تعريف الخلق الحسن:

هو بذل الندى وكف الأذى ببذل الخير للناس وكف الشر عنهم.

فوائده:

- التحلي بالخلق الحسن مع الإيمان بالله: هو امتثال لأمر الله - تعالى - في مثل قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

لقد جمع الله - تعالى - مكارم الأخلاق في هذه الآية وأمر بالأخذ بها والتحلي بما ورد فيها.

- التحلي بالخلق الحسن مع الإيمان: طاعة لرسول الله ﷺ حين أمر معاذاً - رضي الله عنه - فقال: «وخالِقِ الناسَ بخُلُق حَسَن»(٣).

- التحلي بالخلق الحسن مع الإيمان: اقتداءً برسول الله ﷺ أزكى الناس نفساً وأكرمهم خُلقاً يقول الله - تعالى -: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

- بالخلق الحسن مع الإيمان: يحصل

(*) باحث في الدراسات العليا، مكناس - المغرب.

(١) المسند: ٢/٣٨١، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢١٩٧.

(٢) سنن أبي داود: ٥١٥٦، وابن ماجه: ٢٦٩٧، وصححه الألباني في الإرواء: ٢١٧٨.

(٣) سنن الترمذي: ١٩٨٧، وقال: حديث حسن صحيح.

الوئام والتآلف في المجتمع يقول الله – تعالى –: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

– بالخلق الحسن مع الإيمان: يتمكن المرء من إصلاح ذات البين والله – تعالى – يقول: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

فحسن الخلق مَرْضي عند جميع الأطراف؛ وبذلك يستطيع ـ بتوفيق الله ـ أن يجمع بين القلوب المتنافرة والآراء المتباينة، كما رضيت قريش النبيَّ ﷺ حَكَماً بينها في وضع الحجر الأسود في موضعه حين كادت الحرب أن تقع بينهم فيمن هو أحق بوضعه[١].

– بالخلق الحسن مع الإيمان: تعمر الديار وتزيد الأعمار؛ ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «حُسْنُ الخلق وحُسْنُ الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار»[٢].

– بالخلق الحسن مع الإيمان: تُستر العيوب الخَلْقية؛ فقد يُبتلَى المرء بآفات خَلْقية، ولكن ذلك لا يقصِّر به عن مجد ولا يقعد به عن سؤدد إذا رُزق بخُلق حسن وعقل راجح؛ فحسن الخلق يغطي غيره من القبائح، كما أن سوء الخلق يقبح غيره من المحاسن.

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عِرضُه
فكل رداء يرتديه جميلُ

– والمؤمن الخيِّر من الناس: من حسنت أخلاقه؛ ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «خياركم أحاسنكم أخلاقاً»[٣].

– بالخلق الحسن مع الإيمان: تُصد هجمات الأعداء؛ فالعدو إنما يتسلل ويبث سمومه في الأمة المنهارة في أخلاقها، وأما الأمة التي تتمتع بالأخلاق الفاضلة ففي حصانة ومَنَعة من كيده.

– والملائكة قريبة من المؤمنين ذوي الأخلاق الحسنة والشياطين بعيدة منهم:

وفي قرب الملائكة منهم قرب من صالح الأعمال، وفي بُعد الشياطين عنهم بُعدٌ عن مساوئ الأعمال؛ فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رجلاً شتم أبا بكر – رضي الله عنه – والنبي ﷺ جالس، فجعل النبي ﷺ يتبسم، فلما أكثر رد عليه أبو بكر بعض قوله، فغضب النبي ﷺ وقام، فلحق به أبو بكر، فقال: يا رسول الله! كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت؟ قال: «إنه كان معك مَلَك يرد عنك، فلما رددتَ عليه بعض قوله وقع الشيطان؛ فلم أكن لأقعد مع الشيطان»[٤].

(١) المسند: ٣/ ٤٢٥، وحسن الألباني إسناده في حاشية فقه السيرة للغزالي: ٨٤.
(٢) المسند: ٦/ ١٥٩، وصححه الألباني في الصحيحة: ٥١٩.
(٣) البخاري: ٧/ ٨٢، ومسلم: ٢٣٢١.
(٤) سنن أبي داود: ٤٨٩٦– ٤٨٩٧، وصححه الألباني في الصحيحة: ٢٢٣١.

والمرء إنما تُعرف أخلاقه في بيته مع أهله

فتأمَّل كيف جعل النبي ﷺ الأخلاق الحسنة عواصم من كيد الشيطان.

والله – تعالى – يقول: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٣] فالشياطين إنما تقترن بمن يشابهها ويشاكلها. والأفاك: هو الكذوب في قوله. والأثيم: هو الفاجر في فعله. وهذه صفات المنحرفين في أخلاقهم، ولذلك فإن الشياطين كثيراً ما تتسلط على ذوي الخلق السيئ، بل قد يكون من أعظمهم إصابة بمسها.

والمرء لا يكمل إيمانه إلا بحسن الخلق؛ ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»[٥].

تأصيل وتصحيح في المفهوم:

وجماع الخير في حسن الخلق؛ ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «البِرُّ حُسْن الخُلُق»[٦].

وها هنا ينبغي أن يُعلَم أن من حسن الخلق: التأدب مع الله بالإيمان به وطاعته وعبادته دون أحد سواه، بل هو أَوْلَى ما دخل في حسن الخلق؛ لأن كلمة البر تطلق على فعل جميع الطاعات بدليل قوله – تعالى –: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فكل من كان حَسَن الخلق مع الخَلْق لكنه لا يعبد الخالق، فهو سيِّئ الخُلق؛ لأنه لم يحقق سيد الخُلق؛ ألا وهو التأدب مع الخالق المحسن البَر الرحيم، بل لا يُقبل منه شيء من أخلاقه؛ فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قلت: يا رسول الله! ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين؛ فهل ذاك نافعه؟ قال: «لا ينفعه؛ إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»[٧].

(٥) سنن الترمذي: ١١٦٢، وصححه الألباني.
(٦) مسلم: ٤٦٣٢ – ٤٦٣٣.
(٧) مسلم: ٣١٥.

– المؤمن الحسن الأخلاق: محبوب عند الله؛ سئل النبي ﷺ من أحب عباد الله إلى الله؟ فقال: «أحسنهم خلقاً»[1].

المؤمن الحسن الأخلاق: محبوب عند رسول الله قريب من مجلسه يوم القيامة؛ ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»[2].

– المؤمن حسن الأخلاق: محبوب عند الناس، ومن أحبه الله وضع له القبول في الأرض، والناس مفطورون على حب من أحسن إليهم، ولربما أطاعوه لحسن أخلاقه.

أحسِنْ إلى الناس تستعبدْ قلوبهم
فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

– وأثقل شيء في الميزان يوم القيامة: حسن الخلق مع الإيمان؛ ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حسن الخلق»[3].

– وأعظم ما يُدخِل الناس الجنة: حسن الخلق مع الإيمان؛ ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «وأعظم ما يُدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق»[4].

– وبالأخلاق الحسنة مع الإيمان: تُرفع الدرجات؛ ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[5].

– وصاحب الخلق الحسن: بإيمانه في أعلى الجنة؛ ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة[6] لمن ترك المراء وإن كان محقاً وببيت في وسط الجنة، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسُن خلقه»[7].

– وبالأخلاق الحسنة عُرِف صدق الأنبياء والمرسلين وبضدِّها عُرف كذب الأدعياء والمفترين. يقول ابن كثير – رحمه الله –: فمن شِيَم كلٍّ منهما وأفعاله يستدل من له بصيرة على صدق (محمد ﷺ) وكذب مسيلمة الكذاب. يقول عبد الله بن سلام: لما قدم النبي ﷺ المدينة انجفل الناس قِبَلَه[8] فكنت فيمن انجفل، فلما رأيته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. قال: فكان أول ما سمعته يقول: «يا أيها الناس! أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصِلوا الأرحام وصلُّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»[9].

لو لم تكن فيه آيات مبينة
كانت بديهته تأتيك بالخبرِ

والخلق الحسن يبذله المسلم في جملته لجميع الناس مسلمهم وكافرهم؛ فقد قال الله – تعالى –: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] وقال رسول الله ﷺ لمعاذ – رضي الله عنه – حين أرسله إلى اليمن: «وخالِقِ الناسَ بخلق حسن»[10] وكان أهل اليمن نصارى كما في الصحيحين: «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب...»[11].

والخلق الحسن مأمور ببذله للحيوان البهيم. رأى النبي ﷺ جَمَلاً فحنَّ وذرفت عيناه فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه[12] فسكت، فقال: «مَنْ ربُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟» فجاء فتى من الأنصار، فقال: لي يا رسول الله! فقال: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؛ فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتُدئبه»[13].

وهو القائل ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»[14].

ميزانه:

والمرء إنما تُعرف أخلاقه في بيته مع أهله؛ فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[15] لأن الإنسان قد يصطنع خارج بيته خلقاً حسناً ويتصبر عليه؛ لأن وجوده مع الناس قصير المدى، فإذا لقي أهله كان أسوأ الناس خلقاً وأشحهم نفساً وأقلهم خيراً، ولا شك أن من كان كذلك فهو محروم التوفيق.

ففي البيت يُكتشف لين المرء من فظاظته وكرمه من بخله وأناته من عجلته، ومَن ملَك نفسه عند أهله ظهرت خيريته، ومن لم يحسن تدبير بيته، فكيف يحسن تدبير غيره؟

وبالسفر والجوار والبيع والشراء تُعرف أخلاق الرجال. شهد رجل عند عمر – رضي الله عنه – ولم يكن يعرفه، فقال: ائت بمن يعرفك، فقال رجل من القوم: أنا أعرفه. قال: بأي شيء تعرفه؟ قال: بالعدالة والفضل، فقال: هو جارك الأدنى الذي تعرف ليله ونهاره ومدخله ومخرجه؟ قال: لا. قال: فعاملك بالدينار والدرهم اللذَيْن يُستدل بهما على الورع؟ قال: لا. قال:

(١) الطبراني في الكبير: ١/ ١٨١، وقال الهيثمي في المجمع : رجاله رجال الصحيح: ٨/ ٢٤.
(٢) سنن الترمذي: ٢٠١٨، وصححه الألباني فيه.
(٣) سنن أبي داود: ٤٧٩٩، والترمذي: ٢٠٠٢ – ٢٠٠٣، وقال : حسن صحيح، وصححه الألباني في الصحيحة: ٨٧٦.
(٤) سنن الترمذي: ٢٠٠٤، وابن ماجه: ٤٢٤٦، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ١٦٣٠.
(٥) سنن أبي داود: ٤٧٩٨، وصححه الألباني في الصحيحة: ٧٩٥.
(٦) ربض الجنة : أدناها.
(٧) سنن أبي داود: ٤٨٠٠، وصححه الألباني فيه: ٤٠١٥.
(٨) انجفل الناس : ذهبوا مسرعين.
(٩) سنن الترمذي: ٢٤٨٥، وابن ماجه: ١٣٣٤، وصححه الألباني فيهما. ذكر ذلك ابن كثير في تفسير قوله – تعالى – : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [يونس: ١٧].
(١٠) سبق تخريجه.
(١١) البخاري: ١٤٠١ – ٤٠٠٠، ومسلم: ٢٧.
(١٢) الذفرى: مؤخر الرأس.
(١٣) سنن أبي داود: ٢٥٤٩، وصححه الألباني فيه. تدئبه: تنهكه وتتعبه.
(١٤) مسلم: ٣٦١٥.
(١٥) سنن الترمذي: ٣٨٩٥، وابن ماجه: ١٩٧٧، وصححه الألباني في الصحيحة: ٢٨٥.

فرفيقك في السفر الذي يُستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا. قال: لست تعرفه، ثم قال للرجل: ائت بمن يعرفك[1].

واقع الأمة وحاجتها:

الأمة اليوم تعاني من التقصير الخُلقي أشد العناء حتى تكاد لا تجد في الناس أميناً، وحتى خُوِّن الأمين وائتُمن الخائن، وهذا التقصير رجع على دين الإسلام بالتهمة؛ لأن الناس إنما ينسبون تصرفات المسلمين إلى الإسلام؛ فأصبح المسلمون يسيئون إلى دينهم من حيث لا يشعرون.

ومهما يكن من هذا التقصير، فإنه متى جدَّ المرء في تقويمه وتغييره وجد ذلك سهلاً ميسوراً بإذن الله. وهذا الحيوان البهيم تُراضُ أخلاقه وتُغيَّر؛ أفلا تُراضُ أخلاق الإنسان السوي العاقل وتبدل؟

وهؤلاء صحابة رسول الله ﷺ قبل البعثة كانوا كسائر كثير من العرب ممن يتصفون بالشدة والقسوة والغلظة، فلما دخلوا في الإسلام رقَّت طباعهم وحسنت أخلاقهم، بل إنهم أصبحوا مثالاً يحتذى ونهجاً يُقتفى.

والمؤمن الحق لا يُؤتى الإسلام من قِبَله؛ فهو دائم اليقظة الخُلقية، صادق التحري لأداء حقوق غيره عليه، بعيد الأذية لهم، حتى إنه ليحاسب نفسه على قشر الفاكهة يلقيه بطريق الناس.

أسباب اكتساب الخلق الحسن:

ولاكتساب الأخلاق الحسنة أسباب إذا أخذ العبد بها استقامت سيرته بإذن الله.

منها: قوة الإيمان وسلامة العقيدة؛ فالسلوك ثمرة لما يحمله الإنسان من عقيدة، والانحراف في السلوك إنما هو ناتج عن خلل في المعتقد، ثم إن العقيدة هي الإيمان و: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»[2].

فالعقيدة الصحيحة تحمل صاحبها على مكارم الأخلاق من صدق وحلم وكرم وشجاعة... ونحو ذلك، كما أنها تردعه عن مساوئ الأخلاق من كذب وشح وطيش... ونحوها.

ومنها: الدعاء؛ فمن رغب بالتحلي بمكارم الأخلاق ورغب بالتخلي عن مساوئها فليلجأ إلى ربه وليرفع إليه أكف الضراعة ليرزقه حسن الخُلق ويصرف عنه سيئه. ولهذا كان النبي ﷺ كثير

المؤمن حسن الأخلاق: محبوب عند الناس، ومن أحبه الله وضع له القبول في الأرض، والناس مفطورون على حب من أحسن إليهم.

الضراعة إلى ربه ليرزقه حسن الخلق ويصرف عنه سيئه وكان يقول في دعاء الاستفتاح: «اللهم! اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت»[3].

وكان من دعائه ﷺ: «اللهم! جنبني منكرات الأخلاق والأهواء والأعمال والأدواء»[4].

ومنها: المجاهدة، والخُلق نوع من الهداية يحصل عليه المرء بالمجاهدة الدائمة المستمرة. قال - تعالى - ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا** ﴾ [**العنكبوت**: ٦٩].

ومنها: التفكر في الآثار المترتبة على حسن الخلق والنظر في عواقب سوء الخلق.

ومنها: أن يضع المرء نفسه موضع الآخرين؛ فلا يؤتي الناس إلا ما يحب أن يؤتوه إياه. وهي قاعدة عظيمة في التمييز بين الأخلاق الحسنة والسيئة، أرشد إليها النبي ﷺ بقوله: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[5].

ومنها: مصاحبة الأخيار وأهل الأخلاق الفاضلة.

وأهمها: إدامة النظر في السيرة النبوية الشريفة ثم النظر في سيرة الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - وقراءة سِيَر أهل الفضل والصلاح.

وبالجملة: أن ينتفع الإنسان بكل من خالطه وصاحبه، وإن كثيراً من العقلاء يتعلم من الحيوانات البُهْم أموراً تنفعه في معاشه وأخلاقه وصناعته وحربه وحزمه وصبره.

قيل لرجل: من علَّمك البكور في حوائجك أول النهار لا تُخِل به؟

قال: من عَلَّم الطير تغدو خماصاً كل بكرة في طلب أقواتها على قربها وبعدها لا تسأم ذلك ولا تخاف ما يَعرِض لها في الجو والأرض.

والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها.

المراجع:

١ - سوء الخلق: مظاهره - أسبابه - علاجه، محمد بن إبراهيم الحمد.

٢ - الموعظة الحسنة في الأخلاق الحسنة، عبد الملك بن أحمد رمضاني.

(١) ذكر الصنعاني في سبل السلام: ٤/ ١٢٩ أن ابن كثير حسنه في الإرشاد، وكذلك حسنه العجلوني في كشف الخفا: ١/ ٥٤٩.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مسلم: ٧٧١.

(٤) الحاكم في مستدركه وصححه، ووافقه الذهبي: ١/ ٥٣٢.

(٥) متفق عليه.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾

[الحج : ٣٢]

د.هشام عبد القادر عقدة

قال البخاري – رحمه الله – في صحيحة: باب وَسْـــم الإمام إبل الصدقة بيده. حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا الوليد حدثنا أبو عمرو الأوزاعي حدثني إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة حدثني أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: «غدوت إلى رسول الله ﷺ بعبد الله بن أبي طلحة ليحنكه، فوافيته في يده المِيسَم يَسِمُ إبل الصدقة».

إنه مشهدٌ مَنْ أعطاه حقَّه من التأمل امتلأ قلبه بسيل من المعاني العظيمة واهتزت نفسه تأثراً وإعجاباً.

إن هذا الحديث حين قرأته لأول مرة ســـرت في جســـدي رِعشَـــة وانتابتني ألوان من المشاعر وفيوض من العاطفة جعلتني أقول: (بأبي أنت وأمي يا رسول الله!)، أين القادة والعلماء والمشايخ والمفكرون وكل الموجهين ليروا ماذا يصنع نبي الأمة وقائدها ومربيها؟ يجلس بين الإبل ويمســـك بيده المِيْسَم ليختم به إبل الصدقة، أين هم ليتعلموا ويدركوا من ذلك أعظم المعاني ويربوا أنفسهم بهديه ﷺ؟

والمِيسَم بكسر الميم وفتح السين: (هي الحديدة التي يوسم بها؛ أي يعلَّم، وهو نظير الخاتم. والحكمة فيه تمييزها، وليردَّها من أخذها ومن التقطها، وليعرفها صاحبها؛ فلا يشتريها إذا تصدَّق بها – مثلاً – لئلا يعود في صدقته) ا هـ[1].

وقد يتساءل بعض الناس: ألم يكن هنالك من يكفي رسولَ الله ﷺ هذا الأمر حتى يتفرغ لما هو أهم من أمور الأمة، وإكراماً

(١) فتح الباري: ٣ / ٤٢٩، ح ١٥٠٢.

له أن ينالَه من هذا العمل وَسَخُ اليدين وتغير رائحتها فضلاً عن التعب والنصب في أمر يستطيعه أي فرد من عموم المسلمين؟

كلا فذلك منطق من ابتلوا بكثافة الطبع، وانشغلوا بحفظ الناموس، وبعضهم الموت أهون عليه من أن يُرَى وهو يزاول مثل تلك الأعمال البعيدة عمَّا ينبغي أن ينشغل به العباقرة وأصحاب الثقافة العالية (الحضارية)، أو تلك التي ينبغي أن يترفع عنها أهل العلم والفضل الذين يجب أن يكونوا بمنأىً عن ممارسة أي عمل من أعمال المهنة كذلك العمل.

أما من رزقهم الله حياة القلب وصفاء النفس فإنهم يجدون في ذلك من اللذة ومعاني العبودية وصلاح القلب ما لا يدركه أولئك المصونون، أو الذين يصونون أنفسهم عن ذلك؛ وهم على مكاتبهم، أو في قصورهم، أو على مِنَصَّة التوجيه.

إن إبل الصدقة هي الزكاة المأخوذة من أصحاب الإبل. والزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام وشعيرة عظيمة من شعائر الدين. والاهتمام بالزكاة والمحافظة عليها أكثر من المال الشخصي إنما يصدر عن تعظيم أمر الله - عز وجل - وذلك من تقوى القلوب: ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ [**الحج**: ٣٢]. ثم إن ممارسة هذا العمل (أعني: وَسْمَ الإبل) من نبيِّ هذه الأمة وقائدها إنما يدل على التواضع والبساطة وعدم التكلف، ويمثل عملية تربوية للأتباع والمتبوعين.

قال المهلب وغيره تعليقاً على هذا الحديث: (وفيه اعتناء الإمام بأموال الصدقة وتولِّيها بنفسه، ويلتحق به جميع أمور المسلمين)[١]، وقال ابن حجر - رحمه الله -: (وفيه مباشرة أعمال المهنة، وتَرْكُ الاستنابة فيها للرغبة في زيادة الأجرة ونفي الكبر) اهـ[٢].

ومن المؤسف أن كثيراً من القربات وأعمال الطاعات عزف عنها كثير من الخاصة وأهل الفضل، ورأوا أنها لا تناسبهم، حتى الأذان والإمامة صار ذلك مما يوكل لبعض الضعفاء الذين ينظر إليهم أهل المسجد نظرتهم إلى الخادم المستأجَر للقيام ببعض الأعمال، ولا يعطونه حقه من التقدير كبراً أو استخفافاً؛ على خلاف ما جعله الشارع لإمام الصلاة من المرتبة العالية، حتى إن الصحابة استدلوا على خلافة الصديق بأن رسول الله ﷺ رضيه إماماً لهم في الصلاة. ومرتبة الإمام أن يأمر وينهى ويعلِّم أهل المسجد لا أن يكون هو المؤتمِر بأمرهم، المشفق من التفوه بكلمة في حضورهم.

وإذا أردنا أن ننتقل من التعليق على ذلك المشهد إلى مشهد آخر من مشاهده ﷺ التي يعظِّم فيها شعائر الله فإننا سنجد البخاري - رحمه الله - يذكر لنا أيضاً في صحيحة هذا الباب في كتاب الحج فيقول: باب من نحر هديه بيده. حدثنا سهل بن بكار حدثنا وهيب عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس، وذكر الحديث. قال: «ونحر النبي ﷺ بيده سبع بُدْنٍ قياماً، وضحى بالمدينة كبشين أملحين أقرنين»[٣].

وهذا أيضاً مشهد له دلالته؛ وهي حرصه ﷺ على ممارسة الشعائر بيده ولو كانت نحراً وذبحاً؛ وذلك من الاهتمام بشعائر الله وتعظيمها. قال - تعالى -: ﴿**وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ**﴾ [**الحج**: ٣٦]، وقد كان ﷺ أرصد للهدي مائة بدنة كما في حديث علي - رضي الله عنه - عند البخاري أيضاً[٤]. ولم تكن البُدْن التي ذبحها ﷺ بيده سبعاً فقط، بل هي بعض ما ذبحه؛ ففي صحيح مسلم في حديث جابر الطويل: «ثم انصرف النبي ﷺ إلى المنحر فنحر ثلاثاً وستين بدنة، ثم أعطى علياً فنحر ما غبر وأشركه في هديه، ثم أمر من كل بَدَنَة ببِضْعَة فجُعِلَت في قِدْرٍ فطبخت، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها»[٥].

فإذا ما تركنا مشهد نحر البُدْن وانتقلنا إلى بناء مسجده ﷺ فإننا سنجد ذلك المشهد في ما رواه البخاري عن أنس - رضي الله عنه - قال: «فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين فنبشت، ثم بالخِرَب فسويت، وبالنخل فقطع. فصفوا النخل قبلة المسجد، وجعلوا عِضَادَتَيْه الحجارة، وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون، والنبي ﷺ معهم وهو يقول: «اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة»[٦].

وفي حديث آخر عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - وهو يذكر بناء المسجد قال: «كنا نحمل لَبِنَة لَبِنَة وعمَّار يحمل لبِنَتين لبِنَتين. فرآه النبي ﷺ، فينفض التراب عنه ويقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار. قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن»[٧].

(١) الفتح: ٣/ ٤٣٠.
(٢) الفتح: ٣/ ٤٣٠.
(٣) الفتح: ٣/ ٦٤٤، ح:١٧١٢.
(٤) حديث رقم: ١٧١٨.
(٥) الفتح: ٣/ ٦٤٩.
(٦) الفتح: ١/ ٦٢٤.
(٧) الفتح: ١/ ٦٤٤، ح ٤٤٧.

فالرسول ﷺ ليس بعيداً عن الأحجار والصخور والأتربة وما إلى ذلك مما يكون في البناء؛ فعمله بيده ﷺ ووجوده مع أصحابه في بناء المسجد لهُوَ أيضاً من تعظيم شعائر الله مع ما فيه كذلك من مخالطة القائد للرعية في أمور المهنة والأعمال اليدوية، وإكرامهم والإحسان إليهم، ومشاركتهم في إنشادهم أو ارتجازهم في بساطة وحنوٍّ... وتأمَّل أخي القارئ تلك المسحة الحانية للتراب عن عمار - رضي الله عنه - ليزيل عنه غبار اللَّبِن الذي ينقله.

وختاماً هذا مشهد آخر في شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام هي ذروة سَنامه؛ ألا وهي الجهاد، وهو مشهد قريب في طبيعته ومعناه، بل بعض عباراته من مشهد مشاركته ﷺ في بناء المسجد؛ فقد روى البخاري في صحيحه عن البراء - رضي الله عنه - قال: «رأيت رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب - وقد وارى التراب بياض إبطيه - وهو يقول: لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزل السكينة علينا، وثبت الأقدام إن لاقينا، إن الأُلَى قد بغوا علينا، إذا أرادوا فتنة أبينا»[1] وفي حديث أنس - رضي الله عنه -: «فلما رأى ما بهم من النَّصَب والجوع قال: اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة! فقالوا مجيبين له: نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً»[2].

تأمَّل - أخي القارئ - كيف اختلف سمتنا وسلوكنا عن سمته ﷺ وسلوكه؟ من أين أتينا بذلك الترفع والانقباض إذا ما أكرمنا الله بعلم أو إمامة للناس أو نحو ذلك من مناصب القيادة والتوجيه؛ حتى صار ارتجاز الشيخ أو المعلم مع عموم المسلمين الصالحين أثناء عمل شاق كهذا - فضلاً عن المشاركة فيه ومعالجة التراب والصخر ونقل الحجارة - أمرٌ دونه خرط القتاد حتى ولو كان ذلك في إقامة شعيرة من شعائر الله؟

نسأل الله التواضع والسلامة من مكائد إبليس ومصائده.

وإلى هؤلاء نسوق هذا الكلام لابن القيم - رحمه الله - وبه نختم موضوعنا. يقول - رحمه الله -: (ومن مكايده (أي الشيطان) أنه يأمرك بإعزاز نفسك وصونها حيث يكون رضا الرب - تعالى - في إذلالها وابتذالها، ويأمرك بإذلالها وامتهانها حيث تكون مصلحتها في إعزازها وصيانتها. كما يأمرك بالتبذل لذوي الرياسات، وإهانة نفسك لهم، ويخيل إليك أنك تُعزُّها بهم.

ومن كيده وخداعه: أنه يأمر الرجل بانقطاعه في مسجد، أو رباط، أو زاوية، أو تربة، ويحبسه هناك، وينهاه عن الخروج، ويقول له: متى خرجت تبذَّلت للناس، وسقطتَ من أعينهم، وذهبتْ هيبتك من قلوبهم، وربما ترى في طريقك منكراً، وللعدو في ذلك مقاصد خفية يريدها منه: منها الكِبْر، واحتقار الناس، وحفظ الناموس، وقيام الرياسة. ومخالطة الناس تُذهِبُ ذلك، وهو يريد أن يُـزَار ولا يزور، ويقصده الناس ولا يقصدهم، ويفرح بمجيء الأمراء إليه، واجتماع الناس عنده، وتقبيل يده، فيترك من الواجبات والمستحبات والقربات ما يقربه إلى الله، ويتعوض عنه بما يقرب الناس إليه.

وقد كان ﷺ يخرج إلى السوق؛ قال بعض الحفاظ: «وكان يشتري حاجته ويحملها بنفسه». ذكره أبو الفرج ابن الجوزي وغيره.

وكان أبو بكر - رضي الله عنه - يخرج إلى السوق يحمل الثياب، فيبيع ويشتري.

ومرَّ عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - وعلى رأسه حُزْمَة حطب، فقيل له: ما يحملك على هذا وقد أغناك الله، عز وجل؟ فقال: أردت أن أدفع به الكِبْر؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة عبد في قلبه مثقال ذرة من الكبر».

وكان أبو هريرة - رضي الله تعالى عنه - يحمل الحطب وغيرَه من حوائج نفسه وهو أمير على المدينة، ويقول: «أفسحوا لأميركم، أفسحوا لأميركم».

وخرج عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يوماً وهو خليفة في حاجة له ماشياً، فأعيى، فرأى غلاماً على حمار له، فقال: يا غلام احملني؛ فقد أعييت! فنزل الغلام عن الدابة، وقال: اركب يا أمير المؤمنين، فقال: لا، اركب أنت وأنا خلفك، فركب خلف الغلام، حتى دخل المدينة والناس يرونه.

ومن كيده: أنه يغري الناس بتقبيل يده، والتمسح به، والثناء عليه، وسؤاله الدعاء، ونحو ذلك، حتى يرى نفسه، ويعجبه شأنها؛ فلو قيل له: إنك من أوتاد الأرض، وبك يُدفَع البلاء عن الخلق، ظن ذلك حقاً، وربما قيل له: إنه يُتَوسَّل به إلى الله - تعالى - ويُسأَل الله - تعالى - به وبحرمته، فيقضي حاجتهم، فيقع ذلك في قلبه ويفرح به ويظنه حقاً، وذلك كلُّ الهلاك، فإذا رأى من أحد من الناس تجافياً عنه، أو قلة خضوع له، تذمر لذلك ووجد في باطنه، وهذا شرٌّ من أرباب الكبائر المصرِّين عليها، وهم أقرب إلى السلامة منه) ا هـ. باختصار يسير.

اللهم اجعلنا معظِّمين لشعائرك، مبادرين إلى القربات والطاعات، لا يصدنا عن ذلك تكلُّف ولا كبر، آمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) الفتح: ٦/ ٥٥، ح ٢٨٣٧.

(٢) الفتح: ٦/ ٥٤، ح ٢٨٣٤.

وكيل المجد في اليمن

DB

إلكترونيات دبي

وكلاء قنوات المجد الفضائية في الجمهورية اليمنية

ورسيفر المدار ورسيفر الأسرة

متخصصون في بيع الرسيفرات الإسلامية

711505655

إشتراك وتجديد الإشتراك في باقة قنوات المجد الفضائية

أنت وأسرتك بمأمن تام

رسيفر الأسرة الإسلامي

رسيفر المدار الإسلامي جهاز العائلة المحافظة

اليمن - صنعاء -شارع حدة - أمام الكريمي للصرافة هاتف: 208824 01 - جوال: 777977707

موقعنا على الإنترنت WWW.DUBAIELECTRONIX.COM E-mail: dubai.elc@gmail.com

الموزعون في أنحاء الجمهورية: حضرموت: 777578221 عدن: 777568366

شبوة: 711510491 الحديدة: 733788608 تعز: 04-265022 إب: 04-408199

الرسوم المتحركة
وأثرها في عقيدة الطفل المسلم وقيمه

عبد اللطيف خروبة

لا يشك أحد في أن للفن بصفة عامة وللرسوم المتحركة خاصة أهدافاً سامية، وغايات جليلةً؛ ذلك أنه يسهم في تربية الأطفال، وغرس العقيدة الصحيحة، والقيم النبيلة، والأخلاق الفاضلة في نفوسهم، وتقويم السلوكات والأفعال التي تصدر عنهم، وحمايتهم من الأخطار التي تهددهم؛ إنه يعرض للمشاكل التي يعانون منها؛ يشخِّص أسبابها، ويبحث عن الحلول المناسبة لها، ويوجِّه طاقاتهم إلى الاهتمام بما هو أهم في الحياة، كما يهدف إلى بناء مشاعرهم بشكل سوي، حتى يكوِّن جيلاً صالحاً لنفسه ولأمته.

إلا أن المتأمِّل في أغلب أفلام الرسوم المتحركة التي تعرضها شاشات التلفزيون في البلدان العربية والإسلامية[1] يجدها قد خرجت عن الأهداف النبيلة، وابتعدت عن الغايات الجليلة التي من أجلها وُضِعَت؛ فلم تترك رذيلة إلا أباحتها، ولا قبيحة إلا نشرتها وأذاعتها؛ فصارت بذلك سلاحاً فتاكاً يستهدف عقيدةَ الأطفال وعقولَهم ونفسياتِهم وممارساتِهم في كل بلدان العالم الإسلامي؛ فما هي مخاطرها على العقيدة والقيم التي يمتثلها الطفل المسلم؟ وما هي السبل والوسائل التي تمكِّن من اجتناب سلبياتها؟

إن هذه العيِّنة من البرامج تغري الأطفال بشكل كبير، فيُقبِلون على مشاهدتها بنَهم شديد، ويعتقدون أن كل المواقف والسلوكات والأفكار التي تعرضها صحيحة صالحة، كما أن طابَع الترفيه والتسلية الذي يميزها يشدهم إليها بقوة، وهذا فيه إهمال كبير لشخصيتهم، وعقليتهم، وحاجاتهم النفسية، والأهداف النبيلة التي ينبغي أن يوجَّهوا إليها؛ ولعل هاجس الربح المادي الذي يشغل بال المنتجين والعارضين هو السبب المباشر في ذلك، فضلاً عن كونها أفلاماً لا تقيم وزناً للعقيدة والقيم الموجودة في العالم الإسلامي، وما يتميز به من عادات وأعراف وطقوس ثقافية وحضارية.

أولاً: الخطر العقدي:

الإسلام عقيدة وشريعة تعبُّدية وسلوك. والعقيدة الإسلامية هي الإيمان بالله، والملائكة، والكتب، والرسل، وباليوم الآخر، وما فيه من الحساب والجزاء، وبالقدر خيره وشرِّه، ولها أثر بالغ في حياة الفرد والجماعة؛ فهي قوة هادية موجِّهة، ودافعة إلى الخير، بانية خلاَّقة. وإذا كانت راسخة في القلب فإنها تمدُّه بالراحة والطمأنينة والاستقرار على جميع المستويات، ولكن حين تدخل عليها العوامل المؤثِّرة الضارة تتغير. وبرامج الرسوم أحد أبرز هذه العوامل؛ فهي تشكِّل خطراً كبيراً على عقيدة أطفال المسلمين، ومن معالم هذه الخطر:

١ - زعزعة العقيدة:

يجد الأطفال متعة خيالية عظيمة في الرسوم المتحركة،

(١) هناك بعض القنوات التي تعمل على بث رسوم متحركة نقية، إلا أنها لا تكفي أمام المد الغربي الجارف.

وهـذا يؤثر عليهم سلباً في الحال والاستقبال؛ فقد أُجرَيت دراسات عديدة أثبتت الأثر السلبي للرسوم المتحركة على الأطفال من جميع النواحي، وهو ما قد يدمر حياتهم بالكامل[1]؛ فالرسوم المتحركة التي توجَّه إلى أبناء المسلمين هي أشد فتكاً بهم؛ لأنها لا تعير العقيدة الإسلامية أي وزن، ولأن منبعها غربي مسيحي أو صهيوني غالباً؛ لذلك فهي تهدف إلى إزالة العقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية من النفوس عبر زعزعتها، وإدخال الشك فيها وفي مبادئ الإسلام، وغرس المعتقدات المنحرفة في المقابل: كعقيدة التثليث، وعبادة الأصنام؛ فحين يُظهر الفيلم نجماً يُدخِل السعادة على الناس، أو شجرةً تحفظ من الكوارث والآفات، أو يعرض شخصية تقبِّل الصليب وتضعه على الصدر لتجد الراحة والأمان والطمأنينة، أو تسجد لصنم، أو تُوهِم بأن الكون تدبِّر شؤونَه كائنات خيالية وليس الله، عز وجل.

والطفل يشاهد ذلك ويتأثر به، ويعتقد أنه هو الحق والصواب، فتنعكس المشاهد على سلوكه، فتجده يقبِّل الحجر، أو ينحني ساجداً له، أو يتوسل إلى الشمس من أجل تحقيق رغبة مَّا. والأمثلة كثيرة يطول المقام لحصرها، إنها ترسِّخ فيه معتقدات بعيدةً عن الدين الحنيف، فيحصل اضطراب العقيدة في النفوس؛ فلا يعيرون اهتماماً لعقيدة التوحيد، ولا لشعائر الدين. كما تؤدي إلى التعلق بالدنيا وإهمال الآخرة؛ لأن المشاهد التي تعرضها الرسوم تحث على الحياة الدنيا فقط.

٢ - تصديق السحرة والكهان:

كما تعمل هذه البرامج على ترسيخ الإيمان بالسحرة والمشعوذين، وتصديق ما يدَّعون، والخوف منهم، عوض الخوف من الله؛ فهي تُظهِر الساحر قادراً على إسعاد الناس أو إشقائهم، وتأمينهم أو ترويعهم، وأنه قوة لا تُقهَر وليس الله، تعالى. وهو الشيء الذي يؤدي إلى حصول تناقض في عقيدة الطفل المسلم. فيقدِّس الساحر ويتقرب إليه، عوض تقديس الله وفعل ما يقرِّب منه. تقول الدكتورة طيبة اليحيى: «إن بعض الناس - هداهم الله - يعمدون إلى تهدئة صخب أطفالهم بوضعهم أما التلفاز، ولا يعلمون أنهم بذلك يقضون على أطفالهم؛ فالبرامج المعدَّة للأطفال لها أثر أيما أثر على سلوك الأبناء الديني والخُلُقي والاجتماعي؛ ففيها إظهار لشعائر أهل الكفر ورموز دينهم: كالصليب والمعابد، وفيها نشر للسحر والشعوذة، وفيها الأعظم من ذلك كله، وهو التشكيك في قدرة الله، تعالى»[2].

إن الطفل المسلم إذا لم تتدارك الأسرة أمره وشبَّ على ما يراه في الرسوم المتحركة يكون في المستقبل كالريشة في مهب الريح، مضطربِ العقيدة، لا يستقر على حال، يسيطر عليه القلق والحَيْرة، لا يعرف حقيقة نفسه، ولا سِرَّ وُجُودِه في الحياة.

ثانياً: ترسيخ القيم الفاسدة:

القيم مجموعة من العقائد الدينية أو الفلسفية المفضَّلة عند أمَّة أو حضارة مَّا، وتتحول إلى أسلوب في الحياة؛ تحدد التصور للوجود والكون، والحياة والموت، والطبيعة والتاريخ، بل تحدد الذوق والمظاهر والسلوك العام؛ فالقيم بهذا المعنى نمط حياة، تتغذى من أوعية متعددة لتبقى حية، ومنها الوعاء العقدي، والغائي (الغاية من الحياة)، والسلوكي، والمظهري، والأخلاقي...

وللقيم أهمية بالغة في حياة الأمة؛ فهي تحفظ الهوية والعمران والحضارة، وهذا يعطي للأمة قوة الاستمرار، ويدفعها إلى الإنتاج والتعمير، والتطور والبناء والعمل الجاد، وتُعَدُّ القيم الإسلامية أرقى القيم وأفضلها على الإطلاق؛ لأنها ربانية المصدر، ومن القيم التي يتجلى فيها الأثر السيء للرسوم المتحركة على الطفل المسلم: القيم الأخلاقية، والقيم الثقافية، والعلمية والسلوكية، ومن ذلك:

١ - الميل إلى العنف:

تتضمن كثير من مسلسلات الرسوم المتحركة مشاهدَ العنف والصراع، وهذا يرسخ في وجدان الطفل الميل إلى القسوة والعنف، سواء داخل الأسرة أو المدرسة أو في الشارع؛ فيلجأ إليه من أجل تحقيق رغباته، وقد يرتكب جريمة بشعة. وقد أثبت عديد من الدراسات العلاقة الوطيدة بين جُنوح الأطفال وارتكابهم الجرائم، وبين الرسوم المتحركة التي تتضمن مشاهد العنف. وقد شهد العالم الإسلامي - كبقية بلدان العالم - العديد من الجرائم أبطالُها من الأطفال[3].

ومن المسلسلات الكرتونية التي تقوم على العنف: «الجاسوسات» و «بيبليد».

٢ - التطبُّع مع الفاحشة:

إن الطفل المسلم يتلقى قيم البلدان التي أنتجت أفلام الرسوم المتحركة؛ وهي قيم بعيدة عمَّا هو موجود داخل البلدان الإسلامية والعربية من قيم وآداب، ولا تعكسها من قريب أو من بعيد. ومن هنا تؤثر على القيم، وقد حذَّر المجلس العربي

(١) الفن بين الواقع والمأمول، د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي، ص ٣٦.
(٢) بصمات على ولدي ص ٦، د. طيبة اليحيى.
(٣) الجريدة التربوية، عدد ٢٨: الأثنين ١٢ أكتوبر ٢٠٠٩م.

للطفولة والتنمية من الآثار السلبية لبرامج الرسوم المتحركة على قيم المجتمعات العربية وعاداتها[1]؛ فهي في أغلبها بعيدة عن القيم النبيلة، وصور الخلاعة، والمجون فيها تنهال على الطفل في الرسوم من كل جانب كأوراق الشجر المتساقطة في فصل الخريف؛ فتنسف الأخلاق، وتذهب ببهاء الوجه؛ فهي تُظهِر العلاقة بين الجنسين قائمة على الخلوة، والرقص، والخلاعة، والتبرج، والعناق، وتبادل القبلات. وهذا التوجه يشكل خطراً على الأطفال؛ لأنه ينبِّه المشاعر الحميمية والغرائز الجنسية لديهم في وقت مبكر، وهو ما ينتج عنه ارتكاب الفواحش والجرائم الجنسية[2]. كما يقضي على الحياء؛ حيث ينطق الأطفال بالكلام النابي، وبكل الألفاظ الردئية. وسلسلة «ميكي مَاوْس» نموذج بارز في هذا المقام.

٣ - تقليص التواصل الأسري:

إن هذه البرامج تقضي على علاقة التواصل بين الأطفال وبين آبائهم، وبين باقي أفراد الأسرة. وقد يكون الأطفال قبل سن المدرسة هادئين وهم أمام الشاشة، فتسرُّ الأمهات لذلك؛ لأنه يساعدهن على إنجاز خدمات البيت، ولكن طول المكث أمام التلفزيون يؤثر على أولادهنَّ وهنَّ لا يشعرنَ. ويستفحل الخطر بعد الدخول إلى المدرسة؛ فلا يتحدثون عن المدرسة، ولا عن الدراسة، ويستغنون بما تقدِّمه الرسوم عن حكايات الأم والأب والجدَّة. والمشهد نفسه يحصل بين الإخوة؛ فلا يتسامرون مع بعضهم بعضاً، ولا يتناقشون؛ فبمجرد العودة إلى البيت يفتحون التلفاز ليتفرجوا على الرسوم، وهو ما يؤدي إلى اتساع الفجوة بينهم وبين الآباء والإخوة، بسبب الحاجز الذي فرضه التفزيون، ويصعب التخلص منه مع تقدُّم العُمُر، وبعد تشكُّل شخصية الطفل وَفْقَ ما تعوَّد عليه.

٤ - تعلُّم الأخلاق السيئة:

إن من طبيعة الطفل أنه يقلد كل شيء يُعرَض أمامه، أو يسمَعه بدون جدال بسبب فطرته الصافية، ولكن بيئته هي التي تغيِّرُها، وبكل سهولة تؤثر فيه المشاهد التي يقع عليها بصره في الرسوم المتحركة؛ فيميل إلى تقليد الشخصيات في كل شيء، في كلامها وحركاتها، وفي لباسها وهيئتها، وفي سلوكها وتصرفاتها. وبذلك يتطبع على العادات السيئة؛ فيسرق ويحتال ويخادع، ويدخن، ويكذب ويعتدي على الغير، ويسخر منه؛ ناهيك عن الأنانية والحقد والكراهية، وحب الانتقام وغيرها من أمراض القلوب. وسلسلة: «توم وجيري» نموذج لذلك.

(١) المرجع السابق.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ص ١٤٨، در القلم بيروت ١٩٨٤م.

٥ - اضطراب المفاهيم والأفكار:

إن اعتماد الرسوم المتحركة على الكائنات والأحداث الخيالية يأسر عقول النشء ولا يتركها تتحرر، فيفقد بذلك توازنه الفكري؛ فتضطرب لديه المفاهيم، وينعكس ذلك على الفكر بشكل واضح، فيشكك في المعرفة الدينية التي يتلقاها في الأسرة والمدرسة؛ فمفهوم الدين والإيمان بالله الذي يسمعه ويتلقَّاه في المؤسستين المذكورتين لا يوجد له أثر في الأفلام الكرتونية؛ فيضيع ويحتار في أي معرفة يصدِّق: هل يصدِّق ما قالته الأم، وما قرأه في الفصل الدراسي، أم ما يشاهده على الشاشة؟ وهو ما سينعكس سلباً على عقيدته وفكره في المستقبل.

٦ - استلاب الثقافة:

عندما يصبح الطفل مولعاً بمشاهدة برامج الرسوم المتحركة المبنية على الخرافة والخيال الجامح، فيصدقها، فإنها تضر بنشاطه العقلي؛ فلا يقدر على التفكير الواقعي السليم؛ فيتكلم مع الحيوانات - وخاصة الكلاب والقطط - ظناً منه أنها تتكلم مثله، ويُجلِسُها بجانبه إلى مائدة الطعام، وتنام معه في الفراش، وقد يتعلق بها أكثر من تعلُّقه بوالديه وإخواته؛ فيحزن عند مرضها، ويبكي حين موتها أكثر مما يحزن أو يبكي عند إصابة أخيه. ومن جهة أخرى تنقطع صلته بثقافته الأصلية، وتهيمن عليه الثقافة الغربية الصليبية؛ فيتكلم بلغاتها، ويتمسك بعاداتها، ويهمل اللغة العربية والثقافة الإسلامية؛ فلا يسمي الله عند الأكل، ولا يغسل يديه، وينام بحذائه على السرير وعند التحية ينحني كما يفعل اليابانيون وأمثالهم... إنها ترسِّخ فيه الموالاة لليهود والنصارى والملحدين، وثقافةَ الانهزام والخضوع؛ حيث يعتبر أن الإنسان الغربي هو المتقدم، وهو الذي ينبغي أن يُحتَذَى.

ورحم الله ابن خلدون؛ إذ يقول في مقدمته: «إن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزِيِّه ونِحلَته وسائر أحواله وعوائده»[3]. كما تنشر هذه البرامج ثقافة الخوف من

(٣) التلفزيون بين المنافع والأضرار، ص ٢٥، د. عوض منصور، ط ٢ مكتبة المنار ١٩٨٥م.

الإســـلام والمسلمين؛ فهو الســـارق، وهو المعتدي وهو المتطرف والشـــرير، ومن جهة أخرى توجه النشء إلى سفاسف الأمور، وإلى كل عمل لا فائدة من ورائه.

٧ - الشعور بالنقص والخوف من الفشل:

كثيراً ما يقلِّد الأطفال الشـــخصيات التي يعجَبُون بها في الأفلام، ويصعب عليهم النجاح في عملية التقليد هذه، وخاصة قبل ســـن الســـابعة، فيُودُون بحياتهم أو بحيـــاة الآخرين من حولهم، أو يتســـببون في مشاكل عويصة تستعصي على الحل؛ فقد يصعد الطفل إلى ســـطح المنزل ليطير كما تطير شخصية الرجل العنكبوت «سْـــبَايْدَرْ مَان» - مثلاً - فيموت إثر سقوطه على الأرض، أو يصاب إصابات خطيرة، أو يقلد مشهداً سحرياً، كأن يضع يده في النار ظناً منه أنها لا تصاب بأذى عندما يقرأ تعويذات سمعها من الساحر، وعندما يعجز، وتحترق يده، ينتابه الإحســـاس بالنقص، فيتسرب إلى نفســـه توجس الفشل كلما أقدم على عمل معيَّن. وهـــذا ينعكس على حياته بصفة عامة. كما أن الإدمان على مشاهد الرعب والخوف، والدماء والقتلى، والحيوانات المفترسة، والأشـــباح، وطلقات النار من الأسلحة، يؤدي بالأطفـــال إلى الخوف والفزع، وقد ينتابهم الفزع الليلي؛ فيُحرَمُون من النوم المريح...

إن المشـــاهد التي يقـــع عليها بصر الأطفال في الرســـوم المتحركة تـــؤدي إلى الخلط بين الواقع الملمـــوس، وبين الواقع الافتراضـــي الذي تعرضـــه؛ فالواقع الحقيقي شـــيء يختلف كثيراً عمَّا يُعرض من رســـوم متحركة للمشـــاهدة على شاشة التلفزيون[1].

٨ - تدنٍّ مستوى التحصيل الدراسي:

إن خطر أفلام الرســـوم المتحركة على التحصيل الدراسي قوي جداً، وهذا بشهادة العديد من الباحثين المشتغلين في هذا الحقل؛ لأن الطفل يقضي مدة طويلة من الزمن أمام الشاشـــة؛ يتفرج على الرســـوم، قد تصـــل إلى ما بـــين ثلاثين وأربعين ســـاعة في الأسبوع؛ وهي مدة كافية لتُنهِك جسمه وعقله؛ فلا يستطيع التركيز ولا مذاكرة دروسه، وإنجاز واجباته المدرسية، ومن ثَمَّ يضيع وقته فيما لا ينفعه. ومشـــكلة انخفاض مستوى التحصيل عند الأطفال تؤرق المفكِّرين والمربين والسياسيين في مختلف بلدان العالم، والدول الإســـلامية على وجه الخصوص؛ لِمَا يميزها عـــن غيرها من الدول عقدياً وفكرياً[2]. ومن جهة أخرى لاحظ الباحثون أن المشـــاهد الإعلامية ذات أثر بالغ في الأطفال؛ فهم يتذكرون المشاهد والأحداث التي شاهدوها قبل شـــهور، في حين لا يتذكرون درســـاً تلقَّوه في المدرسة قبل أسبوع[3].

ختاماً:

إذا كانـــت نســـبة كبيرة مـــن أفلام الرســـوم المتحركة الموجودة في الساحة الإسلامية والعربية اليوم ذات ضرر بالغ على الناشئة؛ فلا بد من البحث عن البدائل المفيدة والصـــالحة لإنقـــاذ الأجيـــال القـــادمة مـــن خطـــر يداهمهـــا لا محالة، والمســـؤولية هنـــا ملقاة على عاتق الجميع؛ لأن الكل مسؤول أمام الله - عز وجل - الذي يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحـــريم: ٦]، ولقول النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مســـؤول عن رعيته»[4]؛ فالفنانون والسياســـيون والمفكـــرون والمربون، وأهل المال والثراء، والآباء والأُســـر، والمجتمع بكافة هيئاته الحكومية والمدنية، الكل معنيٌّ حســـب المجال الذي يشـــغله؛ فالمبدعون والفنانون ينتجون رســـوماً متحركة تناسب عقلية الطفل المسلم ونفسيته وقدراته العقلية، وتراعي العقيدةَ الإسلامية السمحة، والأخلاقَ والقيم الإنسانية الفاضلة. وتبتعد عن الغثائية والعبثية والعشوائية. كما ينبغي أن يستشيروا علماء الشريعة والمفكرين التربويـــين المخلصين للإســـلام؛ حتى تكـــون المنتوجات مبنيَّة على أســـاس علمي وتربوي متين. ولهم في التاريخ الإســـلامي وأبطاله مادة خصبة، وفي الحضارة الإسلامية ومعالم الإسلام وأهدافه وقيمه وقضايا الإنسان المعاصر والحياة والموت والكون موضوعـــات واســـعة. وحتى لا ينصرف الأطفـــال عن القراءة والمطالعـــة ينبغي أن تتضمن البرامج المذكورة محفِّزات تدفعهم إلى القراءة والتحصيل المعرفي.

والأغنياء في الأمة الإســـلامية ينبغي أن يساهموا بنصيب وافر في هذا العمل البنَّاء، بتوفير الدعم المادي للأعمال الفنية الجيدة في هذا المجال، وأن يســـتثمروا فيه أموالهم؛ إذ لا تعدم الأمة الإســـلامية فنانـــين أوفياء للدين والأمـــة، لكن تنقصهم الأموال للإنتاج، دون أن يُهمَلَ دور الأســـرة المسلمة باعتبارها الحصْن الأوَّل للعقيدة والقيم النبيلة التي يتلقاها الطفل؛ فعليها أن تُخضِع البيت والأطفال لنظام محدَّد منذ الصِّغر كي ينشؤوا عليه، وحتى لا يُفلِت الزمام من أياديها أثناء الكِبَر.

---

(١) الوعي الإسلامي، عدد ٥٣١، ص ٧٨، نوفمبر ٢٠٠٩م.
(٢) التلفزيون بين المنافع والأضرار مصدر سابق.
(٣) السينما فن، ص ٥، صلاح أبو سيف، دار المعارف.
(٤) رواه أحمد.

اعملوا الخير ولو في الصين!

إبراهيم بن سليمان الحيدري(*)
alhaidari@hotmail.com

يعتبر عام ٢٠٠٨م عاماً استثنائياً بالنسبة لمسيرة العمل الخيري في جمهورية الصين الشعبية؛ حيث تبنَّت الحكومة الصينية فيه مجموعة من التشريعات التي من شأنها أن تُطلِق المجال - ولو بشكل نسبي - للقطاع غير الربحي عموماً والخيري على وجه الخصوص؛ للظهور في العلن بعد عُمُرٍ من سيطرة النظام الاشتراكي عن نظام الحكم، والذي كان يرى في العمل المدني المستقل خروجاً عن طوع الحكومة. ويَعُدُّ كثير من الباحثين أن الزلال الذي ضرب شرق الصين عام ٢٠٠٨م، والذي واجهت الحكومة الصينية أثناءه وبعده ضغوطات كثيرة من الداخل والخارج؛ لفتح مجال أكبر للقِطاع الخيري للمساهمة في إغاثة المنكوبين من الزلازل خصوصاً، والفقراء المنتشرين في أنحاء الصين بشكل عام، بالإضافة إلى مشاركة أكثر من ٧٠ ألف متطوع في تنظيم ألعاب الأولمبياد في عام ٢٠٠٨م، كل ذلك كان بمثابة شعلة التحوُّل التي لفتت الانتباه العالمي لمرحلة جديدة تمرُّ بها الصين الشعبية، وعلامةِ انفتاح غير معهود من قِبَل الحكومة على شعبها، وإتاحةِ الفرصة لهم للمشاركة في أحداث كبيرة مرَّ بها المجتمع الصيني. وبالعموم فإن المتأمل في حالة الصين يلحظ أن الاهتمام النسبيَّ بمنظمات القِطاع غير الربحي يأتي متمشياً مع التحوُّل الذي تشهده الصين من سيطرة الدولة على كل مجريات حياة الناس إلى حالة السوق الاقتصادي الحر، الذي يفسح المجال بشكل أكبر للفرد والجماعات للمشاركة في الحياة العامة بمختلف مجالاتها.

إن التاريخ المقروء المتوفر يشير إلى أن ما يسمى بالمنظمات الاجتماعية (غير الربحية) كانت موجودة في الصين منذ عهد قديم وقد بلغ عددها حتى عام ٢٠٠٧م أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ منظمة صغيرة؛ إلا أن أغلب هذه المنظمات أقرب ما تكون إلى فروع حكومية تسيطر عليها الدولة وتعتمد هي بدورها على الدعم الحكومي كمصدر رئيس للدخل، إلا أن الجديد في التشريعات التي استُحدِثت مؤخَّراً، هو التوجه نحو مَنْح هذا النوع من المنظمات المحلية استقلاليتها عن الحكومة، وفَتْحِ المجال - ولو بشكل محدود - للمنظمات الخيرية الدولية للعمل داخل الصين. ومؤخراً تمكَّنت ثلاث منظمات خيرية عالمية أجنبية من التسجيل داخل الصين والعمل فيها.

(*) ماجستير في الإدارة، باحث في إدارة العمل الخيري.

لقد صاحب هذا التحولَ الحكومي تجاه القطاع غيرَ الربحي في الصين وعواملَ أخرى انتشارُ ثقافة الدعم الخيري بين الأفراد العاديين وهو الأمر الذي لم يكن ظاهرة اجتماعية مشاهَدة في المجتمع الصيني، ولقد قدَّم الأفراد الصينيون ما يعادل ٥٥ ٪ من التبرعات التي وُجِّهت لصالح زلازل عام ٢٠٠٨م، والتي بلغت أكثر من ١٥ بليون دولار أمريكي. كما انتشر مفهوم المسؤولية الاجتماعية بين الشركات الصينية وتوجَّه كثير من أصحاب الشركات الكبيرة إلى تأسيس مؤسساتهم الخيرية المانحة، كما هو حال خامس أغنى رجل في الصين (شن فاشو) الذي وَجَّه ٩٠ ٪ من ثروته التي تقدَّر بـ ١,١٧ بليون دولار أمريكي لصالح مؤسسته الخيرية المانحة.

من الناحية التنظيمية فإن أفضل تعبير يمكن أن يطلَق على هذا التحوُّل، هو أنه تحوُّل نسبيٌّ؛ فما زال هناك انتقائية في التصريح لتكوين منظمات خيرية محلية أو السماح لمنظمات خيرية خارجية للعمل داخل الصين، وما زالت الأولوية تُعطَى لتلك المجموعات الموالية للحكومة، أو لتلك المرتبطة بجهات حكومية. وتُواجَه كثير من المنظمات الخيرية العالمية الراغبة في تقديم العون داخل الصين بأنظمة غير شفافة وغير موضوعية. لكن الشيء الجدير ذكره هنا، هو أن

لقد صاحب هذا التحولَ الحكومي تجاه القطاع غيرَ الربحي في الصين وعواملَ أخرى انتشارُ ثقافة الدعم الخيري بين الأفراد العاديين

الصين متجهة إلى إجراء تغييرات شبه جذرية في أنظمتها وتشريعاتها المتعلقة بعمل منظمات القطاع غير الربحي (المحلي والدولي)، والتي من شأنها أن تفسح المجال لعمل خيري مستقل ومنظَّم؛ كما يشير إلى ذلك مدير إدارة تسجيل المنظمات الاجتماعية في وزارة الشؤون المدنيَّة في الصين في تصريح له أواخر العام الماضي (٢٠٠٩م).

عندما تتأمل خريطة العمل الخيري الإسلامي، فإنك تجده - على قلَّته - يتمركز في بعض القارات ويكاد يكون منعدماً في أماكن أخرى؛ ولذا فإن هذه المقالة المختصرة تحاول أن تلفت انتباه قادة العمل الخيري الإسلامي ومحبِّيه إلى أن فرصة قد تكون سانحة بدأت تلوح في الأفق لهم في دولة الصين التي تشق طريقها كلاعب رئيسٍ في العالم، ولعل الحضور المبكر للمنظمات الخيرية الإسلامية في الصين مع هذه التحولات النسبية للقطاع الخيري هناك يمكن أن يعطي كثيراً من المميزات والمزايا التي تمهد له الطريق للوصول إلى مبتغاة وأهدافه السامية.

يؤمنون بالشريعة... إلا قليلاً!

فهد بن صالح العجلان
fsalehajlan@hotmail.com

لم يكن لديَّ شك في أن هذا خطأ، وانحراف، ومعارضة تنافي واجب التسليم لله ولرسوله ﷺ...

هذا ما كان يدور في خاطري وصوت القائل يتردد في أذني يؤكد بعد إنكاره لبعض الأحكام الشرعية: (أنه يؤمن بأن الشريعة والنصوص النبوية لا تنافي العقل أو تتعارض مع المصلحة، وإن وَجَدَ خلافَ ذلك فإن من إيمانه بالشريعة أن ينزِّهها عن هذا الحكم؛ فلا يقرُّه ولا يؤمن به).

وقد كنتُ أحسبها واضحة عند من يسمعها حتى بعثر حساباتي ما سمعته وقرأته من بعض الناس ممن حمله مثل هذا الكلام على معنى: (أن الشريعة والنصوص النبوية تأتي على ما فيه المصلحة والعقل).

تأمَّل في عبارته جيداً؛ إنه لم يجعل أحكام الشريعة مؤدِّية لما فيه مصلحة، وما يتفق مع العقل والفطرة السوية، وإنما وضع (شرطاً) للأحكام الشرعية التي سيؤمن بها ويقبلها، وهو: أن تكون على ما فيه المصلحة والعقل؛ فهو انقياد للنصوص الشرعية (مشروط) بسلامة النتيجة؛ بحيث لا تخالف العقل والمصلحة.

أين من يقرأ في نصوص الشريعة ويبحث في أحكامها؛ لينظر في مراد الله ومراد رسوله ﷺ لأجل أن يؤمنَ به ويعملَ بمقتضاه، ويؤمن بعد ذلك كله، أن هذا هو العقل والمصلحة، ويعتمد في سبيل ذلك على أقاويل الصحابة وتفاسير التابعين ومذاهب الفقهاء واللغويين؛ حتى يهتدي إلى (مراد) الله و (مراد) رسوله ﷺ؟

أين هذا ممن يضع (أحكاماً) عقلية مسبقة و (مصالح) دنيوية معيَّنة يرى أنها - بحسب هواه وعقله القاصر - هي (العقل) و (المصلحة) التي لا تأتي الشريعة بما ينافيهما؛ فإذا وجد (آية) محكَمَة أو (حديثاً) صحيحاً يهزُّ بعض جوانب هذه الثوابت المتقرِّرة لديه، بادر بتكذيب الخبر أو تأويله؛ لأنه ينافر العقل والمصلحة.

ليست هي مقابلة بين (الشريعة) و (العقل) ، بل هي مقابلة بين الشريعة وعقل هذا الإنسان وفَهْمِه وإدراكه؛ فهو يجعل أحكام الشريعة مرهونة التطبيق حتى تنفك من معارضتها للعقل بحسب فَهْمِه، فإذا لم يفهم العقل بطلت الشريعة؛ فأصبح عدم الفهم لحكمة الشريعة سبباً لتوقف العمل بالأحكام الشرعية.

إن الحكم على الشـــيء بأنه موافق (للعقـــل) أو منافٍ له إنما يتأثر بذات الشـــخص، وتجاربه، وعلمه، وبيئته التي يعيش فيها؛ فهو إدراك نسبيٌّ في لحظة معيَّنة تتغير مع تقدُّم العُمُر، أو اكتســـاب المعرفة، أو حدوث التجربة، وبناءً على ذلك فالعقل الذي يتحدث عنه عقل آني متغير، وكل ما يقال عنه: إنه العقل، ويوجد فـــي الضفة المقابلة من يقول: هو ضـــد العقل وينافي جميع المقدمات العقلية؛ فعلى أيِّ الضفتين ستســـتقر الأحكام الشرعية؟

إن جزءاً من الشـــريعة - بناءً على هذه (المشروطية) - غير قابل للتنفيذ، وهذا الجزء يضيق ويتســـع بحسب (العقل) الذي يحمله كل إنسان، وبحســـب المصلحة التي يعرفها أو يريدها؛ فالأحكام التي يفترق فيها الرجل عن المرأة في الشريعة متوقفة عند العقل الذي يرى المصلحة في (المســـاواة)، والأمر بالأحكام الشـــرعية والإلزام بها وإقامة الحدود عليها متوقفة أيضاً عند العقل الذي يرى المصلحة في (الحريات)، والنصوص الشـــرعية في الإيمان بأسماء الله وصفاته متوقفة كذلك عند العقل الذي يرى التأويل أو التفويض، والإيمان بصحيح ســـنة الرســـول ﷺ متوقف عنـــد العقل الذي يرى المصلحة فـــي الاكتفاء بالقرآن، أو بالمتواتر من السُّـــنة، أو بإخراج السُّـــنة عن دائرة التأثير في العقائد أو التشريعات.

وهكذا يدخل (العقل)، وتأتي (المصلحة) لتسحب جزءاً من الشريعة عن الإيمان والتســـليم؛ وإن كان هذا الجزء لدى كثير منهم هو قليل بالنســـبة لما يؤمنون به من الشـــريعة إلا أن هذا الجزء لا يُدرَى ما حدُّه؟ وما ضابطه؟ فكل جزء من الشريعة هو قابل لأن (يُقَرَّ) أو (يُرفَضَ)، وما تؤمن به الطائفة الفلانية فمن الممكن أن (تنكره) الطائفة الأخرى بسبب (العقل) و (المصلحة)، وكل ما يؤمنـــون به مما يعتقدون أنه موافـــق للعقل والمصلحة يمكن أن ينكَر عند آخرين لمخالفته للعقل والمصلحة.

إن المســـلم حين يؤمن بأن الإسلام هو دين الله الذي أنزله على محمـــد ﷺ، وأن أحكامه وشـــرائعه هي مـــا يريده الله ويرضاه، فإن واجب التسليم لله أن ينقاد لأمر الله وأمر رسوله ﷺ حـــين يصح عنه؛ فيؤمن بأن ما جاءت به الشـــريعة هو من أعظم المصالـــح وأكمل ما تهتدي إليه العقـــول، وكل التجارب التـــي عارضت النصوص بدعوى المصلحـــة أو العقل لا يطول عليها الزمان حتى تتكشف الدلائل والبراهين عن أحقية النص الشرعي بالعقل والمصلحة مما قد غاب عن مدارك الكثيرين.

إن من كمال العقل أن يعتقد أن ما يجيء في الشـــريعة هو العقل والمصلحة، وحين يضع عقله سقفاً يحول دون نفوذ شعاع الوحـــي؛ فإنه ســـيحرم نفســـه خيراً عظيماً في النصـــوص والأحـــكام التي يُحكَـــم من خلالها على (معقولات) الناس، وتضيـــع المعاييـــر التي تحدد المعنى الـــذي يقبله العقل والذي يرفضه؛ فالواجب أن تكون أحكام الشريعة حاكمة على العقل ومحدِّدة لأُطُرِه ومسيِّرة لعمله، وليس العقل هو الذي يحدد الشريعة ويضع عليها الشروط والمواثيق.

إنهم بهـــذا يؤمنون بأحـــكام الشـــريعة إلا قليـــلاً، وهذا القليل لا يعلمه إلا الله؛ فقد ينكشـــف فـــي أبـــواب الاعتقـــاد أو المعامـــلات أو العبادات، وقد يكون كثيراً أو قليلاً، وقد يكون من الأحـــكام المُجمَع عليها أو المختلـــف فيها، وقد يكون من آيات القرآن أو من نصوص السُّنة، ولا يعلم أحد من أي طريق سيأتي هذا البلاء؟

ألا فَلْتَنـــسَ كلَّ هـــذا، ويكفيني أن تعـــرف أن الفرق بين الشـــخصين الذين يقول أحدهما: (أؤمن بالشـــريعة. وكـــلُّ ما فيها فهو حق ومصلحة)، ويقول الآخر: (أؤمن بالشـــريعة ما لم تعارض العقل والمصلحة) كالفرق بين من يقول: (أؤمن بالشريعة؛ لأنها صدق ولا تخالف الواقع)، وبين من يقول: (أؤمن بالشريعة ما لم تكن كذباً ومخالفة للواقع).

إنه شـــيء مدهش حقاً، لم أكن أظـــن أن هذا المعنى الذي بســـطتُ شـــرحه، وأجهدتُ نفســـيَ والقارئَ الكريم في تَتَبُّعه وملاحقة أفكاره، قد صاغه (شيخ الإسلام ابن تيمية) بأسطر من نور يعجز البيان عنها لولا توفيق رب العالمين، يقول - رحمه الله -:

(إن ما يستخرجه الناس بعقولهم أمر لا غاية له؛ سواء كان حقـــاً أو باطلاً؛ فإذا جوَّز المجـــوِّز أن يكون في (المعقولات) ما يناقض خبر الرســـول لم يثقْ بشيء من أخبار الرسول؛ لجواز أن يكـــون في (المعقولات) التي لم تظهر له بَعْـــدُ ما يناقض ما أخبر به الرسول ﷺ، ومن قال: أنا أُقِرُّ من الصفات بما لم ينفِهِ (العقل) أو أُثْبِت من الســـمعيات ما لم يخالفه (العقل)، لم يكن لقوله ضابط؛ فإن تصديقه بالســـمع مشروط بعدم (جنس) لا ضابط له ولا منتهى، وما كان مشـــروطاً بعدم ما لا ينضبط لم ينضبط؛ فلا يبقى مع هذا الأصل إيمان؛ ولهذا تجد من تعوَّد معارضة الشـــرع بالرأي لا يستقر في قلبه الإيمان)[1].

(١) درء تعارض العقل والنقل: ١/ ١٧٧.

البيان في حوار خاص مع الشيخ الدكتور حارث الضاري (الأمين العام لهيئة علماء المسلمين في العراق)

إن التدخل الإيراني في العراق أصبح اليوم واضحاً أكثر من أي وقت مضى. وسعى الاحتلال الأمريكي منذ أن دخل العراق إلى خلط الأوراق والتسريع بإحداث الفوضى التي أطلق عليها وصفاً بالضد من حقيقتها، فأسماها الفوضى الخلاقة، ليكتسب بذلك مساحة آمنة لوجوده، كما سعى إلى ابتداع عملية سياسية تجري تحت أمره ليوهم العالم بأن العراقيين هم من يحكمون أنفسهم، لكن ذلك كلّه تصدَّت له هيئة علماء المسلمين برئاسة أمينها العام الشيخ الدكتور حارث الضاري الذي آلى على نفسه أن لا يدَّخر جهداً في فضح مخططات المحتل وكشف مشاريعه المشبوهة... واليوم وبعد ثلاثة أشهر من إجراء آخر انتخابات في العراق لم تتمخض عن حكومة بسبب المحاصصة الطائفية والعرقية والاستقواء بالمحتل وتمددات دولةٍ جارةٍ (إيران) استطاعت أن تمد مخالبها بوساطة ممثليها المعتمدين فيما يسمى العملية السياسية؛ فهم معروفون لدى العراقيين بأنهم مزدوجو الولاء.

عن مجمل أحداث العراق بمقاومته ومناهضته للاحتلال، وعن مجريات العملية السياسية في ظل الاحتلال حملت مجلة البيان أسئلتها لتضعها بين يدي الشيخ حارث الضاري الأمين العام لهيئة علماء المسلمين؛ فكان لنا معه اللقاء الآتي...

أجرى الحوار: حارث الأزدي

البيان: بصفتكم أكبر القوى المناهضة للاحتلال والعملية السياسية التي شكّلها، ما هو تقييمكم للانتخابات الأخيرة التي جرت في السابع من آذار/ مارس الماضي؟ وما هي رؤية هيئة علماء المسلمين في العراق للعملية الانتخابية من حيث قانونُها والجهاتُ المشرفة عليها والآلياتُ التي جرت بموجبها؟

الشيخ الضاري: تقييم الهيئة للانتخابات الأخيرة التي جرت في العراق في آذار الماضي يتلخص في أن هذه الانتخابات جرت بالطريقة نفسها التي جرت بها الانتخابات الأولى والثانية بعد الاحتلال، وَوَفْقَ الأسس نفسها التي جرت عليها في وقتها، ثم شابت هذه الانتخابات شوائب كثيرة، زادت على ما مضى من شوائب؛ حيث إن الجهة المشرفة عليها هي جهة منافسة للجهات الأخرى، وكانت لها الهيمنة على هذه الانتخابات؛ فعملت كل ما تستطيع لتكون النتائج في صالح الحكومة الحالية، وبالتحديد في صالح نوري المالكي. ولم يكتفِ المالكي بذلك وإنما قامت أجهزته الأمنية والعسكرية بإرهاب كثيرٍ من أهالي المناطق التي يظن أنها لن تؤيِّدَه، وأنها سئمت وجودَه في الحكم؛ لمنعهم من المشاركة في التصويت.

وزاد هذا بالضغط على المفوضية وما يسمى: هيئة المساءلة والعدالة؛ لإصدار قوائم بطرد أو (اجتثاث) - كما هو معروف في مصطلح العملية

السياسية – عددٍ غير قليل من المنافسين لقائمته، وبالتحديد من القائمة العراقية. وبعد ظهور النتائج – وهي متقاربة – وفوز إحدى القوائم بعدد أكثر من الأصوات؛ طالب المالكي بإعادة فرز الأصوات في بعض المناطق، وفي بغداد تحديداً. ولما لم تأتِ كلُّ هذه الأمور بنتيجة، لجأ إلى الائتلاف مع خصوم الأمس في الائتلاف الموحَّد المسمى الآن بـ (الائتلاف الوطني). فضلاً عن كل ما تقدَّم فإن التدخل الإيراني كان يعمل على هذا الخط أيضاً؛ حيث ضغطت إيران على الائتلافين: (ما يسمى بدولة القانون والائتلاف الوطني)؛ لتكوين الكتلة الأكبر في مواجهة الكتلة الخصم في البرلمان. وأخيراً فإن القاصي والداني يشهد على أن هذه الانتخابات لم تكن نزيهة، وأنها هيمنت عليها عدة أطرافٍ، وأُقصِي فيها كثير من أبناء الشعب العراقي عن الإدلاء بأصواتهم للجهات التي يودون انتخابها وتمثيلها لهم. والخلاصة أن هذه الانتخابات لم تكن شعبية، ولانزيهة، ولا (ديمقراطية) كما يروج لها الاحتلال والمستفيدون منها.

البيان: على ضوء ما تمخضت عنه نتائج الانتخابات، كيف سيكون شكل حكومة الاحتلال الخامسة برأيكم؟ وماذا ستحمل الأحداث التي ترافق تشكيل هذه الحكومة؟

الشيخ الضاري: تمخضت نتائج الانتخابات عن أربع كتل رئيسة متقاربة في العدد أو في النفوذ، ولا تستطيع أي كتلة أن تشكل بمفردها الحكومة القادمة، ولا يبدو أيضاً أن ائتلافاً بين كتلتين أو ثلاث قد يؤدي لتشكيل الحكومة لأسباب وضعتها العملية السياسية أساساً؛ ولذلك في أقرب التقديرات فإن الحكومة ستؤلَّف في النهاية من أربع كتل هي: (القانون) و (الائتلاف الوطني) و (التحالف الكردستاني) و (العراقية). وإذا كان الأمر كذلك، فإن هذا الائتلاف الرباعي سيكون ضعيفاً ولن يأتي بحكومة قوية يمكن أن تسهم في إخراج العراق من المشاكل التي هو فيها، وجَلْبِ الأمن والاستقرار لأبنائه، أو على الأقل التخفيف من مشاكله ومعاناة أبنائه؛ وذلك للأسباب الآتية:

١ – آلية اتخاذ القرار فيها ستكون في الغالب بالتوافق، وهذا التوافق غالباً ما سيكون على حساب مصلحة البلد وأهله.

٢ – قرارات الحكومة ستكون خاضعة للتدخلات الخارجية؛ لأن هذه الحكومة ستعترضها عقبات كثيرة ستضطرها إلى الرجوع إلى الجهتين المهيمنتين على الشأن العراقي في هذه المرحلة، وهما: أمريكا وإيران.

٣ – لا يستطيع أي طرف يدعي أنه وطني، وأنه جاء من أجل حل مشاكل العراق، وتأمين الأمن والاستقرار والعيش المناسب لأبناء الشعب العراقي... لا يستطيع تقديم شيء يذكر؛ لأنه سيصطدم بتوجهات الآخرين الذين لا يريدون للعراق أمناً واستقراراً وتعايشاً سلمياً حقيقياً.

وخلاصة القول أن الانتخابات وما سيسفر عنها من حكومة لا يمكن أن تؤدي إلى تغيير الأوضاع في العراق، بل ستسهم في تأزيمها وتعميقها أكثر من أي وقت مضى.

البيان: ما أسباب الصراع الدائر الآن بين الكتل والأحزاب الفائزة في الانتخابات حول تشكيل الحكومة؟ وهل فيه إشارات إلى أن في العملية السياسية صراعاً وتنافساً حقيقياً للفوز بتشكيل الحكومة؟

الشيخ الضاري: الصراع الدائر الآن بين الكتل والأحزاب الفائزة في الانتخابات له أسباب عديدة، وإن حاول البعض إخفاءها، منها: الرغبة في الهيمنة على الحكم بأي شكل كان، حتى ولو كان بالقوة. وهذا ما تشير إليه كل التصرفات والسلوكيات التي تسير عليها الحكومة الحالية منتهية الولاية. ومنها أيضاً أن بعض الكتل لديها برامج طائفية؛ وبعضها لديها برامج عِرْقية، وبعضها لديها برامج سياسية... وهي مختلفة ولا تلتقي؛ كما أن هناك الهيمنة الأجنبية والتدخلات الخارجية فالأمريكيون حريصون على أن تكون العملية غطاءً مناسباً لمصالحهم في العراق بعد انسحابهم، والإيرانيون

يريـــدون من الحكومة من خلال حلفائهـــم أن يبقى نفوذهم في العراق قوياً، وأن لايلتئم شـــمل العراق، وأن لا يقف على قدميه كبلد حر مستقل له مكانته في المنطقة. كما أن هناك قِوىً داخلية لا ترغـــب في أن يكون العراق بهذه المكانة؛ لأن عـــودة العراق إلى مكانته الطبيعية قد تحول بين هذه القوى وبين تحقيق مصالحها ومخططاتها في العراق.

البيان: إن الناظـر مـن خـارج المشـهد العراقي يسـأل: لمـاذا هيئة علماء المسـلمين في العراق لم تدعم المشـاركة في الانتخابـات؟ وهل تجد لموقفها هذا تأييداً من أوسـاط الشعب العراقي؟

الشـــيخ الضاري: لم تدعم الهيئة المشاركة في الانتخابات الأخيـــرة؛ لأنها تعلـــم مقدَّماً بنتائج هـــذه الانتخابات، وكانت تستشـــرف ما ســـتؤول إليه هذه الانتخابات؛ فقد استشرفنا في الهيئة أن الانتخابات ســـتأتي بأربع أو خمس أو حتى ست كتل متقاربة وتشكَّل منها الحكومة، وأن هذه الحكومة ستكون ضعيفة وخاضعة لمرجعيتين همـــا: أمريكا وإيران، ومن ثَمَّ لن تستطيع هذه الحكومة أن تغير شيئاً في العراق أو تصلح شيئاً مما أفســـده الدهر؛ ولذا لا تريد الهيئـــة أن تتحمل وِزْرَ دعم عملية تعلم مقدَّماً أنها فاشـــلة، فضـــلاً عن كون هذه العملية تجـــري في ظل الاحتلال الذي قالت الهيئـــة منذ البداية: إنه لا شـــرعية لأي حكومة في ظله، وإن آية عملية سياســـية في ظل الاحتـــلال لا يمكن أن تؤدي إلى إخـــراج العراق مما هو فيه وإيصاله إلى شـــاطئ الســـلامة. وتبيَّن لنا - والحمد لله الـــذي لا يحمد على مكروه ســـواه - بعد الانتخابات أن أغلب أبناء شعبنا وقسم من أرباب العملية السياسية، أقرُّوا بأن رأي الهيئة في العملية السياســـية عموماً هو الرأي الســـليم، وأن هذه العملية ليست إلا مظلة لخدمة مشروع الاحتلال ومشاريع القوى المتدخلة من خارج العراق والقوى المهيمنة على السلطة في داخله؛ ولذلك فنحن لا نعوِّل عليها بقليل أو كثير.

البيان: كيف تنظر هيئة علماء المسـلمين إلى مسـتقبل العـراق؟ ومـا الـذي تتوقعـون حصوله في حال انسـحاب قوات الاحتلال الأمريكي؟

الشيخ الضاري: تنظر الهيئة إلى مستقبل العراق في المدى القريب على أنه مســـتقبلٌ معتمٌ للأسف، وأنه قد تشوبه بعض الأحداث والمنعطفات المؤذية. أما على المدى البعيد فإنها تأمل أنه قد يعود مستقبلاً لأبنائه، وأنه سيتماثل للشفاء وسيخرج من كل العوائق والمصدَّات التي وضعها الاحتلال، والمتعاونون معه، وعملاؤه على طريقه. أما في حـال انســـحاب الاحتلال فإننا لا نتوقع حدوث أحداث كبيرة؛ وإنما قد تعتري هذا الانسحاب وتصاحبـــه بعض الظروف غير العادية؛ لِمَا أحدث في العراق من شـــروخ وفجوات، ولكنها في تقديرنا لن تؤثر على مســـار الطريق الصحيح لحل مشاكل العراق ولعودة العراق إلى أهله؛ لأن كثيراً من المشـــاكل العالقة اليوم فـــي العراق يقف وراءها الاحتلال، فإذا خرج فإن الطريق ستكون مفتوحة للتفاهم بين أبناء العـــراق، والتصالح والتعايش في ما بينهم؛ لأن الاحتلال كان هو العائق الأكبر لذلك ولا يزال، بل هو الســـبب الرئيس لإحداث الفتن والخلافات وتأجيجها بين الأطراف العراقية من خلال حلفائه وعملائه في العراق.

البيان: العـراق وقـع تحـت الاحتـلال في ظـل إدارتين للحكومة الأمريكية، ما الفارق بين إدارة بوش وإدارة أوباما من وجهة نظركم؟

الشـــيخ الضاري: في تقديرنا لا يوجـــد فرق بين الإدارتين الأمريكيتـــين: إدارة بوش الســـابقة، وإدارة أوباما الحالية. وكنا نتوقع أن يســـتفيد أوباما من أخطاء سلفه، وكانت الأجواء مهيئة لذلك ومســـاعِدَة له؛ في أن يستفيد منها وأن يجري تغييراً في السياســـة الأمريكية في العراق. ولكنه سار على الطريقة نفسها التي كانت تســـير عليها الإدارة الســـابقة: عســـكرياً، وأمنيـــاً، واقتصادياً، وسـياســـياً؛ فالقوات الأمريكية ما زالت تسير على السياسية نفسها؛ فاحتلال المدن والقرى، والقصف، والمداهمات، وقتل العراقيين المدنيين الأبرياء في الشـــوارع؛ مستمر كما كان في عهد الإدارة السابقة، بل حدثت أعمال على عهد هذه الإدارة أفظع بكثير مما جرت في عهد الإدارة السابقة.

أما أمنياً فقد ازداد الأمر ســـوءاً في العراق؛ فالاغتيالات والاعتقالات من قِبَل القـوات الأمريكيـة والحكومية أودت بما يزيد على نصف مليون عراقي، هم اليوم مغيبون في ســـجون الاحتلال والحكومـــة، وأما في الوضع السياســـي فإن إدارة أوباما وإدارة بوش اعتمدتا على الدمى نفســـها التي حكمت العراق، أو تحكَّمت فيه من خلال هاتين الإدارتين؛ على الرغم من علمهما بفســـاد هذه الدمى سياسياً وإدارياً ومالياً، فضلاً عن إجرامها بحق أبناء شعبها؛ حيث تسببت مع الاحتلال في إزهاق أرواح ما يزيد على مليون ونصف مليون شـــخص. ومن هنا فإن إدارة أوباما لم تختلف عن إدارة سلفه. بل ربما تزيد

عليها بحَيْرَتها وضعف إرادتها وقرارها في العراق.

البيان: الملف الأمني في العراق يلتحف الملف السياسي... يا تُرَى كيف يكون اللعب بهذين الملفين في تشكيل الحكومة القادمة؟

الشيخ الضاري: بالتأكيد الملفان: الأمني والسياسي متلازمان ويلتحف أحدهما الآخر؛ فالملف الأمني يقوم على السياسي، ولَمَّا لم يكن للحكومة ملف سياسي واحد متفق عليه، بل هناك ملفات سياسية متعددة لكل قوة، أو جهة من الجهات الحاكمة أو المتنفِّذة في العراق، أصبح الملف الأمني متأرجحاً بين هذه الملفات السياسية المتعددة. وبسبب هذا سيبقى الوضع مرتبكاً ومضطرباً وستبقى نتائجه المأساوية تقض مضاجع أبناء الشعب العراقي وتجر عليه يومياً كثيراً من المصائب والويلات.

البيان: يشير عدد من التقارير إلى سيناريو محتمَل، وهو تشكيل حكومة (إنقاذ وطني) في حال فشل السياسيون في تشكيل الحكومة. ما هو موقفكم من هذا السيناريو؟ وما البدائل التي تقترحها الهيئة في ذلك؟

الشيخ الضاري: من المعلوم أن مواقف الهيئة من الحكومات عموماً مرتبطة بمواقف هذه الحكومات من العراق وأبنائه وسلوكيات هذه الحكومات وأدائها، وليس موقفها متعلقاً بأشخاص الحاكمين؛ لذلك كانت مواقف الهيئة منذ الاحتلال وإلى اليوم مواقف مناهضة لأعمال هذه الحكومات وسلوكياتها؛ لأن هذه الحكومات كانت حكومات أحزاب، وجهات، وفئات سياسية وطائفية وعرقية، تخدم أولاً مصالح الحاكمين الشخصية، وتخدم ثانياً الأحزاب التي تنتمي إليها، وتخدم ثالثاً مصالح القوى التي مكَّنتها من حُكْم العراق وإدارة شؤونه، وفي مقدمتها الولايات المتحدة وإيران وغيرهما من القوى الأخرى الخارجية الدولية والإقليمية. ولم يكن من بين اهتمامات هذه الحكومات الاهتمام بمصالح العراق العليا، أو مصالح أبنائه من قريب أو بعيد، ومن هنا كانت مواقف الهيئة هي مواقف المناهضة والمعارضة لها: سياسياً وإعلامياً ومعنوياً؛ لأن هذا أقل ما يجب على الهيئة أن تعمله إزاء ما تراه من الفساد والخراب والدمار الذي أصاب العراق وشعبه على يد حكومات الاحتلال؛ فإذا جاءت هذه الحكومة الجديدة - والأخيرة إن شاء الله في ظل الاحتلال - وسارت على طريق الحكومات التي سبقتها، فإن موقفنا سيبقى موقف المناهضة الواضحة والصريحة لها، وأما إن تغير الوضع في العراق تغييراً واضحاً حاسماً، تنعكس آثاره على أبناء الشعب: كتغيير الدستور، وإنهاء الاحتلال، وإزالة ما خلَّفه عدوانه من خراب ودمار، وتعويض أبناء الشعب عمَّا خسره وعاناه، واحترام رأي القوى السياسية المناهضة للاحتلال والمقاوِمة له، والاعتراف بجهودها وتقديرها؛ فإن الهيئة قد يكون لها موقف آخر، ولكل حادث حديث.

وأما السيناريوهات المطروحة أو التي يروَّج لها إعلامياً في حال فشل تشكيل الحكومة، فهي كثيرة، ومنها مشروع حكومة الإنقاذ الوطني. وهذا السيناريو هو جزء من سيناريوهات العملية السياسية، وهو أمر يعود إلى أرباب العملية السياسية وسادَتهم؛ لأنه في كل الاحتمالات سيكون هذا السيناريو مشكَّلاً منهم، أو ممن هم قريبون منهم؛ ولذلك فهو لا يخرج عن إطار العملية السياسية. وبناءً على ذلك فهو أمر يخص أصحاب العملية السياسية والمتحكمين الحقيقيين في الشأن العراقي اليوم.

البيان: كيف تنظر هيئة علماء المسلمين إلى الدور الإيراني في العراق؟ وما هي الطرق التي تراها الهيئة للحد من هذا الدور؟

الشيخ الضاري: الدور الإيراني أصبح اليوم واضحاً لكل مهتمٍّ بالشأن العراقي؛ فقد أجاب الإيرانيون أنفسهم عن تساؤلات كثيرة كانت تُطرَح في المجالين (الإعلامي والسياسي). منها: هل إيران متدخِّلة في العراق أم لا؟ وهل تدخُّلها بالحجم الذي تتكلم عنه القوى العراقية الرافضة للاحتلال والتدخل الأجنبي في العراق؟

ومما لا يخفى أن كل دول الإقليم وشعوبه أصبحت تعرف أن من أسباب تعقُّد مشكلة تشكيل الحكومة القادمة هو

التدخل الإيراني أو ما يسميه بعض الناس (الفيتو الإيراني)؛ ولذا فـإن التدخل الإيراني أصبح اليوم واضحاً أكثر من أي وقت مضى لأبناء شعبنا قبل غيرهم، بل حتى البسطاء منهم في الشارع يتكلمون عن النفوذ الإيراني ويشجبونه، ولعل ما تنقله وسائل الإعلام على لسان الشعب العراقي عن هذا الموضوع في كل حدث من الأحداث يؤكد ذلك.

أما عن ماهيَّة الطرق التي تراها الهيئة للحدِّ من هذا الدور، فهي ترى أن طُرُقَ الحدِّ من الدور الإيراني، والدور الصهيوني، والأدوار الأخرى في العراق - وهي كثيرة - تتوقف على الأمور الآتية:

١ - رحيل الاحتلال رحيلاً كاملاً.

٢ - إجراء مصالحة حقيقية بين كل أبناء الشعب العراقي.

٣ - إزالة آثار الاحتلال، ومنها عمليته السياسية وما اشتملت عليه: من دستور، ومحاصصة، واتفاقية أمنية... وغير ذلك.

حينها سيفاجئ العراقيون العالم بوحدتهم وتسامحهم وتصالحهم؛ وهذا هو الذي سيقضي في النهاية على كل تدخُّل خارجي ضارٍّ ومنه التدخل الصهيوني والتدخل الإيراني وغيرهما من التدخلات الأخرى.

البيان: أين تقف تركيا من القضية العراقية؟ وهل تعول على موقفها في إيجاد توازن بين التجاذبات الإقليمية والاحتلالية؟

الشيخ الضاري: إن موقف تركيا في العراق لا يختلف كثيراً عن مواقف الدول العربية؛ لأنها مؤيِّدة للعملية السياسية كما العرب مؤيدون لها؛ على الرغم من أن هذه العملية السياسية هي التي جلبت إلينا كل المشاكل والمصائب التي يعاني منها الشعب العراقي، ومع هذا نأمل من الموقف التركي أن يكون عامل توازن بين التجاذبات الإقليمية والاحتلالية؛ ولا سيما أن أغلب العراقيين يعتقدون - في ما نعلم - أنه ليس لتركيا أطماع جغرافية في العراق ولا نوايا للهيمنة السياسية أو غيرها.

البيان: ما هو تعليقكم على قرار وزارة الخزانة الأمريكية ولجنة (١٢٦٧) بخصوص الاتهامات التي وُجِّهت مؤخراً إلى المسؤول الإعلامي في هيئة علماء المسلمين الدكتور مثنى حارث الضاري؟ وهل كان لهذه الاتهامات تأثير على الهيئة من حيث مواقفُها وانتشارُها؟

الشيخ الضاري: القرار الأمريكي الصادر من وزارة

إن موقف تركيا في العراق لا يختلف كثيراً عن مواقف الدول العربية

الخارجية واللجنة (١٢٦٧) في الأمم المتحدة ليس جديداً، بل وُجِّهَ مثلُه لي قبل سنتين. وهو قرار مبنيٌّ على اتهامات كيدية باطلة، فبركتها حكومة المالكي الحالية ونسبتها إلينا أولاً قبل سنتين، ثم إلى ابننا مسؤول الإعلام في الهيئة أثناء الانتخابات الأخيرة. ونعتقد أن هذا من قبيل الضغوط التي تمارسها الإدارة الأمريكية على الهيئة، وكذلك الحكومات المشكَّلة في ظلها؛ لنتراجع عن أهدافنا وثوابتنا ومطالبنا المشروعة في تحرير العراق وأمنه واستقراره. ولكن - والحمد لله - لم تؤثر

هذه الاتهامات وهذه الضغوط على الهيئة من حيث مواقفها وانتشارها، بل زادتها ثباتاً وتأييداً؛ لأنها:

أولاً: اتهامات كيدية وباطلة، كما قلنا.

وثانياً: لم تغطِّ فشل العملية السياسية وانتخاباتها الهزلية الأخيرة التي استبد بها المالكي، ولم تستطع الإدارة الأمريكية أن تأخذ على يديه بشيء: سواء في تزوير الانتخابات، أو تأخير تشكيل الحكومة، أو إيقاف الاعتقالات والاغتيالات والتفجيرات التي تعم العراق اليوم من شماله إلى جنوبه، والتي أظهرت بوضوح عجز الإدارة الأمريكية عن عمل أي تغيير في العراق، وأن موقفها هو موقف المتفرج على ما يجري من مآسٍ في العراق، بل موقف المشارك في ذلك والمغطي له.

[المسلمون.. والعالم]

فلسطين... مأزق شعب وقضية أم سلطة ومقاومة؟
عصام زيدان

قَتَلَة الأنبياء
د. يوسف بن صالح الصغير

المسلمون في بولندا... الواقع والمأمول
السيد محمد المسيري

متى نرى مسؤولاً عربيّاً في غزة؟
السنوسي محمد السنوسي

«ماذا لو...؟» إستراتيجية ردع جديدة
أحمد فهمي

مرصد الأحداث
جلال الشايب

حلف الناتو والبحث عن دور إستراتيجي جديد
هشام منور

مفاوضات في ظلال المستعمرات والتنازلات!
محمد العبد الله

فلسطين... مأزق شعب وقضية أم سلطة ومقاومة؟

عصام زيدان

دخلت القضية الفلسطينية في مأزق حقيقي ربما يكون غير مسبوق على مدار تاريخها الطويل. ومن باب التحليل المخلّ اعتقاد أن هذا المأزق خاص فقط بحكومة رام الله التي راهنت على الحلول السلمية التفاوضية، ولم تستطع من خلالها أن تحقق للشعب الفلسطيني والقضية أية منجزات حقيقية على أرض الواقع. ومن الباب ذاته يكون اختصار القضية فقط في مأزق المقاومة والحركات والفصائل المختلفة التي أصبحت في حصار خانق بقيود السلطة والسياسة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

فالقضية الفلسطينية لا يمكن النظر إليها من منظورٍ أحاديٍّ قاصرٍ على هذه الفئة أو تلك؛ إذ هي – من منطلق شامل وعام – في مأزق أخطر؛ وذلك عند النظرِ إلى كل هذه المآزق وغيرها مجتمعة، ومعرفةِ أثرها على القضية والشعب، وليس فقط تأثيرها على السلطة وفصائل المقاومة كلٌّ على حِدَة.

ويمكن هنا أن نعرض لحَلْقَة مكتملة من المشكلات الخانقة التي تحيط بالقضية إحاطةَ السوار بالمعصم، ونتعرف على تأثيرها مجتمعة على القضية الفلسطينية ومستقبلها، ونتناول ذلك في أربعة محاور:

المحور الأول: مأزق السلطة الفلسطينية في رام الله.

المحور الثاني: مأزق حركات المقاومة وفصائلها.

المحور الثالث: موقف القوى الإقليمية المؤثِّرة.

المحور الرابع: موقف العدو المتغطرس، والوقت الحرج.

المحور الأول: مأزق السلطة الفلسطينية في رام الله:

إن المأزق الذي وقعت فيه السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية يتمثل برأيي في بُعدَيْن اثنين:

البعد الأول: ويتمثل في الاعتماد فقط على الخيار السلمي التفاوضي، والتخلي

مطلقاً عن خيار المقاومة؛ حتى ولو على سبيل الضغط على العدو الإسرائيلي لإجباره على التفاوض أو تليين موقفه، كما هو معهود ومعروف في كافة أدبيات حركات التحرر، بل ذهبت السلطة لأبعد من ذلك حينما جرَّمت وسائلَ المقاومة المسلحة، في الضفة، وجردت المقاومين من الأسلحة، ودجَّنت كتائبَ شهداء الأقصى ضمن قوات الشرطة التي ليس من بين أهدافها على الإطلاق مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، بل ينصبُّ عملها على ملاحقة التظاهرات الفلسطينية، ووَأْدِ أي تحركات شعبية تضر الاحتلال.

كما نفضت يدها من المصالحة مع حركة حماس التي تسيطر على قطاع غزة؛ وهو ما يعني عملياً ضياع كلِّ فرص الالتقاء بين العمل المقاوم والتفاوض السياسي، واستمرار حالة الانقسام التي يُحسِن الاحتلال الإسرائيلي استغلالها والترويج لها؛ باعتبار أن غياب التوافق الداخلي الفلسطيني يعد سبباً رئيساً في فشل عملية التفاوض وإقامة الدولة الفلسطينية.

البعد الثاني: ويتمثل في انكشاف مآل الحل التفاوضي السلمي، وأنه لا يعدو أن يكون مضيعة للوقت حتى يتسنَّى للاحتلال الإسرائيلي أن ينفِّذ كامل خططه للتهويد والهدم والتشريد وإرساء وقائعَ على الأرض يستحيل معها قيام دولة فلسطينية، حتى على تلك المساحة الجغرافية الضئيلة من فلسطين التاريخية في الضفة وغزة.

إن هذا الانكشاف، ربما هو الذي دفع السلطة لطلب الغطاء العربي لإجراء مفاوضات غير مباشرة مع الإسرائيليين ولمدة محددة، وهي بالطبع مجرد إجراءات شكلية؛ فقد أجريت من قَبْلُ عشرات المفاوضات المباشرة وغير المباشرة بأغطية متعددة النكهات: عربية وأمريكية، وغربية، إلا أنها فشلت جميعها في زحزحة الموقف الإسرائيلي عن رفضه إقامة دولة فلسطينية.

وخلاصة القول هنا: أن السلطة في مأزق حقيقي، يُلقِي بظلاله التأثيرية على مستقبل القضية بعدما فشلت كل محاولات التفاوض السلمي مع الاحتلال الإسرائيلي، وما عاد بمقدور هذه السلطة أو غيرها - حتى وإن تبدلت شخوصها - أن تأتي بجديد للقضية أو تُحدِث خرقاً في جدار العجز التفاوضي الحالي.

وهذا - كما أسلفنا - لا يعني مأزقاً للسلطة فقط، بل هو مأزق أكبر للقضية ذاتها ممثَّلاً في عجز قادتها السياسيين عن إحراز أي تقدُّم أو تحريك في القضية مع تشبثهم بالجلوس على كرسي الحكم ورفضهم التنحيَ، والتمسك بالنهج الاستسلامي ذاته؛ بعدما رفضوا كافة الخيارات الأخرى وأزاحوها من حساباتهم.

المحور الثاني: مأزق حركات المقاومة وفصائلها:

ويتمثل مأزق هذه الحركات والفصائل في تقييدهم باتفاقيات تمنع أعمال المقاومة المسلحة في غزة وهو ما وقَّعت عليه حركة حماس برعاية مصرية مع الاحتلال الإسرائيلي، والتزمت به غالب الفصائل المسلحة حتى الآن.

كما أن هذه العمليات تُعَدُّ مجرمة في الضفة الغربية، ويجري ملاحقة فاعليها من قِبَل السلطة الفلسطينية ذاتها بالتعاون مع قوات الاحتلال.

فالسلطة في الضفة تعرقل أي حركةٍ مقاومةٍ للاحتلال؛ وهو أمر لم يعد خافياً؛ فقد أعلنت هذه السلطة مراراً أنها مع الخيار السلمي حتى النهاية وأنها لا ترى أية فائدة مرجوَّة من المقاومة المسلحة، واصفة إياها بأنها عبثية وضارة بالقضية الفلسطينية.

وهذا التوجه من سلطة الرئيس محمود عباس لا يتوقف عند حد تبنِّي الرأي فقط، بل الممارسات العملية لهذه السلطة كلها تصبُّ في هذا الاتجاه؛ فالقوات الأمنية التابعة لها تفرض قيوداً مشددة على حركات قادة المقاومة في الضفة، بل أصدر عباس أمراً بتفكيك جميع الأجنحة المسلحة التابعة لحركة فتح، وفي مقدمتها كتائب شهداء الأقصى.

ولاحقت قواته عناصر حركة حماس: إما من خلال الاعتقال المباشر، أو التعاون مع القوات الإسرائيلية وتسهيل عملها في تصفيتهم واعتقالهم، ولم تكن منظمة الجهاد بأحسن حالاً من حركة حماس من حيث ملاحقة عناصرها ومَنْعِها من أي أنشطة مقاوِمة للاحتلال؛ أي أن الأوضاع التي كانت سائدة في الضفة قبل وجود السلطة الفلسطينية كانت أفضل وأشد عوناً على المقاومة المسلحة من الأوضاع الحالية؛ فوجود الاحتلال ربما يكون دافعاً للحراك والمقاومة وشَحْذِ الهمم، أكثر من سلطة مناوئة ومعارضة لهذا النهج، ولا ترى إلا الخِيار التفاوضي السلمي، بل تجرِّم مقاومة الاحتلال وتلاحق فاعليه.

كما أن الجنرال الأمريكي كيث دايتون (المنسق الأمني الأمريكي في الضفة) الذي استُدعيَ بعد وصول حركة حماس إلى السلطة لتدريب القوات الفلسطينية للسيطرة على الأمن وبسط سيطرة الحكومة الفلسطينية على أراضيها، يقوم بمهمة رئيسة في منع وإحباط أية محاولة قد تفجِّر الانتفاضة الثالثة وأعمال المقاومة.

وكشف دايتون بنفسه عن مهمته الأساسية في الضفة، المتمثلة في (تغيير عقول وولاء هذه القوات)؛ ففي خطابه أمام معهد واشنطن للسياسات الشرق أوسطية - وهو أشهر مركز

للدراسات المتعلقة بقضايا الشرق الأوسط - أشار دايتون إلى أنه نجح في تحويل قوات الأمن الوطني الفلسطينية إلى (جندرما) فلسطينية، مهمتها السيطرة على التظاهرات، وكيفية التعامل مع الاضطرابات والقلاقل المدنية.

واقتبسَ كلمةً لضابط فلسطيني كبير، وهو يتحدث إلى الخريجين في الأردن عام ٢٠٠٩م، ليدلل بها على نجاح إنجازاته، جاء فيها: (لم تأتوا إلى هنا لتتعلموا كيف تقاتلون إسرائيل، بل جئتم إلى هنا لتتعلموا كيف تحفظون النظام وتطبقون القانون من أجل العيش بأمن وسلام مع إسرائيل).

وفي المنظور الواقعي تصدت هذه القوات للمتظاهرين بفاعلية، قمعاً واعتقالاً، أثناء انفجار مسيرات الاحتجاج التضامنية ضد المجازر الإسرائيلية في قطاع غزة، ووقفت موقفاً سلبياً عندما هاجم المستوطنون أهالي مدينة الخليل وعاثوا فيها فساداً وتدميراً؛ حتى إن أحد قادتها رد على طلبات مواطنيه بالتدخل لحمايتهم من وحشية هؤلاء بأنه ليست لديه أوامر بالتصدي للإسرائيليين، وإنما للفلسطينيين المتظاهرين فقط!

فقوات دايتون الأمنية أذن تتمحور مهمتها حول كيفية حماية قوات الاحتلال، وقمع أي مقاومة فلسطينية، والعمل جنباً إلى جنب مع نظيرتها الإسرائيلية في هذا الميدان؛ أي: قتل الشعور الوطني كلياً وتغيير عقيدة الولاء.

وفي قطاع غزة، كما أسلفنا، توقَّفت حركات المقاومة ضد الاحتلال من قِبَل الفصائل الفلسطينية بموجب التهدئة التي توصلت إليها حركة حماس مع الاحتلال برعاية مصرية بعد نهاية محرقة غزة.

ومحصلة الأمر في الضفة أو غزة، هي تقييد حركة المقاومة والنضال ضد قوات الاحتلال، ومن ثَمَّ فإن قادة تحريك الشارع الفلسطيني: إما مغيبون في الضفة بموجب قرار السلطة، وأغلبيتهم في سجونها، أو ممنوعون من هذا الحق في غزة لاعتبارات سياسية تراها حماس.

والخلاصة: أن خِيار المقاومة أصبح منزوع الفاعلية في الساحة الفلسطينية في الوقت الراهن، والرِّهان قائمٌ على قيام انتفاضة شعبية، كانتفاضة الحجارة في عام ١٩٨٧م، أو انتفاضة الأقصى في عام ٢٠٠٠م؛ إلا أن ذلك غير مرجَّح في ضوء المقدمات سالفة الذكر.

وبطريقة أكثر وضوحاً نقول: إن الجناح الآخر الافتراضي لحركات التحرر الممثَّل في المقاومة والكفاح المسلح، لم يكن بحالٍ أفضل من الجناح السياسي؛ فكلاهما غيرُ مؤثِّر الآن في مسار القضية ومحكومٌ بتجميده إلى مدى غير منظور.

المحور الثالث: موقف القوى الإقليمية المؤثِّرة:

إذا كان المحوران السابقان يتحدثان عن البعد الداخلي وما يشكلانه من مأزق للقضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني، فهذا المحور يُعنَى بالحديث عن البُعدِ الإقليمي الخارجي، ونقصد به المحيط العربي الفاعل في القضية الفلسطينية، وهذا المحيط على اختلاف الدول المنضوية تحته، نلحظ فيه أمرين هامين:

الأمر الأول: أن أغلب هذه الدول التي كان لها تأثير فاعل في القضية الفلسطينية قلَّصت تفاعلها مع هذا الملف إلى حدِّه الأدنى؛ فأصبح تعلُّقها لا بحل القضية الجوهرية الممثَّلة في إنهاء احتلال الأرض ووَقْفِ انتهاك المقدسات، وإنما تركَّز جلُّ همِّها حالياً على ملفات فرعية: كملف الجندي الصهيوني الأسير لدى الفصائل (جلعاد شاليط)، أو ملف المصالحة الداخلية بين فتح وحماس، أو الحفاظ على الهدنة بين حركة حماس والاحتلال في قطاع غزة.

وإذا كانت هناك أدوار على استحياء فيما يخص لُبَّ القضية وجوهرها، فإنها تتمثل في شكلٍ سلبيٍّ، كالضغط على أطراف فلسطينية لتقديم تنازلات، أو السعي مجدداً للانخراط في التفاوض، أو تقديم غطاء وهميٍّ لهذه المفاوضات، ولكن أغلب هذه الدول - كما ذكرنا سابقاً - نفضت يدها بالكلية من القضية الرئيسية حتى في بُعدِها الديني الممثَّل في ضرورة الحفاظ على المقدسات وعدم انتهاكها من قِبَل الاحتلال الإسرائيلي، متذرعين بأن الانقسام الحالي يشكل عائقاً حديدياً أمام أي تدخُّل عربي لصالح القضية الفلسطينية.

الأمر الثاني: أن الدول الأخرى في هذا المحيط، التي تُصنَّف ضمن ما يسمى: محور الممانعة والاصطفاف مع المقاومة، هي في حقيقتها لم تسجِّل أي حضور فاعل للقضية الفلسطينية، ودورها فقط يقتصر على الدعم الإعلامي، واستضافة بعض الشخصيات والقيادات المحسوبة على المقاومة.

هذا إضافة إلى كونها لم تقدِّم أي دور حقيقي يخدم القضية ككلٍّ، ويضعها على مسار الحل النهائي؛ إذ إنها في أحيان كثيرة تكون ورقةُ المقاومةِ في يدها أداةً لتحصيل مكاسب إقليمية أو درء مخاطر دولية؛ أي أنها تمتطي هذه الورقة لتحقيق مكاسب ذاتية، ولا تنظر بعين المصلحة والاعتبار للقضية ذاتها.

بل الأعجب من ذلك أنها - وهي التي تحتضن قادة المقاومة - ما زالت تبحث عن حل سلمي تفاوضي تستعيد به أراضيها، ولا تسمح بانطلاق أية مقاومة فاعلة لتحرير هذه

الأرضي على الرغم من مرور عشـــرات السنين على احتلالها.

وخلاصة القـــول في هذا المحور: أن الدور العربـــي الخارجـــي أصبح لا يشـــكل أي دعم للقضية الفلســـطينية؛ إذ نراه: إما تراجع إلى حدود الأدوار الهامشية المحدودة التي لا تدفع باتجاه حل القضية، أو توقُّف عند حد استغلال ورقة المقاومـــة لتحقيق مصالح ذاتية، لا علاقة لها بحل القضية.

المحـور الرابـع: العـدو المتغطـرس، والوقت الحرج:

أما عن الجانب الإسرائيلي فقد تسارعت خطواتـــه في كافـــة الاتجاهات لحصار القضية الفلســـطينية مستغلاً فشل الساســـة وتوقُّف المقاومين وانفضاض الاهتمام العربي.

فقد أفشلت إســـرائيل كل محاولات التفاوض مع السلطة الفلســـطينية، واختلقت كافة المبررات لإجهاض المفاوضات أو تفريغها مـــن مضمونها، وكان آخرها الإعلان عن بناء أكثر من ١٦٠٠ وحدة اســـتيطانية جديدة، عقب الاتفـــاق على إطلاق المفاوضات غير المباشرة.

كما زادت مـــن وتيرة اغتيال قـــادة المقاومة وملاحقتهم، وقائمة الشهداء لا تنتهي من قادة حماس وغيرهم، وكان آخرهم القيادي في حماس محمود المبحوح الذي اغتاله الموســـاد في فندق بإمارة دبي.

وعلى صعيد انتهاكات المقدســـات الإســـلامية، ربما لا نجـــد يوماً يمـــر إلا وتُنتَهَك فيه حرمة المســـجد الأقصى، من خلال الاقتحامات المســـتمرة من قِبَل جنود الاحتلال وقطعان المســـتوطنين والســـائحين؛ فقد قامت قوات الاحتلال - على سبيل التمثيل لا الحصر - في ٢٥ من أكتوبر ٢٠٠٩م بمحاصرة المسجد الأقصى، ومَنْع المصلين من الدخول إليه، والاعتداء على المعتكفين في المسجد، واستباحة باحة الحرم القدسي وإطلاق قذائـــف الصوت والدخـــان في محاولة لتمهيـــد الطريق أمام جماعات يهودية متطرفة كانت تنوي اقتحام المســـجد الأقصى المبارك، بمناســـبة ما يطلقون عليه: (يـــوم صعود الرمبام إلى جبل الهيكل).

كما دنَّست قوات الاحتلال في الشهر ذاته المسجد الأقصى اســـتجابة لدعوة وجَّهتها جماعـــات يهودية متطرفة لأنصارها من أجل المشاركة في اقتحامٍ جماعي للمسجد الأقصى؛ وذلك بالتزامن مع حلول ما يُســـمى بـ: (عيد العرش العبري)، وحثت هذه الجماعات أنصارها على إقامة شـــعائر وطقوس تلمودية تتعلـــق بخرافة الهيكل المزعوم وتخليصـــه من يد من وصفتهم بـ: (الأشرار).

كما تعمَّد الاحتلال الإســـرائيلي ســـرقة المقدسات، وآخر عمليات السرقة كانت إعلانه ضمَّ المسجد الإبراهيمي ومسجد بلال بن رباح للتراث الإســـرائيلي نهاية شـــهر فبراير ٢٠١٠، وقيامُه بافتتـــاح كنيس الخربة قبالة المســـجد الأقصى إيذاناً بانطلاق مشـــروعهم لإعادة بناء الهيـــكل، تحقيقاً لنبوءة أحد الحاخامـــات الذين يقولون: إنه في القرن الثامن عشـــر، حدد يوم الســـادس عشر من شـــهر مارس في عام ٢٠١٠ للبدء في عملية البناء.

أضف إلى ذلك تســـارُع وتيرة التهويد في البلدة القديمة؛ حيث أكد الشـــيخ رائد صلاح رئيس الحركة الإســـلامية في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م عل أن حملات التهويد تهدد هوية المدينة بشكل كامل، مؤكداً أن لديه من الوثائق التي تؤكد أن كل ما تم كَشْـــفُه ونَشْرُه خلال الفترات السابقة لا يُعَدُّ سوى نسبة قليلة مما لم يظهر للعلن.

أي أن الاحتلال الإسرائيلي يستغل هذا الوقت الحرج الذي تمر به القضية لفرض الأمر الواقع والســـعي نحو إنهاء القضية برمَّتها، خاصة فيما يتعلق بوضع القدس والمقدسات الدينية الإسلامية.

هذا بالضبط وصـــف الواقع المحيط بالقضية والشـــعب الفلســـطيني، والذي لم يجتمع بمثل هذه الصورة والكيفية على مدار تاريـــخ القضية، وهو الأمر الذي يفـــرض على المفكرين والباحثـــين والمهتمين أن يجِدُّوا في البحـــث عن حلول خلاَّقة مبدعة تُخرج القضية من هذا المـــأزق المركب، الذي هو مأزق القضية والشعب، قبل أن يكون مأزقاً للسلطة والفصائل.

بعد زيارة نائب وزير خارجية جنوب إفريقيا لغزة:

متى نرى مسؤولاً عربيّاً في غزة؟

السنوسي محمد السنوسي

منذ فرض الكيان الصهيوني حصاراً خانقاً على قطاع غزة، بعد أن سيطرت عليه حركة المقاومة الإسلامية (حماس) عام ٢٠٠٧م قبيل اندلاع انقلابٍ عليها بإيعاز من أمريكا وإسرائيل للقضاء على حركات المقاومة؛ فإن الكيان الصهيوني حرص على إبقاء قِطاع غزة معزولاً سياسيّاً واقتصاديّاً عن العالم الخارجي، فيما يُعَد أكبر سجن عرفه التاريخ البشري.

لكن هذا (الجدار) الخانق من الحصار السياسي والاقتصادي الذي لا يقل إحكاماً وقسوة عن جدار الفصل العنصري الذي تطوِّق به إسرائيل الضفة الغربية، وما يزال يتمدد بلا حدود، هذا الجدار استطاعت اختراقَه بعضُ الحركات المتعاطفة مع القضية الفلسطينية وبعض المسؤولين الأوروبيين؛ ونجحوا في فضح عنصرية الكيان الصهيوني ودمويته، وفي الكشف عن مدى المعاناة التي يعيشها أكثر من مليون ونصف مليون إنسان في قطاع غزة، تُركوا يموتون موتاً بطيئاً بعد أن فشل العدوان الصهيوني عام ٢٠٠٨م/ ٢٠٠٩م في كسر إرادتهم وإثنائهم عن التمسك بخِيار المقاومة، وفي حَمْلِهم على الانقلاب على حركة حماس وغيرها من الحركات الوطنية المقاوِمة.

وقد زار قطاع غزة مؤخراً السيد إبراهيم إبراهيم نائب وزير خارجية جنوب إفريقيا، وعقد جلسة مع إسماعيل هنية رئيس حكومة حماس، ثم لقاءً صحفيّاً مع الدكتور محمود الزهار، قال فيه: (جئنا إلى غزة لتأكيد موقفنا الداعم لنضال الشعب الفلسطيني. أتيت لأؤكد مناصرة شعب جنوب إفريقيا للشعب الفلسطيني في نضاله من أجل الحرية).

ومن جانب آخر قال الزهار: (إن زيارة مسؤول جنوب إفريقيا تحمل معاني رمزية هامة لدعم شعبنا الفلسطيني).

وأضاف: (إن هذه الزيارة دليل على دعم جنوب إفريقيا للحقوق والمطالب الفلسطينية وعلى رأسها إنهاء الاحتلال، وإنهاء الحصار الخانق على قطاع غزة، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة).

مشـــيراً إلى أنه شرح للمســـؤول الضيف (طبيعة الأوضاع الراهنة في الســـاحة الفلسطينية في ظل الاحتلال الإسرائيلي والمساعي الرامية لتحقيق المصالحة الوطنية).

وجدير بالذكر أنه في الذكرى الأُولَى للعدوان الإســـرائيلي على قطاع غزة، زار القطاع ثلاثة برلمانيين سويســـريين ضمن وفدٍ من ٥٠ برلمانياً أوروبياً، وتفقدوا الآثار التي خلَّفها العدوان؛ ومـــن قَبْلُ كانت قافلة (شـــريان الحياة) أشـــهر القوافل التي اخترقت الحصار.

إن أهمية زيارة الدبلوماســـي الجنوب إفريقي تكمن في أن الدولة التي يمثلها (جنوب إفريقيا) قد عانت من قَبْلُ من نظام الفصل العنصري (الأبارتيد)، وهـــو النظام الذي يريد الكيان الصهيوني أن يقوم على أساســـه بزعم تحقيق (يهودية الدولة العبرية)؛ ولذلك يُعَدُّ الكيان الصهيوني توءماً للنظام العنصري في جنـــوب إفريقيا، والـــذي كانت بينهما علاقات سياســـية واقتصادية قوية جدّاً.

ولم ينتهِ نظـــام الفصل العنصري هنـــاك عام ١٩٩٤م إلا بعـــد مقاطعة (جنوب إفريقيا) مقاطعة شـــاملة من دول كثيرة بسبب سياساته العنصرية تجاه السود، وشملت المقاطعة جميع المجالات: الأكاديمية والاقتصادية، وحتى الرياضية والثقافية.

ولذا فإن زيـــارة من هذا القبيل تُعَـــدُّ خطوة عملية مهمة لإنعاش الذاكرة الدولية بخطورة التمييز العنصري، فضلاً عن لفت الأنظار إلى معاناة شعب كامل جراء الحصار، خاصة ذاكرة الـــدول الغربية التي تغضُّ الطرف عن الممارســـات العنصرية للدولـــة العبرية، وترفض توصيف الصهيونيـــة بأنها عنصرية بزعم أن ذلك قد يُستغَل لمعاداة السامية!

كما أن هذه الزيارة مهمة أيضاً للشـــعوب العربية التي قد تعتريها لحظات ضعف ويأس، وتنسى أن الظلم مهما طال فهو إلى زوال، بإذن الله.

وإذا كانـــت الزيـــارات لقطـــاع غزة من بعض المســـؤولين الأوروبيين، ومن المنظمات الأهلية والحقوقية التي نظمت قوافل إغاثية عديدة، لم تتوقف - كما أشرت توّاً - فإن هذه الزيارات تثير العديد من التســـاؤلات عن موقف الجانب العربي؛ سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي، مثل:

هل يمكن أن تكـــون الاتفاقيات السياســـية لبعض الدول العربية مانعاً من مســـاندة أهل غزة المحاصرين، أو على الأقل: من إظهار التعاطف معهم؟

وهـــل لنا أن نتخيل أن بعض الـــدول العربية حريصة على علاقتها بأمريكا وإسرائيل لدرجة أنها تخشى من دعم ومناصرة إخوة لها، وتُفَضِّل الصمت حيالهم؟

وأليست الدول الأوروبية التي زار غزة بعضُ مسؤوليها لها علاقات مع إسرائيل أقوى بكثير مع علاقات الدول العربية مع هذه الأخيرة؟

وهل المجتمع المدني العربي والمنظمات الأهلية العربية على هـــذه الدرجة من الضعف؛ بحيث لا يمكنهما مد الجســـور مع غزة؟

وإذا كان بعض الناس لا يشـــجع زيارة غزة متوهِّما أنها قد تفتـــح المجال لمن يريد الترويج لزيارة المســـجد الأقصى؛ وهي الزيارة التـــي تُعَدُّ تطبيعاً مع الكيـــان الصهيوني في الظروف الراهنـــة[1]، إذا كان هذا مفهوماً وارداً: فما المانع من الاتصال تليفونيّاً من المسؤولين العرب بأهل غزة، ودعم حقهم في تقرير مصيرهم بأيديهم؛ بدلاً من ترك الضحية فريســـة سهلة لهذا الغول الصهيوني الذي لا يعترف بقيم إنسانيةٍ أو بأُطر دولية؟

إنني أعتقد أن موقف جنـــوب إفريقيا وغيرها هو موقف يفضح التخاذل العربي، ويكشـــف أن الموقـــف العربي هو في أضعف حالاته.

وغني عن البيان أن هذا الموقف المتخاذل يفتح شهية الكيان الصهيوني - التي لم تتوقف يوماً - لابتلاع المزيد من المقدسات، وانتهاك المزيد من حقوق الشعب الفلسطيني.

لكن الشـــعب الفلســـطيني المجاهد يبدي يومـــاً بعد يوم قدرة فريدة على الثبات والتحـــدي، مُتدرِّعاً بثقته بنصر بالله - سبحانه - وبإيمانه بحقه في أرضه ومقدساته، إلى أن يزول الكيان الصهيوني الغاصب، وما ذلك على المجاهدين الصابرين ببعيد.

---

(١) للعلم أنا مع من يرون عدم زيارة المسجد الأقصى الآن، لكن مع اعتقادي بالاختلاف الكامل بين وضع الأقصى ووضع غزة.

حلف الناتو
والبحث عن دور إستراتيجي جديد

هشام منور(*)
hichammunawar@gmail.com

إذا كان السبب الرئيسي وراء وجود حلف شمال الأطلسي (الناتو) واستمرارِه طيلة أربعين عاماً هو مواجهة التهديد العسكري من قِبَل الاتحاد السوفييتي (سابقاً) ودول حلف وارسو الاشتراكي، فإنه منذ انهيار الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٨٩م، ظل حلف الناتو يبحث عن «منطقٍ» أو «تصوُّرٍ» أو «دورٍ» لمواجهة تحديات وتهديدات ومخاطر الوقت الراهن.

ولإعادة النظر في «المفهوم الإستراتيجي لحلف الناتو»، الذي تمَّت المصادقة عليه عام ١٩٩٩م، فقد جرى تشكيل مجموعة عملٍ تضم ١٢ خبيراً في الصيف الماضي لتزويد الأمين العام للحلف، رئيس الوزراء الدنماركي السابق (أندرس فوغ راسموسين) بتصوُّر يمكن البناء عليه من أجل تحديث المفهوم الإستراتيجي للحلف بشكل يتناسب مع تحديات القرن الحادي والعشرين، وهو التصور الذي سيعرضه راسموسين أمام رؤساء الدول الأعضاء في الحلف في مؤتمر قمة لشبونة في نوفمبر المقبل من هذا العام.

وقد عقدت مجموعة العمل ثلاث جولات للنقاش في أوروبا، وذلك للتوصل إلى توافق حول المبادئ الرئيسية التي سيتضمنها المفهوم الإستراتيجي الجديد للحلف. وعُقدت الجولة الأخيرة من النقاش في جامعة الدفاع الوطني في واشنطن بحضور كلٍّ من: أعضاء فريق الخبراء، وأعضاء مجلس شمال الأطلنطي المكوَّن من مندوبين دائمين من الدول الأعضاء، وكذلك سفراء الدول إلى حلف الناتو، وأعضاء اللجنة العسكرية للحلف المكوَّنة من رئيسٍ وممثلين

(*) كاتب وباحث.

عن كل دولة عضوٍ، وأعضاء القيادتين الإستراتجيتين (قيادة التحـــول، وقيادة عمليـــات الحلف)، إضافـــة إلى مئات من الخبراء والمراقبين.

وعلى الرغم من كون أوروبـــا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية حليفتين إستراتيجيتين تاريخياً، إلا أن فترة الإدارة الأمريكية الســـابقة برئاســـة (بوش الابن) كانت قد شهدت تباعداً سياسياً وصل إلى مرحلة التوتر على صعيد عدد من الملفات الساخنة، وبالذات ملفِّ الشرق الأوسط إثر أحداث الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م، التي سببت انقساماً حتى داخل البيت الأوروبي نفســـه، وتباعداً بين ضفتي الأطلسي، أضيف إلى ذلك مؤخراً الاختلاف حول إســـتراتيجية البقاء في أفغانســـتان في ظل الضربات العســـكرية التي تتلقاها قوات الناتو هناك.

إن القضية الرئيسية التي تلقي بظلالها يمكن صياغتها بالتســـاؤل الآتي: هـــل الناتو ما زال مناســـباً للمرحلة الحالية، أم هو مجرد بقايا لحلف قديم؟

لعل من الســـهل سياسياً القول: إن الحلف يمكن الاعتماد عليه. ولكن افتراض أن الحلـــف يتمتع بالأهمية نفسها التي كان يتمتع بها في الماضي في ما يتعلـــق بالاحتياجات الأمنية للـــدول الأعضاء لن يصمـــد طويلاً في ظل عجزه في أفغانســـتان وتســـبُّبِه بسقوط العديد من الحكومـــات الأوروبية، وفي ظل ما يطلقه من عملياتٍ خارج النطـــاق الجغرافي التقليدي للحلـــف ضد أعداء لا يملكون جيوشاً أو قوات بحرية أو قوات جوية.

وفي ظـــل الأزمة الاقتصادية الراهنـــة التي تعاني منها دول: اليونان، وإسبانيا، والبرتغال، وربما إيطاليا، فإن مسألة الدفاع لم تَعُدِ القضية الأولـــى لأعضاء الناتو؛ ومن ثَمَّ فإن على الحلف أن يسوِّي خلافاته الداخلية ويتجاوز التصورات المتضاربة التي تجعل من الصعب جداً الوصول إلى توافُق في الآراء بين أعضائه؛ فعدم وجـــود تهديد متفق عليه من قِبَل أعضاء الناتو، مثل الاتحاد السوفييتي (سابقاً)، يعرقل - إلى حدٍّ كبير - الوصول إلى إجماعٍ بين الدول الأعضاء كشـــرطٍ لازمٍ لاتخاذ قرارات الحلف.

ويتوجب على «المفهوم الإستراتيجي» الجديد أن يتعامل مع الوضع في أفغانستان، وهناك مجموعة من الخيارات أمام هذا المفهوم الجديد؛ إذ بوسع الحلف أن «يتجاهل» الوضع هناك، أو يؤجل النظر فيه، أو يواجهه، أو يتحايل عليه.

وتتمثل الحجة الرئيسية وراء «إرجاء» المفهوم الإستراتيجي للتعامل مع الوضع في أفغانســـتان فـــي أن الناتو يجب أن يتجاوز أفغانســـتان حينما يبحث في مستقبله، لكن المشكلة فـــي هذا الخِيار تتمثـــل في أن الناتو قد راهن بمســـتقبله على النجاح في أفغانســـتان، ومن ثَمَّ يُعَدُّ تجاهل الوضع في أفغانستان أمراً غير مضمون العواقب.

وهناك خِيـــارٌ آخر لن يلقى مقاومة كبيرة يتمثل في «التحايل»؛ بمعنـــى أن يكتفـــي الناتو بقبول الدروس المستفادة من النزاع في أفغانســـتان كمدخلات لتشكيل المفهوم الإســـتراتيجي الجديد، ومـــن ثَمَّ التخلي عن جعل الأدوار الخارجية للحلف قضية مركزية لسلامة دول الحلف وأمنها.

ويبدو أن حلـــف الناتو يقف حالياً على مفتـــرق طُرُقٍ صعب، ويمكـــن للحلف أن يتعامل بصورة مباشـــرة مع التحديات التي يواجهها بالتزامن مع الخلافات العميقة بين الأعضاء حول مسار المستقبل، ومن الممكن أيضاً أن يتغافل عن ذلك.

إن أيّاً من الخيارين يمكن أن يضعف التحالف أو يجدده. ولحل هذه المعضلة، فإن وجود قيادة قوية بين رؤساء حكومات الدول الأعضاء يُعَدُّ مســـألةً ضروريةً من أجل ضمان اتباع النهج المناسب. وما لم يستطع المفهوم الإستراتيجي الجديد أن يجيب على هذه التحديات وأن يقنع جميع الأعضاء بدوره الجديد في العالم، فإن الحلف سوف يدخل مرحلة الاحتضار ويتحـــول إلى مجرد بقايا من الماضي، وأطلالٍ من الذكريات غير محمودة الذكر، بطبيعة الحال.

قَتَلَة الأنبياء

د. يوسف بن صالح الصغير(*)

لقد كان احتلال قِطاع غزة أثناء حرب عام ١٩٦٧م بدايةً لصداع دائم بالنسبة للاحتلال الذي وضع الضفة والقطاع تحت سلطة حكام عسكريين، وكانت سياسة الاحتلال قائمةً على محاولة التحكم بالتجمعات السكانية الفلسطينية أمنياً، والاستفادة من القوة العاملة الرخيصة في بناء إسرائيل؛ فقد كان آلاف العمال ينتقلون يومياً من غزة إلى داخل فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م، ويعملون في المزارع والمصانع. ومن التناقضات أن الفلسطيني المسكين الذي هُجِّر من أرضة ويسكن في المخيمات، وحتى يحصل على لقمة العيش يضطر للعمل أجيراً في ممغتصبة كانت يوم مَّا أرضاً له! إنها لقمة مغموسة بالقهر.

ومن الابتلاء أنه أحياناً كان بُنَاة المغتصبات من العمال والمقاولين من الفلسطينيين! وبينما كانت المغتصبات تنتشر وتتوسع كان الفلسطيني الذي يتمكن من بناء بيت ثابت يكون هذا البيت عرضة للهدم بحجة عدم الحصول على

(*) أستاذ مشارك في كلية الهندسة – جامعة الملك سعود – الرياض.

تراخيص... وباختصار كان اليهود بعد عام ١٩٦٧م بحالة من النشـــوة؛ حتى إنهم تعاملوا مع الفلسطينيين على أنهم حالةً مؤقتة؛ أي أن وجودَهم مرهون بفائدتهم لبناء الدولة الحالية وسيجري تهجيرهم عند الانتقال إلى المرحلة التالية.

وبعد حرب عام ١٩٧٣م وما تلاها من اتفاقياتِ سلامٍ ومشاريعَ تطبيعٍ وتصفيةٍ للوجود العســكري الفلســطيني في لبنان وقيامِ الانتفاضـــة الأُولَى فكَّر الصهاينة بالانســحاب من غزة والتركيزَ على الضفة الغربية على أساس أنها هي قلب الدولة. وبدأ نشاط محموم للاســتيطان الذي كان الهدوء في الضفة شرطاً أساسياً لنجاحة وبالفعل جرى تســليم إدارة الفلسطينيين لمنظمة التحرير بقيــادة عرفات ومِنْ بعده عباس وتمَّــت تصفية المغتصبات في غزة بعد فشل السلطة في السيطرة عليها، وإنهاء سنوات عصيبة مــرَّت باليهود؛ فكل محاولة للتقدم تنتهــي بتراجع، وكان وصولُ حماس لرئاســة الحكومة عن طريق الانتخابات، وعدمُ اعترافها بدولة الصهاينة ضربةً قاصمة لكلِّ الآمال التي كانت ترجوها هذه الدولة من عملية أوســلو، ولم يكن أمام اليهود إلا محاولة إفشال الحكومة وإسقاطها بالقوة، وكانت النتيجة سيطرةً كاملةً لحماس على غزة. ونجحت دولة العدو في تثبيت حكومةٍ بديلة في الضفة مهمتها تهيئة الأجواء لتنفيذ عملية الاستيطانِ الكبير في الضفة وخاصة القدس التي تُمثِّل حجر الأساس في نجاح مشروع الدولة اليهودية؛ فلا دولة يهودية بدون القدس عاصمةً لها، ولا عاصمة بــدون تهويد. وقد وصل اليهود إلى مرحلة فرض أســماء عبرية على الشوارع...

لقد فشــل اليهود في إدارة المعركــة مع تعدد الجبهات؛ ولذا فهم يركِّزون على جبهة القدس. أما غزة فالمهم الآن أن تبقى محاصرة تلعق جراحهــا؛ لأن البديل هو تمدُّد حماس إلى الضفة؛ وهو ما يُعَدُّقاصمة الظهر بالنسبة لمشروع تهويد الضفة وبناء الهيكل على أنقاض الأقصى.

إن غزة هي الركيزة الأساســية في عرقلة مشروع اليهود في الضفة؛ ولذا فإن اليهــود يعتبــرون خَنْقَ حماس أو قبرها - إن أمكن - مسـألة حياة أو موت؛ ومن أجل ذلك تعاملوا بحساسية شديدة مع التدخل التركي لوقــف الحرب على غزة، ومن ثَمَّ العمل على فك الحصار. لقد كانت تركيا الكمالية الدولة الوحيدة في العالم الإسلامي التي كانت لها علاقات جادَّة ومتينة مع دولة الصهاينة، وكانت تركيا شريكاً مهمّاً في تدريب الجيش الصهيوني، وخاصة الطيران، ويتمتع اليهود بوضع مميز من الناحية الاقتصادية؛ ومع ذلك كان الحفاظ علــى حصار غزة أهمَّ من العلاقات التاريخية مع تركيا، ولم يكن تصرُّف نائــب وزير الخارجية الصهيوني مع السفير التركي وإهانتُه إلا دليلاً على الحَنَق الشديد على السياسة التركية الجديدة وأنها قد تؤدي إلى انهيار مشروع القدس الكبرى، ولكن مشكلة اليهود أنهم يُحَكُمون بجيل جديد من الصهاينة تزيد عندهم الحماسة وتنقصهم الحكمة؛ فَهُم فقدوا الدبلوماسية مع تركيا، ومن ثَمَّ فإن تركيا ســرَّعت من وتيرة العمل في مشــروع رَفْعِ الحصار عن غزة وكان الدعم التركي هو الأســاس في تهيئة الظروف المناســبة لتفعيل طموحات وآمال كل شريف يريد رَفْعَ الظلم عن أهل غزة، وكانت قافلة الحرية هي المحاولة التاســعة والأكبر لكسر هذا الحصار؛ فقد جرى تفعيل المنظمات الإنسانية والشخصيات الاعتبارية المســتقلة، وكان تجميع المساعدات من أوروبــا، وانطلاقها من تركيا واليونان... إنها حركة تحمل صبغة العالمية؛ ولذا فإن التعامل معها كان يحتاج إلى رابين وبيريز؛ ولكن اليهــود نكبوا بنتنياهو وليبرمان، ولم يكــن نتنياهوا موفَّقاً؛ فقد كانــت القضية تتفاعل وهو في أمريكا يتحدث عن مواجهة إيران و ترك الموضوع للحليف غير الموثوق به وزير الدفاع إيهود باراك؛ فهو من حزب آخر والجيش لا يناســب للتعامل مع دبلوماســيين غربيــين وأعضاء برلمانيين أوروبيــين ومواطني دولٍ في مجملها حليفة لإســرائيل. لقد كانت النتيجة قَتْلَ حوالي عشرين ناشطاً، وجَرْحَ حوالي خمســين آخرين، ونحن إلى الآن لا نعلم بالضبط جنسيات القتلى والجرحى؛ ولذا فلا نتوقع أن تتوقف النتائج عند بيان إدانة في مجلس الأمن أو تخفيفِ الحصار على غزة.

إننــي أرى أن أوَّلَ النتائج هو كســر حاجز الخوف من نقد إســرائيل، والثاني أن كلَّ حلفاء إســرائيل في المنطقة والمشــاركين في الحصار ســيكون موقفهــم حَرِجاً بصورة متزايدة. أما الثالث - وهو الأهم - فإن الســلطة في الضفة ســيكون من الصعب عليها في المرحلة القادمة أن تتماسك وتســتمر في قدرتها على لعــب دورِ الضامن للهدوء اللازم لاستكمال مشروع قلب دولة الصهاينة.

وفي الختام: فإنني أشــد على موقف الحكومة التركية التي يبدو أنها تتصرف بحكمــة؛ فوزير الخارجية تكلَّم في مجلس الأمن عن إنسانية القافلة ومشروعيتها وقرصنة دولة الصهاينة في المياه الدولية، وطالب بالتحقيق وفكِّ الحصار ولكنه لم يذكر انتهاك السيادة التركية وقَتْلَ العزَّل على متن ســفينة تحمل العلم التركي، ولم يذكر محاكمة المسؤلين عن المجزرة؛ فكلها أوراق مؤجَّلة للأيام القادمة. وأنا هنا أســأل اليهود الحاليين: ماذا استفدتم من قَتْل أسلافكم للأنبياء؟

«ماذا لو...؟» إستراتيجية رَدْعٍ جديدة

أحمـــــــد فـهـمـي
afahmee@hotmail.com

اعتدى الكيان الصهيوني على قافلة الحرية وقتل عدداً ما بين عشرة إلى تسعة عشر شخصاً من أعضائها، وانحصر ردُّ الفعل العربي في إطلاق تصريحات تستخدم ألفاظاً متوسطة الحدَّة؛ بمعنى أنها تنتقد الفعل ولا تنتقد الفاعل، وبمعنى آخر: تقول: هذه قرصنة، ولا تقول: إن هؤلاء قراصنة.

والسؤال هنا هو: ماذا لو كان عدد القتلى ٣٠ شخصاً، هل سيحدث تغيير؟ ماذا لو كان خمسين أو سبعين أو مائة شخص؟

هل كان الكيان الصهيوني في عملية مثل هذه سيحسب لردود الفعل العربية، أو لردود الفعل الغربية حساباً؟

لقد أحدث الصراع العربي الإسرائيلي في جولاته الأخيرة خللاً واضحاً في مفاهيم ونظريات السياسة المتعلقة منها بتوازن القوى؛ فالأصل أنَّ توازن القوى (الدول) يشبه توازن السعر في السوق؛ كل دولة تحجز لنفسها مكاناً في معادلة التوازن بحسب قوَّتها، وفي النهاية تستقر العلاقة على وضعية معيَّنة، هذه الوضعية يجري الوصول إليها من خلال حروب أو مفاوضات أو معاهدات... إلخ، والمهم أن التوازن يتحقق وَفْقَ إمكانات كل دولة؛ فهل هذا ما حدث في الصراع العربي الإسرائيلي؟

لقد أضاف الأداء العربي في مواجهة الكيان الصهيوني عنصراً جديداً للتوازن، وهو: القدرة على استخدام وسائل القوة المملوكة؛ ففي حالاتٍ ومواقفَ كثيرة حدثت فيها تجاوزات من قِبَل الكيان تُخِلُّ بمعادلة التوازن، كان يجب - والحال هكذا - أن تبادر القوى العربية باستخدام قوَّتها لإعادة التوازن إلى وضعه السابق. ولكنَّ هذ لم يحدث في عشرات المواقف والحالات.

ونتيجة هذا الوضع المعقَّد استطاع الكيان الصهيوني أن يصوغ معادلات توازن جديدة بصورة مستمرة؛ وفي كل مرة يقابل العربُ التجاوزاتِ بالتصريحات، وبات التساؤل المطروح على كثير من الألسنة هو: ما هو الفعل الإسرائيلي الذي سيترتب عليه ردُّ فعل عربي قوي يتجاوز الأداء الحنجري؟ للأسف لا توجد إجابة من هذه الجهة.

وهنا يمكن أن نستخدم معياراً بسيطاً لمعرفة حدود الفعل العربي (أو بتعبير أدق: رد الفعل العربي) من الجهة الأخرى، ويتلخص هذا المعيار في كلمتين: «ماذا لو...؟».

ماذا لو قصفت الطائرات الإسرائيلية معسكراً قرب دمشق؟

وماذا لو قتل الجيش الإسرائيلي أكثر من ٢٠٠٠ فلسطيني في أقلَّ من شهر؟

وماذا لو هدَّد مسؤول إسرائيلي بقصف السد العالي؟

وماذا لو اغتال الموساد ناشطين فلسطينيين في دول عربية؟

وماذا لو ضربت طائرات الكيان قافلة بضائع في السودان؟

وماذا لو تزايد هدم منازل المسلمين في القدس، والحفريات تحت المسجد الأقصى؟...

إن الأسئلة السابقة تتعلق بما حدث بالفعل، وإجاباتها معروفة، وهذه قائمة أخرى من الأسئلة:

ماذا لو قرر الكيان شنَّ حرب جديدة على غزة وراح ضحيتها ٥٠٠٠ فلسطيني؟

وماذا لو ضرب الجيش الإسرائيلي لبنان في حرب جديدة مدمرة؟

وماذا لو أغارت طائرات العدو على مقرَّات قادة الفصائل الفلسطينية في دمشق فاغتالتهم؟

وماذا لو اغتال الموساد خالد مشعل أثناء زيارته لأي دولة عربية؟

وماذا لو قرر الصهاينة البدء في هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل؟...

إن هذه أسئلة تتعلق بما يمكن أن يحدث، والإجابات مجهولة بالطبع، ولكن قياساً على القائمة الأُولَى يمكن توقع إجابات القائمة الثانية.

إحقاقاً للحق لا بد أن نعترف أن العرب يغضبون غضباً شديداً للاعتداءات الإسرائيلية، لكنه غضب ليس للاعتداء ذاته، بل لأنه يتسبب في مأزق البحث عن ردِّ فعل مناسب يُقنع الرأي العام العربي بأنه قوي، وفي الوقت نفسه يُقنع العالمَ الغربي بأنه ردُّ فعل ضعيفٌ أو (متوازنٌ). والطريف أن قادة الكيان الغاصب يزيدون الطين بلَّة؛ فيقدمون اعتراضاتهم على ردِّ الفعل المتوازن ولا يرقبون في حليف إلاًّ ولا ذمة؛ كما حدث مع وزير عربي كان يزور لبنان ووصف الكيان الصهيوني بأنه دولة معادية؛ كدلالة على التضامن، وعلى الفور قدَّمت سفارة العدو احتجاجاً واستفساراً، فكان الرد العربي باستخدام (النظرية النسبية) ليس في تطوير سلاح نووي بالطبع، ولكن في التعبير عن (حُسْنِ النوايا): إسرائيل دولة معادية بالنسبة إلى لبنان وليس بالنسبة إلينا.

مفاوضات في ظلال المستعمرات والتنازلات!

محمد العبد الله

عادت لجنة المتابعة العربية مجدداً، لترتكب الخطأ في تجاوز صلاحيتها ووظيفتها؛ فقد اتخذت قراراً خارج المهمة الملقاة على عاتقها، بتوفير مظلة عربية رسمية لعودة سلطة رام الله المحتلة لممارسة سياسة المفاوضات التي مضى على توقُّفها عدة شهور.

ولم تكن محادثات التقارب عبر الوسيط الأمريكي غير المحايد، سوى للتأكيد مجدداً على انزلاق قيادة المقاطعة وحكومة تصريف الأعمال منتهية الصلاحية، إلى مستوى آخر من التنازل؛ فكل الكلام الذي كررته الآلة الإعلامية للسلطة (أشخاصاً، وصحافة، وفضائيات) عن عدم العودة لأي شكل من التفاوض، ما لم يتم وقف كل أشكال بناء المستعمرات وتوسيعها، والاستيلاء على الأحياء والبيوت العربية في مدينة القدس ذهب أدراج الرياح؛ ذلك أن قيادة السلطة استندت إلى الوعود السخية للإدارة الأمريكية، التي ساهم بتسويقها وتجميلها بعض وزراء الخارجية العرب. هذه الوعود التي عبَّر عنها بشكل مباشر (هشام يوسف) مدير مكتب الأمين العام لجامعة الدول العربية بقوله: (إن واشنطن وعدت الفلسطينيين ألا تُخْرِج خطةَ بناء ١,٦٠٠ وحدة سكن في رامات شلومو إلى حيِّز التنفيذ أثناء المفاوضات (الإسرائيلية – الفلسطينية غير المباشرة). لكن حديث نتنياهو في مقابلته بالقناة الثانية لتلفزيون العدو يوم ٢٠١٠/٤/٢٢م جاء ليؤكد على الاستمرار في البناء الاستيطاني بقوله: (لن يكون هناك تجميد في القدس) في تجسيدٍ مستمرٍّ للمواقف التي تضمَّنها خطابه في جامعة بار إيلان يوم ٢٠٠٩/٦/١٤م؛ إذ يقول: (البناء في القدس مثل البناء في تل أبيب... وهو شأن إسرائيلي داخلي). ويبدو أن الفترة التي تَقرَّر فيها العمل بمحادثات التقارب قد اختُلِفَ على تحديدها؛ فرئيس وزراء قطر الذي تحدث بالمؤتمر الصحفي بالقاهرة باسم لجنة المتابعة يقول: (لقد مضى شهران وبقي شهران)، منطلقاً في ذلك من تاريخ القرار الأول في ٢٠١٠/٣/٣م المنصرم. بينما يُصِرُّ محمود عباس على أن الفترة المتبقية هي أربعة الشهور الموعودة.

إن ذهاب وفد السلطة للمفاوضات غير المباشرة من خلال المبعوث الأمريكي «ميتشل»، سيكون خروجاً على مواقف القوى المتحالفة داخل اللجنة التنفيذية للمنظمة، وهذا ما أكده رئيس السلطة قبل عدة أيام أثناء حديثه لصحيفة «الأيام» الصادرة في رام الله المحتلة بقوله: (إن المفاوضات غير المباشرة ومحادثات التقارب ستبدأ فوراً إقرارَ اللجنة التنفيذية لـ م . ت . ف) للتأكيد على احترامه لرأي اللجنة. وعلى الرغم من صدور عدة بيانات في رام الله عن عدة فصائل، تطالب

بعدم العودة لأي شكل من أشكال التفاوض، ناهيك عن رفض قوى وفصائل إسلامية ووطنية، وهيئات شعبية فلسطينية لسياسة «الحياة مفاوضات»، فإن السلطة ذاهبة لمحادثات التقارب التي يصرُّ عباس على أن يكون الأمن واحداً من أهم خطوات التوجه إليها ، كما يقول في حديث صحفي: (علينا أن نحافظ على الأمن؛ رغم أني أرى عوائق عديدة، وأُشَدِّد على أن في «إسرائيل» يوجد من هم غير معنيين بالسلام... إن علينا أن نحاول حتى اللحظة الأخيرة)، لكنه بالتأكيد لايقصد بـ «غير المعنيين بالسلام» رئيس حكومة العدو؛ ففي مقابلة بثتها مؤخراً القناة الثانية في تلفزيون العدو ، يقول عباس: (لا توجد أزمة ثقة مع نتنياهو).

إن هذا التوجه العام لقيادة السلطة؛ سواء ما جاء بالمقدمات التي تحكم رؤيتها لمحادثات التقارب، أو عبر الممارسات التي تسلكها أجهزة أمن «حكومة فياض» من ملاحقة المقاومين واعتقالهم، أو في الخطابات التي أكد فيها «فياض» من على مِنَصَّة مؤتمر هرتسيليا الأخير، أو في التصريحات المنشورة في صحيفة «هآرتس» مؤخراً، يؤكد مجدداً على تنازلات خطيرة تمس قضايا الصراع مع العدو الصهيوني، وهو ما يجعل المواطن العربي، والفلسطيني خصوصاً، يتلمس النتائج الكارثية الجديدة التي ستنتج عن هذه المفاوضات التي ستدور بناءً على توجُّهات حكومة نتنياهو، في ظل تفهُّمات الراعي غير النزيه؛ بمعنى أن القضايا المطروحة ستكون داخل حدود المربع الذي يرسمه وفد العدو، الذي يتيح له حرية الحركة المدروسة، وإمكانية التلاعب والتضليل في بعض المسائل الهامشية، عبر عملية تدويرٍ لزوايا ذلك المربع .

في الخطوات الجديدة، على طريق الذهاب للمفاوضات غير المباشرة، تتوضح – للمرَّة الألف – خطورةُ ماجلبته قيادة المقاطعة في رام الله المحتلة وحكومتها، من أضرار على الحركة الوطنية بمستوياتها الفلسطينية والعربية، والتي كانت نتيجةً، طبيعةً، مباشرةً لنكبة العرب الثانية المسماة: «اتفاق أوسلو».

المسلمون في بولندا... الواقع والمأمول

السيد محمد المسيري

تُعَد بولندا من الدول التي تتوسط شرق أوروبا، وتطل على بحر البلطيق. ظهرت بولندا كياناً مستقلاً في القرن العاشر الميلادي. والمسلمون فيها أقلية، يعود أصلهم إلى قبائل التتار في منتصف القرن الثالث الميلادي. وكانت هذه الدولة إحدى حلقات الاتصال بين (الشرق الإسلامي) و(الغرب النصراني) في القرنين: الرابع عشر، والخامس عشر الميلاديين.

لقد قام النازيون والشيوعيون أثناء احتلالهم هذه الدولة - خاصة بعد الحرب العالمية الثانية - بإبادة واضطهاد الكثير من المسلمين فيها، وحَرَموهم من ممارسة شعائرهم الدينية، وحَرَموهم أيضاً من ممارسة حقوقهم الإنسانية، وشوَّهوا صورتهم وصورة دينهم الإسلامي الذي ينتمون إليه ويدينون به، وهدموا مساجدهم من أجل أن يقضوا عليهم، وعلى هويتهم الدينية. وكان المأمول من هؤلاء المسلمين في هذه الدولة أنهم يعملون على قَدْر استطاعتهم وفي حدود إمكانياتهم البسيطة المتواضعة على تجسيد هويتهم الإسلامية، وحفاظهم في الوقت نفسه على عدم ذوبانها.

ونحن سوف نبيِّن هنا معالم جغرافية بولندا، وأوضاع المسلمين فيها كأقلية مسلمة نشطة؛ للتعرُّف عليهم ومؤازرتهم في مختلف همومهم؛ لإعلاء قَدْرهم، ولتحقيق ذاتهم، ولتوطيد عقيدتهم الإسلامية، ولترسيخ وجودهم الإسلامي بها. وهذا في قِوامه أسمى واجب إسلامي نقوم به تجاههم.

معالم جغرافية بولندا:

الموقع الجغرافي:

تقع هذه الدولة في وسط القارة الأوروبية، يحدُّها من الشرق أوكرانيا وروسيا البيضاء، ومن الشمال الشرقي ليتوانيا، ومن الشمال بحر البلطيق، ومن الغرب ألمانيا، ومن الجنوب جمهورية التشيك وجمهورية سلوفاكيا.

المساحة والسكان:

تبلغ مساحة بولندا حوالي ٣١٢,٦٨٣ كم٢، وعاصمتها (وارسو). ويبلغ عدد سكانها حوالي ٣٨ مليون نسمة. ويقدَّر عدد المسلمين فيها قبل الحرب العالمية الثانية بحوالي ١٥٠ ألف نسمة. أما عددهم اليوم فأصبح يتراوح ما بين ٢٠ إلى ٢٥ ألف نسمة.

اللغات والأديان:

يسود في بولندا عدة لغات، مثل: اللغة التتارية التي كانت تُكتَب في الماضي بالحروف العربية، شأنها في ذلك شأن اللغة التركية والإندونيسية وبعض اللغات الإفريقية. ويستخدم المسلمون البولنديون اللغة العربية لفهم تعاليم دينهم الحنيف واللغة البولندية.

أما الأديان السائدة في أرجائها، فهي: الإسلام، الكاثوليكية، البروتستانتية، الروسية، اليهودية، ثم الأرينية.

المدن الحضارية:

تضم بولندا ٦١٧ بلداً، وأكبر مدنها المدن التالية: وارسو، لودز (أكبر مركز للنسيج)، كراكون (تشتهر بآثارها ومبانيها الحضارية)، بوزنان، فروتيسلاف، ميناء جيدانيسك، سيتاليوجرود، أما المدينة الرئيسية في حوض الفحم في سيليزيا فهي شيسين.

التقسيم الإداري:

منذ إعادة التقسيم الإداري عام ١٩٩٩م والبلاد مقسَّمة إلى ١٦ مقاطعةً، كلٌّ منها لها برلمانها الخاص، وحكومتها، ولكل مقاطعة رئيسان: واحد معيَّن من قِبَل الحكومة المركزية، والآخر منتخب من قِبَل البرلمان.

النظام السياسي:

عرفت بولندا هذا النظام في القرن العاشر الميلادي. وازدهر هذا النظام نتيجة تطوُّر القبائل السلافية الغربية التي عاشت في الأرض التي تقع شرقي نهر الإلب، بين بحر البلطيق وجبال الكربان. وقد حكم هذه الدولة ميشكوا الأول في الفترة بين ٩٦٠ - ٩٩٢م، وكان أساس ملكيتها النظام الإقطاعي. وحَكَمها أيضاً بولسيولن الأول الذي كان يُعرَف باسم المغوار في الفترة ما بين ٩٩٢ - ١٠٢٥م. وقام

بتوحيدها واستمرت الحروب المتتالية فيها لمدة ١٦ عاماً ضد الإمبراطورية المقدَّسة.

لقد عانى الفلاحون معاناة شديدة في ظل الحكومة الإقطاعية، وقاموا بثورتهم الكبرى في ١٠٣٨ - ١٠٣٩م، ولكن أُخمدت هذه الثورة بالاستعانة بالقوات الأجنبية. فضلاً عن ذلك قام البولنديون بعدة ثورات مسلحة ضد الغزاة: فمِن تمرُّد حدث في عام ١٧٩٤، وقلاقل في نوفمبر ١٨٣٠ - ١٨٣١م، وثورة كراكوف في عام ١٨٤٦م، وثورة أخرى في عام ١٨٤٨م، واضطرابات في يناير ١٨٦٣ - ١٨٦٤م، وقد أدى هذا النضال إلى تقوية عزيمة بولندا.

وارتبطت المعارك فيها من أجل الاستقلال السياسي ارتباطاً وثيقاً بالمطالبة بالحرية الاجتماعية. وانتصرت بولندا على النازيين الذين دمروا العاصمة وارسو، ودمروا معها صروحها التذكارية، ومؤسساتها الصناعية، وآثارها الثقافية، وميادينها الشامخة، وأحرقوا شوارعها، وحطموا منازلها بعنف ووحشية، وجعلوها خراباً، ودماراً. وكان هذا الانتصار البولندي على هؤلاء النازيين في عامَي: ١٩٤٤ و ١٩٤٥م. ومِن ثَمَّ أصبحت بولندا، دولة ديمقراطية برلمانية.

والبرلمان البولندي يتكون من مجلسين اثنين: مجلس الأعيان (senat) ويضم ١٠٠ عضو، ومجلس النواب (sejm) ويضم ٤٦٠ عضواً، أما رئيس الحكومة فيعيِّنه رئيس الدولة على ضوء نتائج الانتخابات النيابية.

الأحزاب السياسية في بولندا:

أهم هذه الأحزاب:

١ - حزب العمال البولندي المتحد.

٢ - الحزب الاشتراكي.

٣ - الحزب الشيوعي البولندي.

٤ - حزب الفلاحين المتحد.

٥ - الحزب الديمقراطي.

وتم اندماج الحزبين: الأول والثاني في المؤتمر الذي عُقِد في ديسمبر عام ١٩٤٨م. كما جرى التنسيق، والتعاون بين الحزبين: الرابع والخامس مع حزب العمال البولندي المتحد داخل إطار الجبهة الوطنية.

النشاط البشري:

اقتصاد بولندا (صناعي، زارعي)، وتساهم الصناعة بنصف الدخل القومي. وأهم الصناعات البولندية، هي: صناعة بناء السفن، والسيارات، والآلات الكيميائية، وتكرير البترول، والزجاج، والمنسوجات. أما الزراعة فيعمل بها حوالي ٣٢٪ من سكان بولندا. وتشغل نصف مساحة البلاد. ويملك المزارعون ٨٧٪ من الأراضي الزراعية. وتُنتِج ٨٤٪ من الإنتاج الزراعي. وأهم الحاصلات الزراعية، هي: القمح، والشعير، والشوفان، والبنجر السكري، والبطاطس، والخضروات. وتغطي الغابات ربع مساحة بولندا، وتوجد أفضل المراعي في جنوب البلاد. أما الثروة الحيوانية؛ فهي عنصر هام في اقتصادها، ومعظم ثرواتها الحيوانية من الأبقار والخنازير.

كيف دخل الإسلام إلى بولندا؟

يعيش في هذه الدولة حوالي ثلاثة آلاف مسلم، أكثرهم من أصل تتاري كما ذكرنا سابقاً، وعدد المواطنين البولنديين الذين يعترفون بأن جذورهم تعود إلى أصل مسلم يتراوح بين عشرين ألف إلى ثلاثين ألف شخص. جذور هؤلاء جميعاً تعود إلى أُسَر تتارية أو تركية أو فارسية أو حتى إلى جذور عربية قديمة؛ فقد دخل الإسلام إليها عن طريق التتار الذين يمثلون شعوباً تركية أو قبائل مغولية صدرت عن الجمهورية التتارية في شمال القوقاز وبعض أجزاء من سيبيريا. واستقر هؤلاء التتار فيها في أواخر القرن الرابع عشر بعد الميلاد. وكان هؤلاء من الجنود الذين ساعدوا القوات البولندية، والليتوانية المشتَرَكة في حروبها ضد الفرسان التوتونيين ثم ضد الغزوات السويدية؛ إلا أن بعض الدول المجاورة هدَّدت الأخيرة في أمنها القومي في عام ١٧٩٢م، وترتَّب على ذلك أن أخلص التتار كل الإخلاص لعقيدتهم الإسلامية، وأقسموا على القرآن الكريم أمام شيوخهم بأنهم سيدافعون عن الوطن. وظلوا أوفياء بعد ذلك حتى الممات.

ومن ثَمَّ طبَّق هؤلاء التتاريون الشريعة الإسلامية داخل الأحياء الإسلامية، وكانت تمثل الدستور الرئيسي المنظِّم للحياة الدينية لهم، ومركزها المسجد. والإمام باعتباره زعيماً دينياً يقوم بعدة وظائف، تكمن في أنه يؤم المصلين، ويحافظ

على المسجد، ويقوم برعايته، ويزوج المسلمين من المسلمات، ويكتب شهادات الميلاد وحالات الوفيات. وتعود أقدم وثيقتين من هذه الوثائق إلى عام ١٥٥٦م.

حال الإسلام في زمن النازية والشيوعية

لقد عمل كلٌّ من النازيين والشيوعيين - خاصة بعد الحرب العالمية الثانية - على قتل المسلمين البولنديين؛ حيث قتلوا الكثيرين منهم في معسكرات الاعتقال الوحشية التي أعدُّوها خصيصاً لهم؛ لكونهم رفضوا التعاون مع قوات الاحتلال، ودمَّروا بعض مساجدهم، وحوَّلوها إلى مواقف للسيارات، مثل مسجد سلونيم الذي أصبح الآن موقعه في جمهورية روسيا البيضاء. والمسلمون الذين حاولوا منع النازيين من مثل هذه الأعمال العدوانية كانوا يُعدَمون فوراً؛ ولذلك فَقَد المسلمون البولنديون في هذه الدولة قادتهم، ومفكريهم، وأئمتهم، ومعلميهم، وكتَّابهم، وصحفييهم. ومِنْ ثَمَّ عَمَد الشيوعيون إلى منع هؤلاء المسلمين من أن يؤدوا شعائرهم الدينية. وحَرَموهم من ممارسة حريتهم وحقوقهم الإنسانية، وشوَّهوا صورة الإسلام وصورتهم، وتطاولوا عليه، وعليهم بهدف تشكيك المسلمين في دينهم.

وحتى يحقِّق الشيوعيون أغراضهم الإلحادية نحوهم، عملوا على غسل عقولهم بأفكارهم الملحِدة من أجل أن يرسِّخوا في قلوبهم الجهل بدينهم، ولتوطيد ركائز التباغض والفُرقة والكُره في وجدانهم من أجل توهين صفوفهم، ومَحْق قوَّتهم. وهذا كلُّه بقصد القضاء عليهم وعلى دينهم الإسلامي؛ حتى لا يمتد هذا الدين إلى المناطق والدول القريبة والمحيطة ببولندا.

تجمعات المسلمين في بولندا:

يقطن المسلمون في هذه الدولة في كروشينياني، ويوخونيكن، ووارسو، وفي مدينة يعاويستوك التي تبعد عن العاصمة وارسوا حوالي ١٦٠ كيلو متراً، وفي جدانسك وشينتشين وفي زيلوا تاجرا.

وقد أثَّرت ثقافتهم الإسلامية على محيط بيئتهم الداخلية والخارجية، وعلى المناطق القريبة منهم؛ حيث ترتَّب على هذا أن اعتنق الكثير من أصحاب الأديان الأخرى الدين الإسلامي نتيجة عَدْله ومساواته بين الجميع دون أي تمييز بين أي مسلم وبين أتباع الديانات الأخرى بسبب اللون أو الجنس أو اللغة أو الموطن؛ فالكل متساوون في الحقوق والواجبات أمام الله، عز وجل؛ امتثالاً لقوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقول رسول الله ﷺ في خطبته الخالدة في حجة الوداع: «يا أيها الناس! إن ربكم واحد وإن دينكم واحد؛ كُلُّكم لآدم وآدم من تراب»[1].

صعوبات المسلمين في بولندا:

لقد واجه المسلمون فيها عدة صعوبات خطيرة جداً تتمثل في الآتي:

١ - تكثيف الفِرق المتمسلمة، مثل: القاديانيين، والبهائيين من حملاتهم الدعائية المغرضة ضدهم؛ من أجل أن ينشروا أفكارهم الهدامة بينهم؛ حيث يعجز المسلمون عن التصدي لهم، ولأفكارهم؛ نتيجة قلة إمكانياتهم، ونتيجة عدم توفُّر المعلمين القادرين على مواجهتهم.

٢ - قلة عدد المساجد في بولندا، وقلة الدعاة الذين يبصِّرون المسلمين فيها بأمور حياتهم (الدينية والدنيوية).

٣ - جَهْل الشباب المسلم في بولندا بدينهم الإسلامي وبمبادئه السمحة التي تقوم على العدل والمساواة والتعاون والتآخي والتعايش السلمي بينهم وبين الآخرين.

٤ - وصول المسلمات إلى سن الأربعين، وعدم زواج الكثير منهن من الشباب المسلم، وعدم زواج العديد من هؤلاء الشباب منهن؛ وهو ما أدى بهن جهلاً - مع الأسف - إلى اعتناق أغلبهن الديانة الكاثوليكية، وقبول بعضهن الزواج من أي أحد يتقدَّم لهنَّ.

٥ - حالات الاضطهاد المستمرة من قِبَل السلطات الشيوعية؛ من أجل عدم ممارسة شعائرهم الدينية في يُسْر وسهولة، كما يفعل أصحاب الأديان الأخرى.

٦ - قلة مصادر الثقافة الإسلامية، والنقْص الكبير في ترجمات معاني القرآن، والنقص أيضاً في المعلمين.

٧ - الفقر الشديد الذي لحق بهم، وترتَّب عليه إصابتهم بالكثير من الأمراض التي أعاقتهم عن عدم مواكبتهم لمسيرة العمل والإنتاج.

---

(١) رواه البزار.

مرصد الأخبار

قرىً محصَّنَة

أجريت في كانون الثاني من هذا العام تجربة إسرائيلية على قبة حديدية قادرة على اعتراض مقذوفات صاروخية مثل القسام والكاتيوشا، وقد خُصِّص للمرحلة الأولية من المشروع – متضمنة التطوير، والتجارب والإنتاج – نحو ٨٠٠ مليون دولار.

وهو ما حدا بإسرائيل أن تقترح على الولايات المتحدة إمكانية أن تساعد في هذا المشروع الضخم؛ كميزانية ذات غاية، تتجاوز المساعدات الأمنية السنوية التي يمنحها الأمريكيون لإسرائيل، وصرح وزير الدفاع الأمريكي ميشيل فلورنوي لباراك بأن الولايات المتحدة قررت الاستجابة للطلب.

فلقد أعلن البنتاغون لوزارة الدفاع أن أوباما صادق على نقل مساعدة خاصة بمبلغ ٢٠٥ مليون دولار، لشراء أكثر من ١٠ بطاريات جديدة من إنتاج إسرائيل لمساعدتها على تطوير منظومة مضادة للصواريخ قصيرة المدى (أو ما يعرف بالقبة الحديدية).

وأكد مصدر كبير في جهاز الأمن الإسرائيلي أن كلفة كل بطارية تقدَّر بنحو ٤٠ حتى ٥٠ مليون شيكل، وفي وسعها حماية مدينة بحجم سديروت، وحسب التقديرات المختلفة سيكون مطلوباً قرابة ٢٠ منظومة لتوفير حماية معقولة لبلدات غلاف غزة وحدود لبنان.

[المركز الفلسطيني للإعلام نقلاً عن هآرتس ٢٠١٠/٥/١٦م]

عنصرية الحكومة الفرنسية تجاه النقاب

أقرت فرنسا قانوناً تحظر فيه على النساء المسلمات ارتداء النقاب في الأماكن العامة؛ لتصبح ثاني دولة أوروبية تُقِرُّ هذا القانون الجائر الذي يتناقض أيضاً مع المبادئ التي يكفلها دستور الجمهورية الفرنسية، بعد بلجيكا.

وقال مجلس الوزراء: إن وزيرة العدل، ميشيل أليو ماري، تقدَّمت إلى المجلس بمشروع قانون يمنع المرأة من تغطية كلِّ وجهها في الأماكن العامة؛ حيث حظي المشروع بموافقة الوزراء؛ على أن تجري إحالته إلى البرلمان للتصويت عليه في يوليو القادم.

ويقضي مشروع القانون بمعاقبة المخالفين بغرامة مالية قدرها ١٥٠ يورو، والخضوع لبرنامج تدريبي على المواطنة، أو أيٍّ من العقوبتين.

كما يتضمن كذلك معاقبة كلِّ من يجبر امرأة على ارتداء النقاب بالسجن لمدة عام، أو غرامة مالية تُقدَّر بـ ١٥ ألف يورو، واصفة ذلك بأنه «نوع جديد من العبودية لن تقبل به الجمهورية (الفرنسية)».

[تليفزيون الـ CNN ٢٠١٠/٥/٢٢م]

جلال الشايب
ielshayeb@hotmail.com

إبداع رغم الاحتلال

ابتكرت ثلاث تلميذات يعشن في مخيم للاجئين الفلسطينيين في نابلس بالضفة الغربية عصاً إلكترونية لمساعدة المكفوفين على تفادي العقبات أثناء السير باستخدام الأشعة تحت الحمراء وجرس صغير للتنبيه.

وأعربت نور العرضة (إحدى التلميذات الثلاث) عن هدفهنَّ قائلة: «إن ابتكارنا هو مشروع علمي تكنولوجي؛ نحاول فيه تسخير التكنولوجيا في بيئتنا لمساعدة فئة هم أحوج الناس إليها؛ وهم المكفوفون؛ وذلك من خلال تطوير عصا إلكترونية مصمَّمة بالأشعة تحت الحمراء؛ لتساعدهم في تسهيل حركتهم؛ فهي تعمل على تلاشي الإعاقات الأمامية، وتسهِّل صعود الدرج وهبوطه، وتخطِّي الحُفَر دون إصابات».

[شبكة الحوار نت ٢٠١٠/٥/١٠م]

شابات بريطانيات مسلمات

في الوقت الذي يحضر فيه طقوسَ الكنيسة الإنجليزية أقل من ٢ ٪ من السكان أسبوعياً، يتزايد عدد معتنقي الإسلام من النساء؛ ففي «جامع لندن المركزي» في «ريجنتس بارك» يشكِّل النساء – تقريباً – ثلثَي «المسلمين الجدد» الذين يُشهرُون إسلامهم رسمياً هناك، وأغلبهنَّ دون الثلاثين من العمر.

إن الإحصاءات المتعلقة بعدد المعتنقين للإسلام قاصرة بشكل يدعو إلى الإحباط، لكن في تعداد ٢٠٠١م كان عدد من اعتنق الإسلام من البريطانيين في المملكة المتحدة ٣٠,٠٠٠ على الأقل. ووَفْقَاً لـ «كيفين برايس» من «مركز أبحاث سياسات الهجرة» فإن العدد الآن ربما يقارب ٥٠,٠٠٠، أكثرهم من النساء. ويؤكد «برايس» أن «التحليلات الأولية تُظهر أن عدداً متزايداً من الشابات الجامعيات في العشرينات والثلاثينات من أعمارهن يعتنقن الإسلام».

[صحيفة التايمز ٢٠١٠/٥/٢٩م]

مرصد الأخبار

حملة دعائية لتحويل مسلمي أمريكا عن دينهم

ظهرت على حافلات في مدينة نيويورك الأمريكية سلسلةٌ جديدةٌ من الإعلانات الاستفزازية التي تستهدف المسلمين على وجه التحديد، من قَبِيل: «هل ثمة فتوى موجودة في ذهنك؟» و «هل تتعرض للتهديد من قِبَل أفراد مجتمعك أو أسرتك؟» و «هل تريد أن تترك الإسلام؟»

هذه الإعلانات التي ترعاها منظمة تطلق على نفسها اسم: «أوقفوا أسلمة أمريكا» SIOA، تستهدف بشكل مباشر متصفحي موقع على الإنترنت متخصص «بمن يريدون أو يفكرون بالارتداد عن الإسلام»، ويبحثون عن موارد ومصادر لحمايتهم من الأذى، واسمه «ملاذ لتاركي الإسلام» أو refugefromislam.com.

ولكن زعيمة المنظمة، باميلا غيلر قالت لـ CNN: إن المسلمين الملتزمين الذين يجدون هذه الإعلانات عدائية، يجب أن يتجاهلوها؛ فهي ليست موجَّهة إليهم.

وقالت غيلر، في برنامج حواري إذاعي للمحافظ (شون هانيتي) مؤخراً: «لقد حان الوقت للأمريكيين لأن يقفوا في مواجهة شرور إرهاب الجهاديين المسلمين والتسلط الإسلامي».

وتعمل منظمة «أوقفوا أسلمة أمريكا»، التي يجري تمويلها عن طريق اشتراك القراء في الموقع على الإنترنت حالياً، على تشكيل تجمُّع ضاغط لوقف بناء مسجد يُزمَع بناؤه قرب موقع مركز التجارة العالمي، الذي استُهدِف خلال هجمات الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول عام ٢٠٠١م.

[CNN العربية ٢٠١٠/٥/٢٧]

الموسوعة السياسية

الأبيستمولوجيا Epistemology

نظرية المعرفة أو الأبيستمولوجيا Epistemology: كلمة مؤلَّفة من جمع كلمتين يونانيتين: episteme بمعنى علم و logos بمعنى: حديث، علم، نقد، دراسة؛ فهي إذاً دراسة العلوم النقدية، وتعتبَر نظرية المعرفة إحدى فروع الفلسفة التي تدرس طبيعة المعرفة ومنظورها، ويُعتَقَد أن المصطلح بحدِّ ذاته (أبيستمولوجيا) من صياغة الفيلسوف الاسكتلندي جيمس فريدريك فيرير.

ويعرِّفها لالاند في معجمه الفلسفي بأنها: فلسفة العلوم، وهي تختلف بهذا عن علم مناهج العلوم (ميثودولوجيا)؛ لأن الأبيستمولوجيا تدرس بشكل نقدي مبادئ كافة أنواع العلوم وفروضها ونتائجها لتحديد أصلها المنطقي وبيان قيمتها.

ويعتبر معظم الجدل والنقاش في هذا الفرع الفلسفي يدور حول تحليل طبيعة المعرفة، وارتباطها بالترميزات والمصطلحات، مثل: الحقيقة، والاعتقاد، والتعليل (التبرير)، كما أن الأبستمولوجيا تدرس وسائل إنتاج المعرفة، وتهتم بالشكوك حول ادعاءات المعرفة المختلفة.

وأما عن مدارس الأبيستمولوجيا فهي مختلفة، منها: التجريبيون الذين يردُّون المعرفة إلى الحواس، ومنها أيضاً العقليون الذين يؤكدون أن بعض المبادئ مصدرها العقل لا الخبرة الحسية. أما عن طبيعة المعرفة؛ فيقول الواقعيون: إن موضوعها مستقل عن الذات، ويؤكد المثاليون أن ذلك الموضوع عقلي في طبيعته؛ لأن الذات لا تدرك إلا الأفكار، وكذلك تختلف المذاهب في مدى المعرفة: فمنها ما يقول: إن العقل يدرك المعرفة اليقينية، ومنها ما يجعل المعرفة كلها احتمالية، ومنها ما يجعل معرفة العالم مستحيلة.

وقد ذهب بعض المعاصرين إلى القول بأن الأبيستمولوجيا تبحث في الأمور المتعلقة بفلسفة العلوم ومبادئها.

[بتصرف من الموسوعة السياسية – د. عبد الوهاب الكيالي، وموقع المعرفة الإلكتروني]

الكذب عند الأطفال «دليل على الذكاء»!!

زعـــم علمـــاء نفس بكندا أن الأطفال الذين يفترون الكذب في وقت مبكر قد ينجحون في حياتهم لاحقاً؛ فلقد أظهرت دراسة أجروها على عيِّنَة من ١٢٠٠ طفل تتراوح أعمارهم ما بين سنتين وسبع عشرة سنة أن القادرين على اختلاق الكذب بلغوا مراحل متقدمة في نموِّهم.

وأكد مدير معهد دراســـات الطفل في جامعة تورونتو الدكتور (كانج لي) علـــى أنه: «ينبغي للوالدين ألا يقلقوا إذا كان طفلهم يفتري الكذب؛ فهذا لا يعني أنهم ســـيتحولون - حتماً - إلى مرضى بالكذب؛ فكل الأطفال يكذبون. بل هي علامة أنهم بلغوا مرحلة فارقة من تطوُّرهم النفسي».

فعجباً لكذبٍ ينمُّ عن ذكاء! ففي الإســـلام يعد الكذب من أبشـــع العيوب والجرائم، ومصدرَ الآثام والشـــرور، وداعيةَ الفضيحة والســـقوط؛ لذا حرَّمه الله العليم الخبير بطبائع العباد؛ فهو لا يهدي من كان مســـرفاً كذاباً، وأيضاً جعل الويل هو العقاب الواجب لكل أفَّاكٍ أثيم؛ وما ذاك إلا لمســـاوئه العظمى؛ فهو باعث على سوء السمعة، وسقوط الكرامة، وانعدام الوَثَاقَة، كما أنه يُضعِف ثقةَ الناس بعضهم ببعض، فضلاً عن كونه مُضيِّعاً للوقت والجهد، وغير ذلك.

[موقع الـ BBC ٢٠١٠/٥/١٧م]

نعم لـ «زواج الشواذ»!

أعلن الرئيس البرتغالي «أنيبال كافاكو ســـيلفا» عن تأييده لزواج الشـــواذ في بلاده، مصرِّحاً بأنه سيقوم بالتوقيع على قانون أقرَّه البرلمان في وقت ســـابق من العام الحالي لإضفاء الشـــرعية على زواج الشواذ، معرباً عن أسفه لفشل الأحزاب السياسية في التوصل إلى حلٍّ وسطٍ بشأن هذه القضية.

والجدير بالذكر أن التصديق على ذلك القانون سيجعل البرتغال سادس دولة في أوروبا تسمح بزواج الشواذ، وذلك بعد أن سمحت به كلٌّ من: بلجيكا وأسبانيا والنرويج وهولندا والسويد، (حفظ الله أمتنا الإسلامية وحماها).

[موقع الإسلام اليوم ٢٠١٠/٥/١٨م]

إسرائيل تـتجمل!

كشفت صحيفة معاريف عن تشكيل ما يسمى: «فيلق السفراء»؛ وهو مكوَّن من أعضاء في الكنيست من مختلف التيارات والأحزاب الإسرائيلية، وسيجنِّدون أنفسهم كجيش إعلامي تابع لـ «إسرائيل» لتحسين صورتها في جميع أنحاء العالم.

وأوضحت معاريف أنه على الرغم من الجهود التي جرى اســـتثمارها في الإعلام، والكنيست ووزارة الخارجية، إلا أنهم توصلوا إلى نتيجة أن هذه الجهود لن تؤتيَ ثمارها بدون تحرُّك عملي على الأرض.

والعجيب أنه على الرغم من الصورة الســـيئة التي تتحدث عنها إســـرائيل نجد أن العالم الغربي كلَّه يساندها؛ فها هي أمريكا تحدد ٢٠٥ مليار دولار للمساعدة في بناء ما عُرِف باسم القبة الحديدية، بجانب تعوُّد الحكومة الفرنسية على تقبُّل كثير من الإهانات الإسرائيلية، وغيرهما من الدول الأوروبية وغير الأوروبية؛ فماذا تنتظر إسرائيل من تحسين صورتها أمام العالم؛ إذ إنها تأخذ ما تريد وأكثر؛ وهي على صورة السفاح الهمجي في الشرق الأوسط.

[بتصرف عن صحيفة معاريف ٢٠١٠/٥/٢٢م]

رئيس البلاد لا يتقن لغتها

رفع طلابٌ أوكرانيون قضية ضد رئيس الوزراء نيكولاي آزاروف للمطالبة بالنظر في مشروعية توليه ذلك المنصب دون إتقانه لغة البلاد الرسمية الأوكرانية، واستخدامه الدائم للروسية.

واســـتند الطلاب في إحدى الجامعات في العاصمة الأوكرانية كييف في دعواهم هذه إلى المادة العاشـــرة من القانون الأوكراني، التي تحتِّم معرفة اللغة الأوكرانية واستخدامها من قِبَل جميع الشخصيات في المناصب الحكومية.

[أخبار الجزيرة ٢٠١٠/٥/٢٦م]

شهد شهر أبريل زيادةً كبيرةً في عدد المدنيين القتلى جراء العنف في العراق مقارنة بالشهر الذي سبقه؛ فلقد أظهرت أرقام حكومية أن ٢٧٤ مدنياً لقوا حتفهم في تفجيرات قنابل أو هجمات أخرى الشهر الماضي مقارنة بسقوط ٢١٦ قتيلاً في مارس، و٢١١ قتيلاً في فبراير.

كما أظهر الإحصاء الشهري للضحايا الذي أصدرته وزارات: الداخلية، والدفاع، والصحة مقتلَ ٣٩ شرطياً، و ١٥ جندياً، و ٤٨ مسلحاً في أبريل الماضي، وبهذا يكون نحو ١٠٠ ألف مدني لقوا حتفهم جراء العنف في العراق منذ الغزو وَفْقَاً لموقع (ايراك بودي كاونت دوت أورج) على الإنترنت.

[الحملة العالمية لمقاومة العدوان (قاوم) ٢/٥/٢٠١٠م]

أشار تقرير صادر عن مركز معلومات مجلس الوزراء المصري إلى احتلال مصر المركز الأول عربياً والثالث والعشرين عالمياً من حيث استخدام الـ «فيس بوك»، بنحو ٢,٤ مليون مستخدم في بداية عام ٢٠١٠م؛ حيث إن عدد مستخدمي الإنترنت في مصر تضاعف خلال السنوات العشر الأخيرة ليصل إلى نحو ١٤,٥ مليون مستخدم في نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠٠٩م، مقارنة بنحو ٣٠٠ ألف مستخدم فقط في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٩م.

[جريدة الشرق الأوسط ٧/٥/٢٠١٠م]

بمناسبة الاحتفال بأسبوع المرور العربي أفادت المنظمة العربية للسلامة المرورية بتونس في بيان لها «أن الحوادث المرورية في العالم العربي تُسقِط سنوياً أكثر من ٣٦ ألف قتيل ونحو ٤٠٠ ألف مصاب، إضافة إلى خسائرَ ماديةٍ جسيمة.

وذكرت أن العالم العربي مصنَّف في المرتبة الأولى عالمياً في مجال ضحايا حوادث المرور؛ إذ يفقد الوطن العربي بمعدل مواطن واحد كل ١٥ دقيقة بسبب حوادث المرور.

[موقع الأخبار محيط ١١/٥/٢٠١٠م]

أظهرت بيانات أصدرها المكتب الإداري للمحاكم الأمريكية أن عدد طلبات إشهار الإفلاس بلغ ٣٨٨,١٤٨ ألف طالبٍ في الفترة من يناير إلى مارس الماضي، وذلك بزيادة ١٧ ٪ قبل عام. كما زادت طلبات الأفراد ١٨ ٪، بينما تزايدت طلبات الشركات ٢ ٪.

وعلى مدى ١٢ شهراً حتى ٣١ مارس الماضي؛ زادت الطلبات ٢٧ ٪ عن العام السابق مسجِّلة ١,٥٣ مليون؛ وهو أعلى مستوى منذ عام ٢٠٠٦م.

[وكالة الأنباء رويترز ١٥/٥/٢٠١٠م]

كشفت دراسة صادرة عن هيئة الأمم المتحدة عن أن عدد النازحين داخلياً في شتى أنحاء العالم وصل إلى ٢٧ مليون ومائة ألف شخص خلال عام ٢٠٠٩م، وهو أعلى رقم تم تسجيله منذ بدء عملية تسجيل النازحين في التسعينيات من القرن الماضي.

ووَفْقَاً للتقرير الأممي، فقد جاءت باكستان بالمرتبة الأُولَى؛ حيث بلغ عدد النازحين نحوَ ثلاثة ملايين من أصل عدد السكان الإجمالي البالغ ١٧٠ مليون نسمة، وهو الأعلى عالمياً؛ حيث يزيد ثلاث مرات عن عدد النازحين في جمهورية الكونغو الديمقراطية التي جاءت في المرتبة الثانية.

[موقع نافذة الخبر ١٧/٥/٢٠١٠م]

قال وزير الاقتصاد الفلسطيني الدكتور زياد الظاظا خلال افتتاح المؤتمر العلمي الثالث في كلية التجارة في الجامعة الإسلامية: إن الاحتلال الصهيوني كبَّد الاقتصاد الفلسطيني خلال أربع سنوات من الحصار أكثر من عشرة مليارات دولار، إلى جانب تكبيده الاقتصادَ أكثر من ملياري دولار نتيجة الحرب على القطاع.

[المركز الفلسطيني للإعلام ٢٣/٥/٢٠١٠م]

فصَّل شيخ التربويين حامد عمار نِسَب المتسرِّبين من المراحل التعليمية المختلفة بمصر، بقوله: إن نسبة القيد بالمرحلة الابتدائية لمن هم في سن التعليم عام ٢٠٠٨م بلغت ٩٦ ٪ فقط؛ وهو ما يعني أن نحو ٢,٢ مليون طفل لا يحصلون على حقهم في التعليم، وأما في الإعدادية فتصل نسبة القيد إلى ٩٣ ٪، وهو ما يعني وجود مليوني طفل خارج صفوف التعليم الإلزامي، ليسقط بعدها نحو ٢,٣ ملايين طفل من قطار التعليم خلال انتقالهم من المرحلة الإعدادية إلى الثانوية، وتبلغ نسبة القيد بالمرحلة الثانوية نحو ٦٦ ٪ فقط ممن اجتازوا امتحان الشهادة الإعدادية.

[جريدة الشروق المصرية ٢٤/٥/٢٠١٠م]

المسلمون في جنوب إفريقيا

أحمد محمود السيد
mr.ah54@hotmail.com

يبلغ عدد المسلمين في جنوب إفريقيا ٢ مليون نسمة، بنسبة تقارب ٢ ٪ . أما الأديان فتتوزع على النحو التالي: المسيحيون ٦٨ ٪، وأصحاب المعتقدات التقليدية ٢٨,٥ ٪، والمسلمون ٢ ٪، والهندوس ١,٥ ٪. وينقسم السكان إلى أربع جماعات عرقية: السود ٧٥ ٪، والبيض ١٣,٦٦ ٪، والملونين ٨,٦ ٪، والهنود ٢,٦١ ٪.

وتنقسم الأقلية المسلمة إلى أعراق ثلاثة: (الإندونيسي الماليزي، الهنود، السود)، وتهيمن عناصر الملونين، خاصة ذوو الأصول الإندونيسية المالاوية، والهنود على التركيب الإثني للمسلمين هناك؛ حيث يمثلون ٩٦ ٪ من إجمالي المسلمين، بينما لا تزيد نسبتهم إلى إجمالي السكان عن ١١ ٪ (٨,٦ ٪ ملونين، ٢,٦١ ٪ هنود)، وفي المقابل نجد أن نسبة السود المسلمين لا تزيد عن ٣,٥ ٪ من إجمالي عدد المسلمين في البلاد رغم أنهم يمثلون (أي السود) ٧٥ ٪؛ وهو أمر ساهمت فيه سياسات التفرقة العنصرية التي كانت سائدة حتى عام ١٩٩٤م، والتي حالت دون انتشار الدعوة الإسلامية بفاعلية خارج نطاق الجماعات الإثنية المعتنقة للإسلام. ويتركز العرق الإندونيسي الماليزي في منطقة الكيب أما العرق الهندي فيتركز في إقليم الناتال.

وقد تواكب تخلُّص البلاد من النظام العنصري عام ١٩٩٤م مع مرور ٣٠٠ عام على وصول الإسلام إلى منطقة الكيب (رأس الرجاء الصالح)، ويمثل المسلمون رمزاً للمقاومة ضد المستعمر الهولندي وضد نظام التمييز العنصري؛ إذ كان المسلمون يمثلون في الثمانينيات أكثر من ١٠ ٪ من السجناء السياسيين بينما كانت نسبتهم تقل عن ٢ ٪ من السكان.

وللمسلمين في جنوب إفريقيا حضور سياسي قوي؛ حيث زاد عددهم على ٢٢ نائباً من أصل ٤٠٠ نائب وأغلبهم نواب في أحزاب مختلفة غير إسلامية. أما الأحزاب الخاصة بالأقلية الإسلامية فأهمها: حزب المسلمين الأفارقة، وحزب جماعة المسلمين. وفي عام ٢٠٠٠م استطاع حزب المسلمين الأفارقة الفوز بمقعدين في الهيئة التشريعية المحلية في مقاطعة غرب الكيب، وارتفعت إلى ثلاثة مقاعد عام ٢٠٠٦م ولهم خمسة مقاعد في البرلمان الحالي. وقد ضمَّت حكومة مانديلا أربعة وزراء وعشرة سفراء من المسلمين.

ويبلغ عدد المساجد ٥٠٠ مسجد، وعدد المراكز الإسلامية ٣٠ مركزاً، وعدد المدارس الإسلامية ٨٥ مدرسة. وأما على الصعيد الإعلامي هناك العديد من الصحف الخاصة بالمسلمين، مثل جريدة «الأمة» التي تصدر في (ديربن) وجريدتي (الجمعية) و (القلم) اللتين تصدران في (كيب تاون) و (جوهانسبرغ)، وقد مضى على إصدارهما أكثر من ٢٠ عاماً، بالإضافة إلى ذلك توجد ثلاث محطات إذاعية إسلامية ناطقة بالإنجليزية، إحداها تصل إلى أكثر من ٥٠ دولة في العالم عن طريق القمر الصناعي، ويقوم على إدارتها مجموعة من كبار علماء المسلمين في جنوب إفريقيا، وتصل بوضوح إلى دول عديدة في منطقة الشرق الأوسط.

وفي القرن الحالي بدأ الاتصال القوي بين المسلمين في جنوب إفريقيا والعالم الإسلامي، وأخذت بعض الحركات الإسلامية تتجه إلى هناك، فظهرت النقشبندية، وظهر الإخوان المسلمون، كما ظهر الاتجاه السلفي، وبدأ يظهر وجود شيعي، لا سيما مع تزايد اتجاه الجاليات اللبنانية نحو جنوب إفريقيا للاستثمار والتجارة

وقامت الأقلية المسلمة في جنوب إفريقيا بتأسيس العديد من الجمعيات الإسلامية المؤثرة، منها:

«المنظمة التعليمية في جنوب أفريقيا» و «اتحاد الشباب المسلم»، ومن المؤسسات الخيرية: «الوكالة الإسلامية الإفريقية» و «جمعية هلال الأمل الطبية»، ومن الجمعيات المعنيَّة بشؤون المسلمين في الدعوة والفتوى والأحوال الشخصية وغيرها: «جمعية اتحاد علماء المسلمين في جنوب إفريقيا» و «مجلس القضاء الإسلامي».

ومن أبرز التحديات التي تواجه الأقلية المسلمة في جنوب إفريقيا:

١ – نزوح العديد من أبناء المسلمين من مناطقهم إلى مناطق أخرى بعد الخروج من الحقبة العنصرية.

٢ – قضايا فقه الواقع والنوازل وما يستجد من مستحدثات العصر.

٣ – موجة التوجس والعداء تجاه العمل الإسلامي والتضييق عليه بدعوى الإرهاب.

المصادر:

– إسلام أون لاين.
– موقع الشيخ القرضاوي.
– موقع مجلس القضاء الإسلامي.
– موقع المنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم إيسيسكو.
– موقع المنظمة التعليمية لجنوب أفريقيا.
– موقع منظمة المؤتمر الإسلامي.
– د. محمد عاشور، دليل الدول الأفريقية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة، ٢٠٠٨، ص٥١٥.
– Wikipedia
– south Africa government on line
– world fact book

طَيْبَةَ الطَّيِّبَةَ

تامر إسماعيل محمد حميدي
shaeralrasool@hotmail.com

فِيْ وَصْفِ حُسْنِكِ كَمْ جَادَتْ عِبَارَاتِيْ
وَكَمْ تَوَسَّطْتِ أَشْعَارِيْ وَلَوْحَاتِي
وَكَمْ بِآثَارِكِ الغَرَّاءِ مِنْ شَجَنٍ
فِي النَفْسِ حَرَّكَ أفراحِي وآهاتِي
سافرتُ فِيْ أَبْحُرِ الأَنْوَارِ مُتَّخِذاً
شِعْرِيْ وَحُبِّيْ وَأَشْوَاقِيْ شِرَاعَاتِ
وَرُحْتُ فِيْ لُجَّةِ الأَمْوَاجِ أَعْبُرُهَا
لِكَيْ أُقَدِّمَ مَدْحِيْ بِاعْتِذَارَاتِيْ
وَلَسْتُ أُوْفِيْكِ مَهْمَا قُلْتُ مَنْزِلَةً؛
فَذَا مَقَامُكِ فِيْ أَعْلَى المَقَامَاتِ
يَا بَلْسَمَ الرُّوحِ كَمْ بِالرُّوحِ مِنْ عِلَلٍ
دَاوَيْتِهَا لاَ تُدَاوَى بِالعِلاَجَاتِ
رَسَمْتُ حُبَّكِ لَوْحَاتٍ مُزَيَّنَةً
فَفِيْ رُبَاكِ بَسَاتِيْنِي وَجَنَّاتِي
فَحَدِّثِي يَا بُحُوْرَ الشِّعْرِ عَنْ قِصَصِي
فِيْ هَذِهِ الأَرْضِ وارْوِي عَنْ حِكَايَاتِيْ
غَنَّيْتُ (طَيْبَةَ) لَحْناً خَالِداً عَطِراً
بِذِكْرِ (طَهَ) جِزْيِلاً بِالكَرَامَاتِ
وَقُلْتُ: (طَيْبَةَ) طَابَتْ فِي النُّفُوْسِ لَهَا
نَبْضُ الفُؤَادِ يُغَنَّى فِيْ مَسَرَّاتِ
وَزُرْتُ (طَيْبَةَ) وَالأَشْوَاقُ تَغْلِبُنِيْ؛
فَلَسْتُ أَدْرِي: أَشَوْقِي زَارَ أَمْ ذَاتِي؟
يَا مَأْرِزَ الدِّيْنِ وَالإِيْمَانِ قَدْ عَبَرَتْ
لَكِ القُلُوْبُ وَعَادَتْ بِالسَّعَادَاتِ
إِلَيْكِ هَاجَرَ رَكْبُ الخَيْرِ فَانْطَلَقَتْ
مِنْكِ الجَحَافِلُ تَمْحُو لِلْخُرَافَاتِ
سَكَنْتِ فِي القَلْبِ، لَكِنِّيْ سَكَنْتُ هُنَا
فِيْ حِضْنِكِ الغَضِّ قَدْ حَقَّقْتُ غَايَاتِي
فَأَنْتِ عَاصِمَةُ الإِسْلاَمِ، مُنْطَلَقٌ
لِدَعْوَةِ الحَقِّ فِيْ كُلِّ اتِّجَاهَاتِ
وَأَنْتِ سَيِّدَةُ الدُّنْيَا وَبَهْجَتُهَا
وَمَهْبِطُ الوَحْيِ، مِشْكَاةُ الهِدَايَاتِ
حُبِّيْ لِأَرْضِكِ يَجْرِي فِي دَمِي شَغَفَاً
حَتَّى لَقَدْ ذَابَ فِيْ نَبْضِي وَدَقَّاتِي
إِنَّ المَدِيْنَةَ وَالدُّنْيَا تُضِيءُ بِهَا
كَالشَّمْسِ قَدْ نَوَّرَتْ وَجْهَ السَّمَاوَاتِ
بَلْ أَشْرَقَ الكَوْنُ مِنْهَا؛ فَهِيَ مُشْرِقَةٌ
بِكُلِّ حُسْنٍ تَبَدَّى بِالفُيُوْضَاتِ
لَوْ لَمْ تَكُنْ خَيْرَ أَرْضٍ مَا أَقَامَ بِهَا
خَيْرُ البَرِيَّةِ فِي حُبٍّ وَمَرْضَاةِ
مَدِيْنَةُ العِلْمِ والإِيمَانِ قَدْ شَهِدَتْ
بِفَذِّهَا الفَذِّ بُلْدَانُ الحَضَارَاتِ
وَتَرْجَمَتْ بِالمَعَالِي كُلَّ مَلْحَمَةٍ
عَصْمَاءَ حَتَّى غَدَتْ أَرْضُ البُطُولاتِ
وَتَوَّجَتْ ذَاكَ بِالمُخْتَارِ يَسْكُنُهَا
فِي أَرْضِهَا نَزَلَتْ خَيْرُ الرِّسَالاَتِ
وَجَاءَ أَحْبَابُهَا يَبْغُوْنَ رَوْضَتَهَا
وَهُمْ يَحُومُونَ فِيْهَا كَالفَرَاشَاتِ
وَيَرْشُفُوْنَ رَحِيقَ المِسْكِ مِنْ عَبَقٍ
أَذْفَاسُ (طَهَ) بِهَا أَزْكَى العُطُورَاتِ
لِمَسْجِدِ المُصْطَفَى رُوْحِيْ تُسَابِقُنِي
دَجْنِي رَحِيقَ الهُدَى مِنْ رَوْضِ حَلْقَاتِ

لماذا يستعدي الكيان الصهيوني دول العالم، ويفقد الأصدقاء؟

د. عدنان أبو عامر(*)

فاجأ وزير الحرب الصهيوني «إيهود باراك» وزراء الحكومة حين صرح قائلاً: «إن إسرائيل أمام خطر تراجع مكانتها الدولية في الأمد البعيد»، ورغم أن ذلك اعترافاً صهيونياً ليس جديداً، لكن صدوره عن «باراك» الوزير الأكثر خبرة ودراية في الحكومة الحالية، يترك دلالات في غاية الخطورة على مستقبل هذا الكيان في المنطقة.

ولعل ذلك ما أكدته وثيقة داخلية أعدتها وزارة الخارجية الصهيونية من أن إسرائيل تفقد مزيداً من أصدقائها في جميع أنحاء العالم، في ضوء أننا بتنا نشاهد دولاً كانت تربطها علاقات مميَّزة مع إسرائيل، تبتعد اليوم عنها تدريجياً.

وتضرب الوثيقةُ التي أوردتها صحيفة «معاريف» على ذلك مثالاً بالنموذج الهولندي؛ حيث انضمت هولندا مؤخراً إلى قائمة الدول التي تردَّت علاقاتها مع إسرائيل يوماً بعد الآخر، وخلال الأعوام الأخيرة أيضاً طرأ انخفاض ملموس في مقدار الدعم التاريخي لإسرائيل في أوساط الشعب الهولندي.

وقد كان للمواجهات المستمرة مع الفلسطينيين، والاستطلاعات السلبية في وسائل الإعلام الهولندية، الدور الأساسي الأكبر الذي تسبب في هبوط الدعم التاريخي، ويضاف إلى ذلك تأثير الحرب الأخيرة على قطاع غزة التي قلبت الرأي العام الهولندي، وجعلته ساخطاً على إسرائيل.

وربما كان لهذه الأجواء المعادية التي تشعر بها إسرائيل، أثر كبير على تراجع حجم الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة في الآونة الأخيرة؛ حيث كشفت صحيفة «هآرتس» النقاب عن حملة جديدة هدفها إعادة ٧٥ ألف يهودي قرروا الرحيل عن الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م والسكن في الخارج، وهو ما بات يُعرَف بظاهرة «الهجرة المعاكسة».

وتقضي الخطة بمنح من يقرر من هؤلاء العودة والاستقرار مجدداً في إسرائيل مكانةَ المهاجر الجديد، وما يعنيه ذلك من إعفاءات ضريبية كبيرة، وإغراءات مالية أخرى. ومن المقرَّر أن تصادق الحكومة الإسرائيلية على الخطة التي بادر إليها «بنيامين نتنياهو» بالتعاون مع وزارة الاستيعاب، وسيتقرر مَنْحُ مكانة «مهاجر جديد» لكل صهيوني أمضى في الخارج ٦ سنوات على الأقل، ثم قرر العودة والاستقرار في فلسطين المحتلة.

وفي ما يتعلق بالإغراءات المالية، نشرت الصحيفة جدولاً يقارن بين التسهيلات الحالية والموعودة؛ حيث سيُعفا كلُّ من يقرر العودة من ضريبة الدخل لمدة ٢٠ سنة بدلاً من عشر سنوات كما هو معمول به حالياً، وفي ما يتعلق بالعمل ستقدِّم الحكومة «للعائدين» مساعدات كبيرة في مجال استيعابهم في سوق العمل، وستعقد من أَجْلِهم دورات مهنيةً تأهيليةً، إضافة إلى مَنْح أطفالهم خمس ساعات تقوية في مجال التعليم أسبوعياً، بدلاً من ساعة واحدة حالياً.

فيلق السفراء:

لقد كشفت صحيفة «جيروزاليم بوست» عن قلقٍ حقيقي من تراجع مكانة إسرائيل الدولية، وهو ما دفعها لتشكيل ما يسمى «فيلق السفراء»، المكوَّن من أعضاء من الكنيست من مختلف التيارات والأحزاب الإسرائيلية، سيجنِّدون أنفسهم كجيش إعلامي تابع لـ «إسرائيل» لتحسين صورتها في جميع أنحاء العالم.

وأشارت الصحيفة إلى أن إسرائيل لم تكن تعاني في السابق من تشوُّه صورتها في العالم، إلا أن الأمور تغيرت بعد الحرب الأخيرة على غزة، وما أعقبها من تقرير «غولدستون»، وتدهور العلاقات مع تركيا، وتردِّي العلاقات مع الولايات المتحدة، والحملات الدعائية ضد إسرائيل في مختلف أنحاء العالم.

وأوضحت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أنه على الرغم من الجهود الإسرائيلية التي جرى استثمارها في الإعلام، والكنيست ووزارة الخارجية، إلا أنهم توصَّلوا إلى نتيجةٍ أنَّ هذه الجهود لن تؤتيَ ثمارها بدون تحرُّكٍ عمليٍّ على الأرض،

(*) كاتب فلسطيني.

وأكـــدت الصحيفة أن معظم الـــدول الأوروبية باتت تنظر إلى إسرائيل على أنها «سفاح همجي في الشرق الأوسط»، وذلك إلى جانب الأزمات الدبلوماســـية الكثيرة التـــي حدثت خلال العام الماضـــي، كل ذلك مسَّ بصورة «إســـرائيل» في جميع أنحاء العالم.

لائحة الأعداء:

إن الغريب في الأمر، أنه على الرغم من هذه الحملة المعادية التي يواجهها الكيان الصهيوني في الخارج، فقد نقلت الإذاعة الإسرائيلية عن مصادر سياســـية أن تل أبيب تشـــعر بخطورة قرار مصر إلغاء مشـــاركة مجموعة من الأطباء الصهاينة في مؤتمر دولي حول أمراض الدم من المقرر عَقْدُه في القاهرة.

وأضافت الإذاعة أن نحو ألفي طبيب من جميع أنحاء العالم سيشاركون في هذا المؤتمر، وأن نقابة الأطباء والصيادلة المصريين هددت بمقاطعته في حال مشاركة الأطباء الصهاينة فيه.

والأكثـــر من ذلك، أن مدير مستشـــفى «تل هشـــومير» الحكومي الإسرائيلي قد تجرأ وبعث برسالة للرئيس المصري طلب منه التدخل في الموضوع، وإفســـاح المجال أمام الأطباء الصهاينة لحضور المؤتمر.

وفي ســـياق متصل، ذكرت القناة التلفزيونية العاشرة أن إســـرائيل تســـتعدُّ للخروج بحملة دعائية عالمية ضد المملكة العربية السعودية، في إطار قرارٍ سريٍّ اتخذه وزير الخارجية «أفيغدور ليبرمان». وستُستَخدَم هذه الحملة في حال تنفيذها مـــن قِبَل اللوبي اليهودي في الولايـــات المتحدة، وفي أوروبا، وأماكن أخرى في العالم؛ لتناوُل موضوعات حقوق الإنســـان ومكانة المرأة، وتمويل ما يسمى بـ «الإرهاب»، أمام الكونغرس الأمريكي والبرلمان الأوروبي، إلى جانب تقديم شـــكاوى ضد السعودية أمام المحكمة الدولية.

وتتضمن الخطة رسالة شديدة اللهجة ينقلها ليبرمان خلال الأيام المقبلة إلى الولايات المتحدة، تتضمن اتهام الســـعودية بالضلوع في تمويل جميع الأنشطة المعادية لإسرائيل.

وأوضحـــت القناة أن قـــرار ليبرمان، جـــاء «في أعقاب استنتاج جرى التوصل إليه في وزارة الخارجية، بأن السعودية هي الجهة الرئيســـة التي تقف خلف الحملـــة الدولية لنزع الشرعية عن الكيان الصهيوني، من خلال المبادرة لرفع دعاوى عديدة ضد إســـرائيل، ودعم الكثير من الدعاوى في محاكم دولية، وملاحقة إســـرائيل في قضايا مختلفة، وفَضْحِها في لجانٍ ومؤتمراتٍ في الولايات المتحدة وأوروبا».

وثمـــة جانب هو الأكثر فـــرادة في تنامـــي قائمة «أعداء إســـرائيل»، هو ذلك التحوُّل في القواعد الاجتماعية اليهودية؛ حيث قويت المنظمـــات اليهودية المعاديـــة للصهيونية، وأقامت منظمـــات يهوديـــة - منها منظمـــة «يهود لمقاطعـــة البضائع الإســـرائيلية»، ومنظمة «يهود من أجل العدالة للفلسطينيين» - اعتصامات في وسط لندن، ضد «احتلال إسرائيل غير المشروع للضفة الغربية والقدس الشـــرقية، والعقاب الجماعي للشعب الفلسطيني المحاصر في غزة».

ودعت هذه المنظمات إلـــى «عزل دولة الكيان الصهيوني بســـبب مواصلتها انتهاك القانـــون الدولي، كما دعت لحملة دولية واســـعة لمقاطعة البضائع الإسرائيلية وفرض عقوبات على إسرائيل».

والأخطر من ذلك - وَفْقَاً لمصادر إسرائيلية مطلعة - أن الأوضاع المتفجرة في قطاع غزة ساعدت على «كسر المقاومة اليهودية التقليدية لانتقاد إســـرائيل»، ويقـــول المحللون: إن الاضطرابات والغضب في أوســـاط اليهود في مختلف أنحاء أمريكا يعود إلى السلوك الإســـرائيلي الإجرامي والعنصري الذي ظهر جلياً خلال تلك الحرب المجنونة.

قراءة في ظاهرة
التطاول على «النقاب»

صلاح بن فتحي هلل

لقد رَجَعَتْ من جديد «حرب النِّقاب»، التي يخوضها النِّقاب ضد معارضيه ومخالفيه، الذين اعتادوا إشعال فتيل هذه الحرب كلما سنحت لهم الفرصة.

وبدأنا من جديد نسمع عن تطاولاتهم على النِّقاب ووصمه بـ«التخلُّف» و«منْع التواصل بين فئات المجتمع»، وغير ذلك، كما عاد علماء المسلمين من جديد إلى بيان حكم النقاب، والدفاع عن شرعيته.

وكنت قد استمعتُ وقرأتُ في «وسائل الإعلام» عن هذا وذاك، ونظرتُ أقوالَ المخالفين للنقاب، والمدافعين عن وجوبه فضلاً عن استحبابه وشرعيته، ولا أريد هنا أن أعيد شيئاً مما هو مشهورٌ تجري به «وسائل الإعلام» في الناس هذه الأيام.

لكن ثمة تساؤلات: ما سرُّ هذه الظاهرة؟ وما أبعادها؟ وهل النقاب يستحق كل هذه الضَّجة؟ أم أنه مجرَّد واجب شرعي مثله مثل غيره من الواجبات الشرعية؟

إننا إذا تدبَّرنا هذه المسألة، ووضعناها في سياقها الإسلامي؛ بين النصوص والشرائع الإسلامية، مع تطبيق هذه النظرة الكُلِّيَّة الشاملة على الواقع، وقراءة الصورة من كلِّ زواياها وأطرافها، فستظهر الصورة واضحة مكتملة الأركان؛ بحيث لا يمكن فهمها في غياب ركنٍ منها؛ بل لا بد من جَمْعِ أركانها جميعاً؛ لتظهر كما هي، لا كما يُرَاد لها أن تكون.

لنَعُدْ إلى الوراء، حيث الدولةُ المسلمة الناشئة في جزيرة العرب، والنبي ﷺ بين ظهرانيهم، يُحِلُّ لهم الطيِّبات ويُحرِّم عليهم الخبائث، ويسوسهم، ويُعلِّمهم الشرع، ويُربِّيهم، ويصنعهم على عينه وتحت سَمْعِه وبصره ﷺ، والناس معه على قلب رجلٍ واحد، تنتشر فيهم خصال النخوة والغيرة والمروءة، ونحوها من خصال الخير.

فالرجال أَغْيَر الرجال، وأطهرهم، وأعظمهم، وأعفُّهم، والنساء كذلك أيضاً؛ حيث تجد الواحدة منهن تعدل أمَّة في إيمانها، وحيائها، ووفائها لزوجها وأولادها، وطهارتها، وسائر أحوالها، وهناك عشرات الكتب التي تحدثت بتفصيل عن هذه الجوانب.

والحقيقة أنَّ الأمثلة التي لا حصر لها، تشهد بطهارة جيل الصحابة - رضي الله عنهم - ونقائه ومع ذلك كلِّه فقد أَمَرَهم اللهُ - عز وجل - جميعاً (رجالاً ونساءً)، فقال - تبارك وتعالى -: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠ - ٣١]، وأمرَ نساء النبي ﷺ ونساء المؤمنين من بعدهنَّ بعدم الخضوع بالقول في حديثهنَّ، فقال - سبحانه -: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]؛ فجعل - سبحانه - هذه التدابير الاحترازية حاجزاً يحول بين نساء النبي ﷺ ونساء المؤمنين من بعدهنَّ، وبين طمع مَن في قلبه مرض.

وفي سياق هذه التدابير الاحترازية نجد تدبيراً احترازيّاً آخر يتمثل في قوله – تعالى –: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩]؛ لقد نقلت هذه الآية الكريمة المسألة إلى أبعادٍ رحبة فسيحة، يمكن لنا أن نقف على بعضها بتدبُّر كلمات الآية الكريمة، مع باقي الآيات الكريمات:

لقد جاءت الآية الكريمة هنا على غير العادة في توجيه الأمر للمؤمنات؛ فإنَّ قوله – تعالى –: ﴿ لِلْمُؤْمِنَاتِ ﴾ يشمل سائر نساء الأمة، لكن في هذه الآية الكريمة قال – تبارك وتعالى –: ﴿ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾، فذكرهنَّ بالتفصيل، وقدَّم أزواجه وبناته ﷺ ليقتدي بهنَّ في ذلك مَن بعدَهنَّ من نساء المؤمنين، وهذا مَلْمَحٌ تربويٌّ آخر؛ فإنَّ الناس يقتدون بأئمتهم، ويدفعهم الفعل إلى الاستجابة أكثر من دفع القول لهم؛ فالآية الكريمة قد أكَّدَتْ الأمرَ الوارد فيها، وقدَّمت نساءه وبناته ﷺ زيادة في تأكيد هذا الأمر، وحثّاً لغيرهنَّ على الاقتداء بهنَّ؛ لأنه إذا أُمِرَتْ أفضل نساء هذه الأمة (أمهات المؤمنين، وبنات النبي ﷺ) بذلك كان غيرهنَّ أَوْلى بالأمر وآكد، وهذا القَدْرُ وحدَه كان كافياً في تأكيد الأمر لعموم نساء الأمة، ومع ذلك فقد ذكرت الآية ﴿ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ صراحة، وفي هذا العطف زيادة تأكيد لأمر نساء المؤمنين بما أُمِرَتْ به أمهات المؤمنين وبنات النبي ﷺ، وفيه أيضاً ردٌّ على مَن قد يزعم تخصيص الأمر بأمهات المؤمنين وبنات النبي ﷺ.

وفي أمْره – تبارك وتعالى – لهنَّ أنْ يُدْنين عليهن من جلابيبهنَّ تأكيدٌ آخر للأمر بالنقاب، وهذا واضحٌ من قوله – تعالى –: ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ ﴾، فعمَّهُنَّ جميعاً ولم يستثنِ من ذلك وجهاً أو كفّاً أو غيرهما؛ فدلَّ ذلك على عموم الإدناء لجميع جسد المرأة لقوله: ﴿ عَلَيْهِنَّ ﴾ بالجمع دون استثناء. ولو أراد الله – عز وجل – الاستثناء، أو أراد عضواً دون عضو لبيَّنه، كما صرَّح بإرادته الجيوب في قوله – تعالى –: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾، وإرادته الصوتَ في قوله – تعالى –: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾، وأمثال هذه المعاني؛ ولهذا كان قوله – تعالى –: ﴿ عَلَيْهِنَّ ﴾ في آية ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ ﴾ شاملاً لجميع المرأة من أعلاها إلى أدناها، لا يخرج من هذا العموم شيءٌ بغير بيِّنةٍ من شرع.

وفي تعبيره – تبارك وتعالى – بالإدناء في قوله: ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ ﴾ توكيدٌ آخر على الأمر بالنقاب؛ لأنه – عز وجل – قد أمر في آيةٍ أخرى بغضِّ البصر، ولا يمكن الأمر بغضِّ البصر مع إباحة كشف ما يجرُّ إلى النظر ويشيعه ويفشيه؛ وإنما يلائمه أمر النساء بالاحتشام والابتعاد عن اللباس الذي من شأنه لفت الانتباه إليهنَّ وعَطْف البصر عليهنَّ.

ومن جهة أخرى فقد أمر الله – عز وجل – المؤمنات أن يضربن بخمُرهنَّ على جيوبهن، فقال – تعالى –: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾؛ والمقصود بالجيب: فتحة اللباس من عند العُنُق، وبذلك أمر الله – تبارك وتعالى – النساء بتغطية فتحة اللباس من فوق (عند العنق) بخمُرهنَّ، وأما من أسفل الثوب؛ فقد قال الله – عز وجل –: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾، وهذا أيضاً يستلزم أن لا تلبس المرأة ثوباً قصيراً من باب أَوْلَى.

فإذا وضعنا هذه النصوص وما يجري مجراها مجتمعة في هيئة الثوب الخاص بالنساء في الشريعة، فسنرى صورته تبدأ بخمارٍ في أعلاه يغطي فتحة الجلباب التي عند العنق، ثم الجلباب أسفل الخمار يغطي سائر جسد المرأة، وينزل لأسفل ليغطي قدميها تماماً. لكن تأتي الآية الكريمة: ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ لتعمَّ جميع جسد المرأة، وليشمل ذلك أيضاً الوجه والكفين، لأن أَمْرهنَّ بالإدناء في الآية الكريمة ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ ﴾ قَدْرٌ زائدٌ على الخمار والجلباب؛ فهو يعم جميع بدن المرأة من أعلاها إلى أسفلها، بغير استثناء لشيء منها، وهذا تأكيدٌ آخر للأمر بالنقاب.

ولا يتنافى هذا كله مع قوله – تعالى –: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾؛ لأنَّ الراجح في تفسير ما ظهر منها هو الثياب ونحوه مما يظهر ضرورة، خلافاً لمن فسَّر ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ بالوجه والكفين؛ لأن الاستثناء هنا من الزينة وليس من الجسد، فلزِمَ من ذلك أن يكون ما ظهر منها هو الثياب أو الخمار والنقاب؛ فهذا كله يظهر ضرورة، وهو من الزينة؛ كما قال الله – تعالى –: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف: ٣١]، ويؤيِّد هذا نهيه – تعالى – في الآية الأخرى بقوله: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾؛ فنهى – سبحانه – عن الضرب بالرِّجل الذي يؤدِّي لرفع الثوب فيظهر ما يخفين من زينتهنَّ؛ فقد أمرَ سبحانه في هذه الآية بستر الزينة، فتوافَقَ ذلك مع الأمر بستر الزينة أيضاً في قوله – تعالى –: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾، وظهر أنَّ المراد بما يظهر من الزينة شيءٌ آخر لا يمكن ستره عادة، وهو الثياب، وهو أيضاً من الزينة بدليل آية سورة الأعراف.

وفي تفسير ما ظهر من الزينة بالوجه والكفَّين نظرٌ؛ لما أسلفتُ من أنَّ الاستثناء في الآية من الزينة لا من الجسد؛ ففي قوله – تعالى –: ﴿ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾، وقوله – تعالى –: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ ﴾، وأمثال هذه الآيات ما يدل على أنَّ

الخطاب متوجِّهٌ إلى تشـــريعٍ خاصٍّ بشـــيءٍ (عضوٍ) من المرأة، بخلاف آية الزينة؛ فالخطاب فيها متوجِّه إلى زينة المرأة لا إلى شيءٍ منها نفسها، وسياق الآيات صريحٌ في ذلك؛ حيثُ تكلَّم عن تشريعات خاصة بأعضاء من المرأة ثم انتقل للكلام عن تشريع خاصٍّ بزينتها؛ فقـــال - تعالى -: ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِيـنَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِـنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَـائِهِنَّ أَوْ مَـا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِـينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَـاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور: ٣١]، وهذا السـياق بطوله يفتح آفاقاً جديدة في اسـتجلاء الحقيقة؛ فقد جـاء قوله - تعالى - بخصوص الزينة على هـذا النحو: ﴿ **وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَـا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ** ﴾ إلى آخر الآية؛ فذكرت الآية نوعين من الزينة:

الأول: لا يُبْدِينه إلا ما ظهر منه.

والثاني لا يُبْدِينه إلَّا للأصناف المحدَّدة في الآية.

فـدلَّ ذلك على أنَّ الزينة المعهودة للنسـاء لا تظهر إلا لمَن حدَّدتْهم الآية، وأنَّ الثياب الظاهرة هي المقصودة بالزينة الأُولَى في الآية، أو تكون الزينة التي أُجْمِلَت في أوَّل الآية قد فُسِّرَتْ في آخرها، وفُسِّـرت الأصناف الجائز ظهـور الزينة لهم دون غيرهـم، وهم الذين ذكرتهم الآية الكريمـة؛ فيكون المـراد: إلا مـا ظهر من الزينة لأصناف بعينهم من الناس، وليس لمطلق النـاس. ويؤيد ذلك أيضاً أنَّ المرأة مأمـورة بعدم التَّبرُّج؛ فعُلِمَ بذلـك أنَّ الآية الكريمة: إما أنها قد اسـتثنتْ نوعاً بعينه من الزينـة وهو اللباس الظاهر ضرورة، أو أنَّها اسـتثنت ما ظهر من الزينة لفئاتٍ بأعيانهم حددتهم الآية دون بقية الناس، وقد يكون الاسـتثناء هنا يعني عند الضرورة والاضطرار؛ أي: ولا يبدين زينتهنَّ إلَّا ما ظهر منهـا رغماً واضطراراً وضرورة من تمريضٍ ونحوه؛ أو تكون الآية بمعنى «إلَّا ما قد سَلَفَ» في قوله - تعالى -: ﴿ **وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ** ﴾ [النساء: ٢٣]؛ يعني: ما مضى وانتهـى، فيكون المراد إلا ما ظهر في الماضي. لكن تفسـير ﴿ **إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا** ﴾ بمعنى الثياب أو بمعنى ما ظهر لأصنـافٍ بأعيانهم، أَوْلَى من هـذه الاحتمالات الأخيرة؛ والله أعلم.

ولا أريد أن أسـتطردَ في الكلام على هذه المسـائل، فلم أقصد هنا استيعاب النصوص الواردة في مشـروعية النقـاب أو اسـتحبابه أو وجوبـه، وإنما المقصود الإشـارة إلى أصله الشرعي الإسـلامي، وكونه أحد التشـريعات التي وردتْ بها النصوص الشـرعية، التي لا يجوز لكائن أنْ ينكر وجودها في الشـرع؛ ومَن أراد الاستزادة في أدلة مشروعيته والوقوف على حكمه وآراء العلماء فيه؛ فعليه بالرجوع للمؤلَّفات المشهورة في هذا الباب.

وبعد هذا كله: ما الذي دفع المعارضين للنقاب إلى رميه عن قوسٍ واحدةٍ؟ والانزعاج من انتشاره؟ وسنِّ التشريعات الوضعية الأرضية للحدِّ منه ومحاربته بين آنٍ وآخر؟ ولمَ النقاب تحديداً وليس الوضوء أو الصيام؟

ربما لا يمكـن لبعض الناس الجواب عن هذه الأسـئلة إذا نظر للمسـألة نظرة جزئية ضيقة، تقتصر على النقاب وحدَه، أو على بعض المبررات التي يطرحها المعارضون، لكن يظهر الجواب بوضوح إذا ربطنا بين العداء للنقاب والعداء لعددٍ من الشـرائع الإسلامية الأخرى: كالحج والأذان وصلاة الجمعة؛ فقد لاحظنا العداء المستمر والمتجدِّد لهذه الشعائر وأمثالها، والرابط بين هذه التشـريعات وأمثالها هو كونها من شعائر الإسلام المميِّزة له عن غيره؛ فهي شـعائر تميِّز شخصية الإسـلام عن غيره؛ أي أنها: ليست مجرَّد تشريعات إسلامية فقط؛ لكنها إلى جوار ذلك شعائر مُمَيِّزة للشخصية الإسـلامية؛ إذ هي الإعلان الظاهر والواضح عن الهوية الإسلامية والانتماء للإسلام؛ فالأمر في هذه الشعائر يتعدَّى مجرَّد العبادات إلى كونه علامة مُمَيِّزة للهوية الإسلامية، وإعلاناً ظاهراً عن الإسـلام، وإذا كان الكتاب يتضح من عنوانه، فإنَّ هذه الشعائرَ وأمثالَها هي من عنوان الإسلام الظاهر، الدالِّ عليه؛ ومن هنا تأتي أهمية مثل هذه العبادات والتشـريعات من الجهتين: الإسلامية، وغير الإسلامية على السواء.

فالعراك الواقع هنا ليس بين عبادات أو تشريعات لها طابع الخفاء أو نحوه؛ وإنما العراك بين دينَيْن وهويَّتَين، يُعْلن كلٌّ منهما عن نفسه بوسائل خاصة به، فيُعْلن الإسلام عن هويَّته بشعائره المُمَيِّزة لشـخصيته، التي تتجاوز حدَّ الاستجابة والإذعان في خاصَّة الشخص كالصيام ونحوه من العبادات الخاصة، بخلاف العبادات العامة أو الظاهرة التي تتسم بالعموم والظهور؛ بحيث يراها المسلم وغير المسلم، ومنها النقاب الظاهر الواضح، الذي يراه الناس بأكملهم عندما تخرج المسلمة من بيتها لقضاء بعض حوائجها فتمرُّ علـى الناس، تخبرهم فـي صمتٍ، وتدعوهم في سـكونٍ، وتُعلن بغير كلام وعبارات عن هويتها الإسلامية، وانتمائها الأصيل للشعائر الإسـلامية؛ حينئذٍ يُخْرِج المخالفُ أضغانَه، مسـتخدِماً في ذلك ما قَدَرَ عليه من ترغيبٍ وترهيبٍ

للمرأة المسلمة من جهة، ولمن يتعاطف مع قضيتها من جهة أخرى، والمخالِفُ في عدائه للنِّقاب خاصة أو لشعائر الإسلام عامة قد يتزيَّن ليصل إلى مراميه بأقصر الطرق وأقلِّها ثمناً؛ فتراه يختفي خلف «اللافتات» التي فرَّغها من محتواها؛ كالحرية الشخصية وحقوق الإنسان، ونحو ذلك مما يتذرَّع به لتنفيذ أغراضه، لكنه حين يتزيَّن بهذه «اللافتات» يضع لها من الضوابط والقيود ما يجعلها قاصرة عليه، فلا يسمح لأحد غيره باستخدام تلك اللافتات لنصرة حقٍّ أو إبطال باطلٍ؛ إلَّا فيما يُمَكِّنه هو من أداء دوره والوصول لأهدافه؛ فالحرية الشخصية مقصورة على أصحاب «اللافتات» المزيفة، وحقوق الإنسان عندهم وحدهم؛ ولذا تراهم ينعون كلباً أو قطةً ماتت عندهم، بينما لا يكترث هؤلاء لعشرات الأرواح المسلمة البريئة التي تزهق.

وينسى هؤلاء جميع خلافاتهم ويتَّحدون في وجه امرأة منتقبةٍ هنا أو هناك، نظراً لما يثيره نقابها في نفوسهم من زلازل عميقة لاتصال الأمر بالهوية؛ ولذا يتحدثون عن الهوية بجوار حديثهم عن النقاب ومحاربتهم له، ويجمعون بين الأمرين في كثيرٍ من أحاديثهم بعبارة أو بأخرى.

وقد كان الشيخ علي محفوظ - رحمه الله - مُلْهَماً عندما قال: «ومن العادات المحرَّمة: تقليد الأجانب في الملابس والأزياء حتى انتشر ذلك في النساء والأطفال؛ فإذا وقع بصرك على امرأة أو ابنة مثلاً رأيتها إفرنجية في كل شيء وهي زوجة أو ابنة مَن يَعُدُّ نفسه من جماعة المسلمين، وهذا ضلالٌ يفضي بالأمة إلى تلاشي قوميتها وعاداتها وشعارها حتى تندمج في غيرها...»[1] إلى آخر كلامه الذي يدلُّ على العلاقة الوثيقة بين قضية الثياب والمظهر، وبين قضية الدين والهوية الإسلامية لهذه الأمة.

ومما يؤكد هذا أَنَّ المسألة في عيون المعارضين للنقاب لا تقف عند منعه أو تشويه صورته، وإنما تتجاوز ذلك إلى الإلحاح الواضح على نشر كل ألوان التبرُّج وتوابعه من انفلاتٍ أخلاقيٍّ، فيصبح الناس وقد صارت المتبرِّجة نجمة مشهورة، في حين يجري التنفير من الطبيبة، والباحثة، والأستاذة الفاضلة لمجرد كونها ممن يرتدينَ النقاب؛ فالمسألة هنا تتجاوز حدَّ الخلاف الفقهي في حكم النقاب، لتصبح دعوات منظَّمةً، متكررةً، إلى الانفلات، ثم يحاربون النقاب لضمان نجاح سعيهم إلى الانفلات دون عوائق، وهذا يُفسِّر الإصرار العجيب على تشويه صور بعض المشهورات ممن ارتدين النقاب ودافعن عنه ودَعَوْن إليه؛ بخلاف عشرات المنتقبات غير المشهورات، اللاتي لا يُؤَثِّرن في توجُّه الناس أو لفت انتباههم إلى النقاب

(١) الإبداع: (ص/٤١٣):

فما سرُّ هذه الظاهرة؟ وما أبعادها؟ وهل النقاب يستحق كل هذه الضجة؟ أم أنه مجرَّد واجب شرعي مثله مثل غيره من الواجبات الشرعية؟

والفضيلة؛ وهذا التمييز في التصرُّف تجاه المشهورة وغير المشهورة يؤكِّد أيضاً صلة النقاب بقضية التميُّز والهوية، وأن المسألة ليست خلافاً مع عبادة خفية، أو سلوكٍ شخصيٍّ؛ وإنما خلافهم مع المظهر الإسلامي المُمَيِّز للهوية الإسلامية، مهما تنوَّعَتْ أغراضهم ودوافعهم.

وهذا يُعطي قضية النقاب بُعْداً آخر ينبغي أن لا يغيب عن أذهان المعالجين لقضيته؛ لأن الذي سيبدأ بالتنازل اليوم عن واجب أو مستحَبٍّ؛ سيتنازل غداً عن معلومٍ من الدين بالضرورة؛ لأن معارضة النقاب إنما هي مظهرٌ ومقدِّمة لمعارضة الهوية الإسلامية كلها، ولن تقف المسألة عند النقاب؛ لأنها ليست خلافاً مع النقاب؛ وإنما هي خلاف مع الإسلام بكل شعائره وأشكاله، وقد كان خلافهم قبل فترة قصيرةٍ مع اللحية أيضاً ثم هدأ هذا الخلاف كثيراً بعدما انتشرت اللحية في الأمم الأخرى بشكلٍ أو بآخر، وصار شكلها مألوفاً غير مختصٍّ بالمسلمين في نظر هؤلاء المعارضين، وبقي الخلاف مع النقاب المختصِّ بالمسلمين مستمرّاً، كما ثار الخلاف أيضاً مع الحجارة والجدران، عندما تشير هذه الحجارة إلى شيءٍ من شعائر الإسلام؛ فالخلاف ليس مع الطوب والجدران وإنما هو خلافٌ مع ما تشير إليه هذه الحجارة من المساجد في طول أوروبا وعرضها، أو مع المآذن كما حصل مؤخَّراً في سويسرا التي أجرت الاستفتاء على حظر المآذن، والحجارة هي الحجارة، تُبْنَى بها الملاهي فلا تثور لهم ثائرة، فإذا بُنِيَتْ بها المآذن والمساجد ثارت الدنيا؛ لما تشير إليه حينئذٍ من الهوية الإسلامية.

فالخلاف - كما هو واضح - مع الهوية الإسلامية لا مع النقاب أو المآذن أو غيرها من شعائر الإسلام وخصوصيَّاته، ويتأكَّد هذا أكثر وأكثر عندما يصل اعتراضهم إلى لعبة أطفال يجري تصنيعها مرتديةً الحجابَ؛ لما في ذلك من إشارة إلى شعيرة إسلامية حتى وإنْ جاء ذلك عَرَضاً دون قصدٍ من الصانع! فما وجه الخلاف مع لعبة أطفال؟ وهل تملك لعبة الأطفال قوة يخشى منها هذا أو ذاك؟ لكن لـمَّا كانت المسألة تشير إلى شيء من شعائر الإسلام، ثارت الثائرة على لعبة الأطفال أيضاً، بل نشرت وسائل الإعلام أنَّ بعض الدول سنَّت التشريعات الصارمة في وجه هذه اللعبة.

نظام الرقابة على المال العام في الاقتصاد الإسلامي

نور الدين بوكردید الجزائري(*)

الرقابة لغة:

الرقابة: من الرقيب وهو الحفيظ، ورقبه يرقبه مراقبةً بمعنى: حرسه[1].

أما الرقابة اصطلاحاً:

فلها مفاهيم متعددة ومتنوعة، تختلف في معظمها من حيث درجة التفاصيل، وتتفق غالبيتها من حيث المحتوى، ويبدو أن الخلاف على تحديد معنى موحَّد للرقابة يضفي عليها أهمية خاصة، وأهم هذه المفاهيم:

١ - أنها: وظيفة تقوم بها السلطة المختصة بقصد التحقُّق من أن العمل يسير وَفْقاً للأهداف المرسومة بكفاية، وفي الوقت المحدد لها[2].

٢ - وقيل: إنها التأكد من أن كل شيء يجري وَفْقاً للقواعد التي وُضِعَت والتعليمات التي أُعطيت[3].

ومن خلال هذين التعريفين يبدو لنا أن الراجح هو التعريف الأول، ومع ذلك يمكننا أن نقول: إنها عملية تقوم بها جهات متخصصة؛ للتأكد من مطابقة التنفيذ للقواعد والتعليمات التي وُضِعَت وَفْقاً للمعايير الشرعية الإسلامية، وأنها حققت أهدافها بكفاية.

مفهوم الرقابة في النظام الاقتصادي الإسلامي:

وردت تعريفات متعددة للرقابة في الاصطلاح الشرعي؛ إلا أنها تتفق معظمها من حيث المحتوى والمضمون مع اختلافٍ في درجة التفاصيل، وسأورد هنا واحداً منها فقط:

هي عملية تقوم بها جهات معيَّنة؛ لمراقبة المال العام (إيراداً وإنفاقاً) وَفْقاً لمعايير الشريعة الإسلامية بإدارة رشيدة، وبكفاية اقتصادية عالية[4].

ويمكن القول: إن هذا المعنى أقرب للمفهوم الإسلامي للرقابة؛ لأن الرقابة في مفهوم الاقتصاد الإسلامي شاملة ومتكاملة؛ فهي: رقابة شرعية على المال العام، ورقابة إدارية كذلك.

أهداف وأهمية الرقابة ومزاياها:

أهداف الرقابة في النظام الاقتصادي الإسلامي:

تهدف الرقابة على المال العام في النظام الاقتصادي الإسلامي إلى المحافظة عليه وصيانته من الهدر والضياع ولها أهداف أخرى، هي:

١ - التأكد من سلامة الأنظمة والتعليمات والقوانين، والتحقق من كفايتها وانسجامها مع روح الشريعة الإسلامية، ومصلحة الأمة.

٢ - التأكد من أن الإيرادات العامة جرى تحصيلها وَفْقَ أحكام الشريعة الإسلامية، ثم إيداعها في الجهات

(*) استاذ الفقه والحديث بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في الجامعة الإسلامية في النيجر.

(١) ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، ١/ ٤٢٤، مادة: «رقب». دار صادر، بيروت، ط١، سنة ١٩٥٥م.

(٢) فؤاد العطار، مبادئ الإدارة، ص١٧٩.

(٣) حمدي القبيلات، الرقابة الإدارية على الأجهزة الحكومية، ص٣.

(٤) عيسى الباروني، الرقابة في عهد الرسول والخلفاء الراشدين، ص١١.

المخصصة لذلك، وكذلك التأكد من أن النفقات العامة جرى صرفها وَفْقَ أحكام الشريعة الإسلامية.

٣ - حماية حقوق وحريات الأفراد من تجاوزات العمال والولاة للاختصاصات المنوطة بهم.

إن هذه الأهداف كلها تصبُّ في هدف واحد، هو: المحافظة على المال العام (إيراداً وإنفاقاً) ومَنْع أي اعتداء عليه.

أهمية الرقابة في النظام الاقتصادي الإسلامي:

إن الرقابة في الاقتصاد الإسلامي عملية ضرورية، وذات أهمية بالغة، ويُنظر إليها على أنها حجر الزاوية في الإدارة.

ويمتاز نظام الرقابة في الاقتصاد الإسلامي بعدة ميزات نُجْملها في الآتي:

- أنها شرعية في المقام الأول.
- الرقابة في الاقتصاد الإسلامي إيجابية: فهي لا تقتصر على كشف الأخطاء فقط، بل تتعداها إلى تصحيحها، وتجنُّب وقوعها مستقبلاً.
- الرقابة اقتصادية: من حيث الوقت والكلفة.
- الرقابة الشرعية ذاتية وقائية: تمنع من وقوع المخالفات.
- الرقابة في الاقتصاد الإسلامي ذات كفاءة ناجحة وتمتاز بالوضوح والمرونة.

هذه هي أهم مزايا الرقابة في النظام الاقتصادي الإسلامي، وهي مزايا جعلت منها رقابة فعَّالة في المحافظة على المال العام من العبث والضياع.

مشروعية الرقابة في النظام الاقتصادي الإسلامي:

القاعدة الأولى: قاعدة الالتزام بمبدأ الشرعية الإسلامية: يُقصد بهذه القاعدة خضوع الدولة الإسلامية (حكاماً ومحكومين) للشريعة الإسلامية، وهو سبب وأساس كل رقابة تقوم في الدولة الإسلامية؛ فما من تنظيم للرقابة في هذه الدولة إلا ويستهدف حماية الشريعة الإسلامية وإعلاء شأنها، وتأكيد سيادتها وسيطرتها على مجتمع الدولة الإسلامية[1].

ونصوص القرآن التي تدعو للخضوع لتحكيم الشريعة الإسلامية كثيرة، منها: قوله - تعالى -: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾. [النساء: ١٠٥]

القاعدة الثانية: قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هي مقصد في جميع الولايات الإسلامية ومن بينها (ولاية الرقابة). قال - تعالى -: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

القاعدة الثالثة: أن المال العام مال الله: وفي ذلك يقول - عز وجل -: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، وقال كذلك: ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣]. وهذه الحقيقة إذا وَقَرت في النفوس، فإن من شأنها المحافظة على المال العام؛ سواء من قِبَل أمراء المسلمين، أو العاملين على المال العام، أو الرعية.

القاعدة الرابعة: قاعدة المسؤولية والمحاسبة: في قوله - تعالى -: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]. وفي قوله - تعالى -: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢]؛ فكل فرد مسؤول عن تصرفاته وأعماله، وأقواله أمام الله.

القاعدة الخامسة: قاعدة الترشيد؛ لتحقيق المصلحة العامة وذلك في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥]. وقوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقد دلَّ على ذلك أحاديث كثيرة لرسول الله ﷺ. ونظراً لكثرتها سنكتفي بحديث واحد فقط؛ وهو ما روته خولة الأنصارية - رضي الله عنها - حيث قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن رجالاً يتخوَّصون (يترفون) في مال الله بغير الحق، فلهم النار يوم القيامة»[2].

ثم إن تطبيقات الصحابة على مشروعية الرقابة أكثر من أن تحصى؛ ففترتهم كانت فترة بناءٍ وتطبيقٍ لمفاهيم الرقابة التي جاءت في القرآن الكريم والسُّنة.

وبعد استقراء الأدلة الشرعية وتطبيقاتها، نخلص إلى أن الرقابة على المال العام في الاقتصاد الإسلامي فريضة شرعية وضرورة بشرية.

الرقابة على الإيرادات العامة في النظام الاقتصادي الإسلامي:

أولاً: تعريف الإيرادات العامة:

إن أهم تعريف لها هو: «كل ما تحصل عليه الدولة من موارد؛ سواء أكانت نقدية أم عينية، منتظمة أو غير منتظمة»[3]. وهذه الأموال تتمثل في الفيء والخُمس

(١) محمد الطاهر، الرقابة الإدارية في النظام الإداري الإسلامي، ص٢٦٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: فرض الخُمْس، رقم ٣١١٨ والفتح، ج٦، ص٢١٧.

(٣) منذر قحف، الإيرادات العامة في صدر الدولة الإسلامية، ص٢.

والصدقة، ومنهم من أضاف (الغنيمة)[1].

ثانياً: الرقابة على مورد الزكاة كنوع من الإيرادات العامة:

نأخذ على سبيل المثال الرقابة على مورد الزكاة كنوع من هذه الإيرادات؛ ذلك أنها مورد هام لبيت مال المسلمين فرضها الله – سبحانه وتعالى – بقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

ومن صور الرقابة على الزكاة: اختيار الأكفياء من العاملين عليها، والتزام الأدب والرفق مع دافعي الزكاة، كما ينبغي أن تكون جباية الزكاة وَفْقَ ما شرع الله، سبحانه وتعالى. وكذلك اتخاذ الإجراءات الصارمة بحق الممتنعين عن الزكاة والمتهربين منها.

الرقابة على الإنفاق العام في الاقتصاد الإسلامي:

حدد الإسلام الأصول العامة في الإنفاق العام، ونص على بعض الفروع تاركاً بعضها الآخر لما يستجد في أي زمان أو مكان، فتُلحق الفروع بالأصول[2].

تعريف النفقة العامة:

هي: «مبلغ من المال دخل في الذمة للدولة، يقوم الإمام أو مَنْ ينوب عنه باستخدامه في إشباع حاجة عامة، وَفْقاً لمعايير الشريعة الإسلامية[3].

صور الرقابة على الإنفاق العام:

١ – الرقابة على مشروعية الإنفاق العام: فلا يجوز توجيه الإنفاق لتمويل المشروعات المحرَّمة.

٢ – مراقبة الأولويات الإسلامية في الإنفاق العام: وهذا ما يؤكده ابن رجب الحنبلي بقوله: إن الفيء فيه البداءة بمهمات المسلمين العامة (أي: الضروريات) ثم ذوي الحاجات من المسلمين (أي: الحاجيات) ثم يقسَّم الباقي بين عمومهم (أي: الكماليات)[4].

فالإنفاق العام على إطعام الفقراء وغذاء المساكين له أولوية على الإنفاق على كسوة الكعبة[5].

٣ – مراقبة الاعتدال والترشيد في النفقات: ومقتضى ذلك ألاَّ توجَّه النفقات للوفاء بالأغراض الاستهلاكية، بل ينبغي أن يُخصَّص جزء منها للأغراض الإنتاجية والاستثمارية. وهذا ما يؤدي إلى المحافظة على المال العام وحُسْن تدبيره ورعايته، وتجنُّب هَدْره وإضاعته وتبذيره وإسرافه فيما لا يحقق المصلحة العامة للمجتمع.

أنواع الرقابة:

الرقابة على المال العام في الاقتصاد الإسلامي تمتاز بشمولها وتكاملها. ومن ثَمَّ؛ فإن الحديث عن أنواع الرقابة لا يعني: استقلالية كل نوع من الأنواع، بل إن تعدُّد مسمياتها وأنواعها جاء نتيجة للزاوية التي يُنظَر منها.

وتنقسم مهام الرقابة في الاقتصاد الإسلامي من حيث وقت ممارستها بالنسبة لمراحل تنفيذ العمليات الخاضعة للرقابة إلى ثلاثة أنواع، ويُعتبَر تنفيذ المراحل الرقابية الثلاث عملية متكاملة للمحافظة على المال العام، وفيما يلي نوضِّح أنواع هذه المراحل من خلال المطالب التالية:

الرقابة المسبقة:

وهي رقابة وقائية؛ لأنها تمكِّن من تدارك الأخطاء قبل وقوعها، وتُعِين على تهيئة الظروف والبيئة الصالحة؛ ليؤدي المال العام دوره في التنمية والإنتاج.

ومن وسائل تحقيق هذه الرقابة في الاقتصاد ما يلي:

أولاً: اختيار العمال الأكفياء:

وهو من أهم وسائل الرقابة الفعَّالة؛ لذا كان اهتمام الإسلام بهذا الأمر مبكراً وكبيراً؛ فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: «من وَلِيَ من أمر المسلمين شيئاً فولَّى عليهم رجلاً، وهو يجد فيهم من هو أصلح منه للمسلمين؛ فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين»[6].

ثانياً: تدريب العمال:

وذلك لاكتساب المعارف والخبرات التي يحتاجون إليها في مجال الرقابة؛ فقد كان الرسول ﷺ يقوم بتدريب من يستعملهم على مصالح المسلمين ويزوِّدهم بالنصائح والإرشادات[7]، وفي هذا يروى عن علي – رضي الله عنه – أنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً. كما كان الخلفاء من المسلمين يرسلون عمالهم بتوجيهاتهم ويأمرونهم بالعدل والرفق بالرعية[8].

الرقابة أثناء التنفيذ:

تعد الرقابة أثناء التنفيذ من وسائل الرقابة الفعالة على المال العام؛ لذا لاقت اهتماماً كبيراً من ولاة الأمور، وتمثل

(١) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص٣٠.
(٢) صلاح الدين عبد الحكيم، سلطة ولي الأمر في فرض وظائف مالية، ص١١٨.
(٣) عبد الوهاب خلاَّف، السياسة الشرعية، ص١٢٩.
(٤) ابن رجب، الاستخراج في أحكام الخراج، ص٨٩، ٩٠.
(٥) قطب إبراهيم، السياسة لعمر بن عبد العزيز، ص١٣٧.
(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٤/٩٣.
(٧) محمد سلام مدكور، القضاء في الإسلام، ص٢٢.
(٨) أحمد أبو سنة، الإدارة في الإسلام، ص٨٩.

ذلك من خلال الآتي:

١- متابعة العمال والولاة في مواقع أعمالهم:

لقد كانت أعمـــال العمال والولاة محـــل متابعة حثيثة، خاصة في المجـــال المالي؛ حيث تجـــري مراقبة الإيرادات والنفقـــات، والحيلولة دون تعدي العمال على المال العام، من جهة الإسراف أو الاختلاس أو غيرها.

٢- رُسُل تقصِّي الحقائق:

كان الولاة يرســـلون رسلاً لتقصي الحقائق والسؤال عن ســـيرة العمال وأحوالهم مع الرعية، والتحقيق في ما يصل إلى الخليفة من تظلمات وتَعَدٍّ على الأموال العامة. وقد أقام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جهازاً لهذا الغرض على رأسه محمد بن مسلمة.

٣- الزيارات التفتيشية على العمال:

وهي: الانتقال إلـــى مواقع العمل للوقوف على ســـيرة العمال مع الرعية ورؤية مجريات الأمور والحالة الاقتصادية وغيرها عن كثب[١].

الرقابة اللاحقة:

وهي: الرقابة التي تقع على العمال بعد فراغهم من العمل والتأكد من أن الإيرادات والنفقات جرى تحصيلها وإنفاقها وَفْقاً للقواعد الشـــرعية، وفحص المعاملات الحسابية، وفي الفترة اللاحقة لإتمام عملية التنفيذ، وكشف المخالفات التي ارتكبها العمال في جباية المال العام وإنفاقه، ومحاســـباتهم باتخاذ الإجراءات المناسبة بحقهم. وتطبيقات هذا النوع من الرقابة في الاقتصاد الإسلامي كثيرة منها:

رقابة الرسول ﷺ لابن اللتبية عامله على اليمن، شاهد واضح على أن العامل بعد انتهائه من العمل لا بد أن يخضع إلى رقابة ومتابعة[٢].

الرقابة الذاتية:

لأهمية الرقابة الذاتية في الاقتصاد الإســـلامي، فإننا سنتناولها خلال الجوانب التالية:

أولاً: تعريف الرقابة الذاتية:

الرقابة الذاتية: هي استشـــعار المســـلم رقابة الله - تعالى - علـــى نفســـه وما يصدر عنها من الأقـــوال والأفعال[٣]. وهي من أســـمى أنواع الرقابة الفعالة، وأعتبرها صِمَام أمان لأي انحـــراف مالي، وهي غير موجودة فـــي الاقتصاد الوضعي الذي ينكر الوازع الديني في توجيه النشاط الاقتصادي.

ثانياً: وسائل تحقيق الرقابة الذاتية:

إن الوسائل التي سلكها الإسلام لتحقيق الرقابة الذاتية كثيـــرة ومتنوعة، منهـــا: العبادات، ومبدأ الاســـتخلاف في الأرض، وخُلُق الأمانة، ومبدأ الثواب والعقاب.

ثالثاً: تطبيقات على الرقابة الذاتية:

كان لهذا النـــوع من الرقابة تطبيقـــات عملية في حياة الرســـول ﷺ والســـلف الصالح، ترقى إلى مستوى عالٍ من يقظـــة الضمير أمام أموال المســـلمين، ومنها ما يرويه عدي ابن عميرة الكندي عن الرســـول ﷺ قوله: «من اســـتخلفناه علـــى عمل فكَتَمَنا مخيطاً فما فوقـــه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة[٤].

يغرس هذا الحديث الشريف في نفس العامل استشعار رقابة الله - تعالى - في أموال الرعية، ويحذِّر المتعدي عليها بالعقاب يوم القيامة.

الرقابة الخارجية على المال العام في الاقتصاد الإسلامي:

سُـــمِيَت بالرقابـــة الخارجية؛ لكونها تقـــع خارج نطاق الشخص ذاته وتشمل: الرقابةَ الشـــعبية ممثلة في الأفراد وأهل الحل والعقد، ومن تطبيقاتها: الرقابة الشـــعبية التي يمارســـها الأفراد، كإنكار أبـــي ذر على معاوية عامل عثمان على الشام حين بنى الخضراء، فقال له أبو ذر: «إن كنت إنما بنيتها من مال المسلمين فهي خيانة، وإن كنت إنما بنيتها من مالك فإنما هو الإسراف»[٥].

دَوْر الخليفة في الرقابة في الاقتصاد الإسلامي:

كان للخليفـــة دور فعَّال في المحافظة علـــى المال العام إيراداً وإنفاقاً، بل اعتُبر من صميم اختصاصه، لا ســـيما أن المـــال العام هو عصب الحياة وقِوامها، وإهمال الرقابة يؤدي إلى انحلال الدولة وانهيارها[٦].

وللخليفة وســـائل في الرقابة، ذكرها الماوردي واعتبرها من واجبـــات الخليفة، وهي: ردُّ المظالـــم، وتقدير العطايا، وجبايـــة الفـــيء والصدقات، واســـتكفاء الأمنـــاء، وتقليد النصحاء، ومباشرة تصفُّح الأمور بنفسه.

أما عن أســـاليب الخلفاء في الرقابة، فهي وَضْع الرجل

(١) المرجع السابق، ص٩٣.
(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ٤/ ٢٢٠.
(٣) محمد الطاهر، الرقابة الإدارية، ص٢٨٥.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، باب الإمارة، ١٢/ ٢٢٢.
(٥) نعيم نصير، المنظور الإسلامي للرقابة، ص١٧١.
(٦) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٣.

المناسب في المكان المناسب وإصدار التعليمات والأوامر للولاة والعمال وتقصِّي الحقائق.

بيت المال ودَوْره في الرقابة:

بيت المال من المصطلحات التي تعدُّ جزءاً من نظام المجتمع الإسلامي، وهو مصطلح إسلامي لم تعرفه الحياة الجاهلية لعدم وجود دولة يقوم عليه الحاكم، بحيث توضع في يده أموال عامة ينفق منها في شؤون المجتمع[١].

ويُعتبَر بيت المال المكانَ الذي توضع فيه الأموال التي هي من واردات الدولة وتُصرَف منه؛ مع ما يتطلبه ذلك من جهاز إداري لضبط الدخل والخرج[٢].

الحسبة ودورها في الرقابة في الاقتصاد الإسلامي:

تعد الرقابة إحدى المهام الأساسية في نظام الحسبة، وهي: أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فِعْله[٣]. ولها دور في الرقابة على المال العام، وذلك من خلال متابعة تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية في المحافظة على المال العام (جباية وحفظاً وإنفاقاً)، ومراقبة العمال والولاة.

ولاية المظالم ودورها في الرقابة:

لقد حَرص الإسلام على رفع الظلم ونصرة المظلومين، والشواهد على ذلك كثيرة، مثل قوله - تعالى -: ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]. وولاية المظالم هدفها الأساسي رفع الظلم أياً كان نوعه؛ لقوله ﷺ: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة...» الحديث[٤].

ولقد عرَّف الماوردي ولاية المظالم بأنها: «قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة، وزَجْر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة»[٥].

ولها دور هام في الرقابة؛ فهي تنظر في جوار العمال فيما يحصلونه من أموال، والنظر في تعدي الولاة على الرعية وتطبيق قاعدة: من أين لك هذا؟ والنظر في المرتَّبات والأجور، ورَدِّ الأموال المغصوبة.

الخلاصة:

١ - إن النظام الاقتصادي الإسلامي قد عرَّف الرقابة منذ نشأته الأولى وأحاط بكلياتها ومظاهرها في شمول وفاعلية، لم تصل إليها أنظمة الرقابة الوضعية القديمة

إن فاعلية الرقابة في النظام الاقتصادي الإسلامي في تحقيق النتائج والأهداف المنشودة للمحافظة على المال العام، تتوقف على طبيعة القيم والأخلاقيات السائدة وقوة الوازع الديني

أو المعاصرة، وهذا بيت الرقابة الذاتية المبنية على الوازع الديني، والتي تحكم تصرفات أفراد المجتمع المسلم.

٢ - إن الرقابة في النظام الاقتصادي الإسلامي تتميز بالمرونة والقدرة على الاستجابة السريعة والملائمة لكل ما قد يستجد من متغيرات على المال العام (إيراداً وإنفاقاً) في كل عصر ومكان.

٣ - لقد أعطى الإسلام الرقابة الذاتية الأولوية الأولى، وهي تشكِّل رقابة وقائية مانعة ضد الانحراف المالي، وهي ميزة خاصة بالاقتصاد الإسلامي دون الوضعي.

٤ - إن فاعلية الرقابة في النظام الاقتصادي الإسلامي في تحقيق النتائج والأهداف المنشودة للمحافظة على المال العام، تتوقف على طبيعة القيم والأخلاقيات السائدة وقوة الوازع الديني.

٥ - اهتم النظام الاقتصادي الإسلامي بالمال العام ودعا إلى رقابته (إيراداً وإنفاقاً وحفظاً).

٦ - الرقابة في النظام الاقتصادي الإسلامي، هي: عملية تقوم بها جهات معينة لمراقبة المال العام (إيراداً وإنفاقاً) وَفْقاً لمعايير الشريعة الإسلامية.

٧ - أوجب الإسلام تولية الكفء الصالح الجدير بوظيفة المراقب، ووضع شروطاً معيَّنة فيمن يشغلها على نحو تكفَّل بالمحافظة على المال العام والقيام بمهمة الرقابة على أحسن وجه.

٨ - الرقابة على المال العام في الاقتصاد الإسلامي تمتاز بشمولها وتكاملها، ومن ثَمَّ تنوعت إلى رقابة سابقة، وأثناء التنفيذ، ولاحقة، والحديث عنها لا يعني استقلالية كل نوع من الأنواع، بل إن تعدُّد مسمياتها وأنواعها جاء نتيجة للزاوية التي يُنظَر منها.

---

(١) عبد الرحمن الخطيب، السياسة في الإسلام، ص٤٨.
(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٣.
(٣) ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، ص١١.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم ٢٥٧٨، ٤/١٥٩٦.
(٥) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٧٧.

AFRICA TV
قناة إفريقيا الفضائية

قناة إفريقيا الفضائية

(فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً ، خيرٌ لك من أن يكون لك حمر النعم)

قناة إفريقيا الفضائية: إعلامية ثقافية، إسلامية الانتماء عالمية التوجه، تقدم إعلاماً إسلامياً هادفاً و متميزاً، برؤية عصرية وأفكار إبداعية وبرامج إبتكارية، وفقاً للمعايير الاحترافية والمبادئ المهنية في إطار مؤسسي.

وإذ تسعى قناة إفريقيا لنشر الوعي العام بالإسلام وقضاياه فإنها تطمح إلى التأثير الإيجابي في المجتمع الأفريقي و التعريف بمحاسن الإسلام وسماحته والمحافظة على الأخلاق الإسلامية و تلبية حاجة المشاهد من خلال مجموعة متنوعة من البرامج الجادة التي تمس حياته و تتناول اهتماماته المختلفة و تُشبع رغباته الإنسانية المتعددة.

إحداثيات البث

ARABSAT BADR-6
Freq. : 11727 MHz
Pol. : H
SR : 27500
FEC : 3/4

بنك أم درمان الوطني ـ فرع السجانة
بالدولار الأمريكي :حساب رقم 12630
بالجنيه السوداني :حساب رقم 12629
شركة النبلاء للاستثمار المحدودة

+249 120 876 555
+249 912 734 524
www.africatv.sd
info@africatv.sd

اللغة العربية
لغةُ كلِّ العصور

إبراهيم علي
tarekqtp@gmail.com

اللغة ما هي إلا أصوات يعبِّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم؛ فاللغة هي الإنسان، وأقرب تعريف دارج للإنسان أنه حيوان ناطق؛ إذن فاللغة خير دليل على القدرة العقلية المفكِّرة في حقائق الأشياء التي اختص الله - سبحانه - بها الإنسان دون بقية المخلوقات الأخرى.

ولغتنا العربية إنما كانت إحدى اللهجات العربية التي ظهرت في جزيرة العرب، ولكن ما الذي أوصلها إلى هذا التسامي العظيم الذي عزَّ وجوده في بقية لغات الأرض؟ إنها حقيقة لا ينكرها أحد مهما لجَّ في عداوته للجنس العربي، إنه القرآن الكريم الذي منح العربَ الوجودَ والذكرَ والتمجيدَ الأبدي، وأكسبهم فنون العلم والثقافة على اختلاف دروبها.

إننا أمام إعجازٍ هزَّ أركان الوجود البشري بلغته، وفصاحته، وبلاغته، وتركيبه، وأساليبه؛ فلو قُدِّر للحياة العربية وموروثاتها اللغوية أن تعيش بعيدة عن القرآن الكريم لما تجاوزت الفترةَ الجاهليةَ إلا بمقدار يسير، وَلَبَقي العرب أمَّة مهمَلة في قديم الزمن أو في جانب من جوانب التاريخ.

ولقد كان القرآن العظيم بتعاليمه ومفاهيمه ولغته ونظامه وكلِّ ما حوته يد القدرة المعجزة - بحق - ثورةً عظيمةً حيَّرت العلماءَ وأهلَ الفكر والمتخصصين في كل المجالات. خذ - مثلاً - قوله - تعالى -: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١ - ٢]، تُرى ما البلاغة في تلك الآيات ذات المقاطع القصيرة؟ وهل كان العرب يجهلون تلك الألفاظ؟ بالطبع لا؛ ولكن الجديد هنا أن القرآن الكريم قد منح تلك الألفاظ دلالات جديدة، مبهرة؛ ولا يستطيع العربي أن يُحْدِث ذلك التواؤم بين اللفظة المشهورة والمعنى الجديد، بل الفريد؛ فالمعاني متجددة بتجدد العصور والأزمان، ولقد قالوا قديماً: إن المعاني ملقاة في الطريق يأخذها من يشاء. وإنما يتفاضل أهل اللغة في الألفاظ، لكن في هذا الموضوع أعطانا القرآن فهماً جديداً عَكَسَ لنا ذلك التصور القديم[1].

إن الألفاظ في ظاهرها مستأنسة، لكن في دلالاتها القوية المتنوعة تمنح المعاني العظيمة عَظَمَة وأصالة وتجديداً، بل عطاءً لا ينفد. ولك أن تقف أمام النص القرآني وتطلق لعقلك العِنان كي يفكر ويفهم ويدرك ويربط الألفاظ بمعانيها ومقصودها، وتتعاقب أجيال المفسرين من زمن إلى زمن وكل واحد منهم يكشف سراً من أسرار المعجزة الإلهية في القرآن الكريم باستجلاءٍ نقيٍّ، أو توضيحٍ لمعنى غامضٍ لم يطرقه من سبقوه.

فالمعاني القرآنية غير متناهية وأفهامنا الإنسانية مقصورة، محدودة؛ ولذلك فإن عطاء القرآن متجدد في كل زمان ومكان، ومن هنا نجد أن القرآن العظيم قد أعطى اللغة العربية الامتداد المتتابع عبر الزمان. والتطويرُ ما هو إلا إعادة صياغة تراكيب جديدة من أصول ثابتة؛ انظر معي إلى

(١) العربية لغة العلوم والتقنية للدكتور عبد الصبور شاهين.

كلمة الرأســـمالية[1] التي هي تركيب جديد لأصل ثابت في القرآن هو (رأس مال)، وغير ذلك من مصطلحات تواكب روح العصر، وكذلك وجود ظاهرة النحت كما هو واضح في قولنا: (بَسمَلَ)؛ أي: بســـم الله الرحمن الرحيم[2]. والقرآن الكريم وهـــب اللغة العربية المرونة التامة؛ للتعامل مع كل عصر وَفْقَ ثقافته ومذاهبه وعِلْمِه وتطوُّره ومعطياته المختلفة؛ فلم تَقِفْ وقفـــة جامدة (أو قل: عاجزة) أمـــام الإدخلات المصطلحية في شـــتى العلوم الإنسانية: من كيمياء، وفيزياء، وفَلَك حتى صارت لغتنا بحراً كما قال حافظ إبراهيم:

أنا البحرُ في أحشائِهِ الـدرُّ كامنٌ؛
فهل ساءلوا الغواصَ عن صدفاتي؟

فلغتنا العربية في عصور الحضارة الزاهرة في القرنين الثاني والثالث الهجريين قد استوعبت المترجَمَات والكتابات الوافدة ولمعت أســـماء علمية: في الطب والهندسة والكيمياء والرياضيات والفلك، أمثال خالد بن يزيد بن معاوية، والرازي، وابن سينا في كتابه القانون، وابن الهيثم في علم البصريات وغيرُ أولئك كثير، وأحدثوا نوعـــاً من المواءمة الرحيمة بين لغتنا والعلوم؛ وبذلك واكبت اللغة مستجدات العصور المختلفة على مرِّ السنين حتى الآن وأثبتت صلاحيتَها المتجدِّدة المرنة، ويقـــول بروكلمان[3]: إنه بفضل القـــرآن بلغت اللغة العربية مدىً لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات العالم.

وأَصِلُ في النهاية إلى حقيقةٍ ووصيةٍ:

أما الحقيقة فهي: مما لا شـــك فيـــه أن العربية أفضل اللغات على الإطـــلاق؛ للكرامات التـــي حازتها؛ لذلك فإن الحرص على تعلُّمها من شـــرائع ديننـــا الحنيف؛ فهي أداةٌ للعلم ومفتاح للفهم، وتُعَدُّ من أســـباب إصلاح الحياة؛ إذ هي كالينبـــوع للماء والزند للنار، وحِرْصُنا على فهمها إنما يرجع للرغبة الأكيدة في قوة اليقين لمعرفة الإعجاز القرآني وزيادة البصيرة في إثبات النبوة.

وأما الوصية: فحبذا لو وُجِدَ معجم لغوي صغير بجانب المصحف في كل بيت يساعدنا على مزيدٍ من الفهم والمعرفة لمعاني القـــرآن العظيم حتى نكونَ أكثر وعيـــاً وقرباً وعملاً بتعاليم الشريعة السمحاء.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي.
(٣) بروكلمان مستشرق ألماني.

ثقافة المقاومة عند المحدِّث
الدكتور نزار ريان (رحمه الله)

يوسف علي فرحات(*)
Yuosif_farahat@hotmail.com

يُعَدُّ الدكتور نزار ريان من كبار العلماء في فلسطين؛ فهو محدِّث فلسطين؛ حيث حصل على درجة الأستاذية في الحديث، واشتغل في هذا العلم على مدار ثلاثة عقود، وله أبحاث كثيرة أكثرها لم يُنشَر كان آخرها شَرحُهُ لصحيح مسلم الذي أسماه: (إمداد المنعم شرح صحيح مسلم)؛ حيث فَرَغَ من شرح المقدمة قبل استشهاده، وجاء الشرح في خمسة مجلدات، كما قام بشرح كتاب الورع للإمام أحمد قبيل استشهاده. وهكذا أمضى الشيخ حياته في خدمة السُّنة النبوية ومقاومة الاحتلال الصهيوني، إلى أن لقي الله شهيداً في عصر يوم الخميس الرابع من محرم لعام ١٤٣٠هـ، الموافق للأول من يناير لعام ٢٠٠٩م، خامس أيام الحرب على غزة.

إن الحديث عن الجهاد والمقاومة حديث ذو شجون، ولا سيما إذا كان عن العلماء المجاهدين، أمثال الدكتور المجاهد الشهيد نزار عبد القادر ريان، الذي ذكَّرنا بالعلماء المجاهدين الأوائل أمثال عبد الله بن المبارك، والعز بن عبد السلام، وشيخ الإسلام ابن تيمية.

لقد قدَّمت شهادة الشيخ ريان نموذجاً للقائد الذي يتمسك بأرضه ويبقى بين الشعب والمجاهدين، ولا يفر من ساحة المعركة، ولا يترك جنودَه ويفرُّ بأموال الشعب المسروقة... القائد الذي يقاتِل ويجوع ويحاصَر مع شعبه، ويقاتل معه، ويُقتَل أبناؤه مع أبنائهم، ولا تجده ممن يهرب.

إننا - حقيقة - أمام شخصيةٍ عظيمةٍ، ونفسٍ كبيرةٍ أبيَّةٍ وعالِم كبيرٍ عزَّ مَثيلُه في هذا الزمان، ولعل الله قدَّر أن يستشهد الشيخ بهذه الطريق حتى ينشط الصالحون، وخصوصاً العلماء.

العوامل التي أثَّرت في ثقافة المقاومة عند الشيخ نزار ريان، رحمه الله:

أولاً: ثقافته الإسلامية:

هذه الثقافة التي تدعو للثورة على الطغيان والظالمين، وتحرِّض على ردِّ العدوان، كما قال - سبحانه وتعالى -: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩ - ٤٠]، وقوله - تعالى -: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]، فضلاً عن أنها تَعُدُّ الذي يُقتَل

(*) مدير الإدارة العامة للوعظ والإرشاد في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية (غزة).

وهو يدافع عن عِرضه، أو أرض المسلمين، أو ماله شهيداً؛ فهذا من شأنه أن يرغِّب في المقاومة والجهاد. قال الله - تعالى -: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

ثانياً: التطبيق العملي لما كُتِبَ في رسالة الماجستير والدكتوراه:

كتب - رحمه الله - رسالته لنيل درجة الماجستير بعنوان: «أحاديث الشهادة والشهيد» وقد قام بجمع الأحاديث المتعلقة بفضل الشهادة وأحكامها من جميع كتب السُّنة، وكان يحدِّث إخوانه قائلاً: «لا يليق أن أكتب في هذا الموضوع ثم لا ألقى ربي شهيداً». أما رسالة الدكتوراه فكانت بعنوان: «مستقبل الإسلام»، وقد كتب فيها فصلاً كاملاً عن الجهاد، كوسيلة لا يمكن أن تقوم للإسلام قائمة إلا به.

ثالثاً: التأثُّر بشخصية عبد الله بن المبارك:

لقد كان الشيخ - رحمه الله - متأثراً بشخصية ابن المبارك بصورة كبيرة، حتى إنه - كما حدثني أكثر من تلميذ له - لم يدعْ كتاباً ترجم لابن المبارك إلا قرأه، وكان يحرص - رحمه الله - على إخراج كتب التراث التي تتحدث عن الجهاد مثل كتاب ابن المبارك في الجهاد، وكان يحثُّ على تحقيقها.

رابعاً: تأثُّره بالدكتور عبد الله عزام، رحمه الله:

فقد حدَّث - رحمه الله - أنه صَحِبَ الدكتور عبد الله عزام والتقاه في بيته مرات، وكان دائماً يوصي طلابَه بقراءة كتاب (العقيدة الإسلامية وأثرها في بناء الجيل) لعبد الله عزام.

خامساً: تأثُّره بمرارة التهجير من الديار:

يخبر - رحمه الله - عمَّا حدث لجده وعمِّه، فيقول: حدثني أبي عبد القادر بن محمد بن عبد اللطيف ريان دفين مكة المكرمة - رحمةُ الله تعالى عليه - قال: إن جدي محمد بن عبد اللطيف كان قد دخل إلى قريتنا (نِعلِيا) متسللاً بعد أن سقطت بيد اليهود سنة ١٣٦٧هـ، فرأى وهو عائد من قريتنا رجلاً قد قتلته يهود وألقت جثته في العراء، فقال جدي لعمي أحمد - رحمه الله -: والله يا ولدي لن نترك هذا الرجل دون أن نواريَه التراب! فقام جدي يحفر له حفرته بيديه، حتى أتمَّها، فلمَّا أراد أن ينقله في الحفرة انفجر فيه وفي ولده أحمد قنبلة كانت مخفية أسفل الجثة، فَقُتِل جدي وعمِّي، رحمهما الله. والشاهد أنهما لم يكونا فيما نحسب من الشهداء وحسب، بل كانا شهيدين قد قُبِضا على عمل صالح، إن شاء الله تعالى، فأكلت جثةَ جدي الضواري والسباع، ولم يجد من يواريه، وتمكَّنت جدتي - رحمها الله تعالى - من نَقْلِ ولدها أحمد إلى غزة، فدفنته بها[1].

ويبدو أن الشيخ - رحمه الله - كان يكثر من مجالسة جيل الهجرة، الذي تجرع مرارتها وقسوتها؛ حيث حفظ الشيخ الشيء الكثير عن الأجداد والجدات.

معالم ثقافة المقاومة عند الشيخ نزار ريان، رحمه الله:

أولاً: ريان ونظرية الدروع البشرية:

قدَّم الريان نموذجاً للقائد المبادِر الذي لا يفر من أرض المعركة، ولا يتنازل؛ ففي انتفاضة الأقصى عندما كان الصهاينة يتصلون على بيوت المقاومين الفلسطينيين، ويعطونهم فترة لِيُخْلُوها حتى يجري قصفها، فما كان من الريان، إلاَّ أن بادر وقاد الجماهير إلى تلك البيوت؛ ليشكِّل منهم دروعاً بشرية وتوقفت بعدها هذه السياسة.

ثانياً: لا فرق بين السياسي والعسكري في حالة النفير العام:

في حديثٍ صحفيٍّ معه سُئِل - رحمه الله - عن سرِّ ارتدائه الزي العسكري، على الرغم من أنه قائد سياسي، فقال: «إنه حين تُغْتَصَب الأرض وتُقتَحم البلد، فهناك حكم شرعي ينطبق على السياسي والعسكري، بل على الرجل والمرأة، وهو: وجوب دَفْعِ العدو عن الأرض بالنفس؛ ولذلك لا يمكن إلا أن أخرج على الهيئة التي تذكرون؛ لأدفع بنفسي عن بلدنا وأهلنا، ولأرفع معنويات المجاهدين والسكان.

ثالثاً: عبادة المجاهدين:

سئل - رحمه الله - ذات مرة عن الجهاد والعبادة، وعن الروح الإيمانية التي يتمتع بها المجاهدون، وعن عبادتهم أثناء تصدِّيهم للاحتلال، فقال: «إن العودة إلى الله في فترات الخوف واضحة، وعبادة المجاهدين التي نوجِّههم إليها الذِّكر والدعاء. أما صلاة النوافل والقيام فلا أنصحهم بها؛ خشية أن يستغل العدو الحركة فيبادر بالقنص، لكنَّ الإيمانيات

(١) شرح كتاب الورع، للشيخ نزار ريان: ١/٢٣٦.

قوية، والدعاء وسماع القرآن يملأ الأجواء، ويمكِّن المجاهدين من مواصلة الجهاد بروح عالية».

رابعاً: الشيخ ريان الجنديُّ المطيع:

على الرغم من أنه - رحمه الله - طلب من قيادته أن يُعفُوه من العمل التنظيمي ليتفرغ للعلم الشرعي - وهو العالم المحدث - لكنه في الوقت نفسه قال لهم إنه يتشرف أن يبقى جندياً هو وعائلته في جيش القسام؛ لذا كان - رحمه الله - كلما كان هناك نشاط لحماس في شمال القطاع تجده في مقدمتها، كما كان يتقدم الصفوف في الرباط على الثغور؛ فتجده يحمل قاذفات خارقةً للدروع يقصف بها الدبابات في الاشتباكات الميدانية مع الاحتلال، ويحمل رشاشه يقاتل مع المجاهدين في الميدان، كما كان يمثِّل الجنديَّ الملتزمَ؛ حيث يحرص على حضور كافة الدورات العسكرية للقسام، ويكون أول المطيعين لمدربين هم في سنِّ أولاده في أكثر التدريبات قسوة.

خامساً: غَرْسُه في قلوب الأجيال حبَّ الأوطان والدفاع عنها:

كان - رحمه الله - يغرس في طلابه حبَّ الأرض الفلسطينية والتعلُّق بها؛ فكان يحدِّث - رحمه الله - فيقول: «كنا نأخذ طلاب الجامعة الإسلامية وطالباتها في الثمانينيات رحلات إلى داخل الخط الأخضر؛ حيث لم تكن معالم القرى الفلسطينية قد تغيرت كثيراً فإذا مررنا على قرية مثل (يبنا) أقول: من منكم من قرية يبنا؟ فنقول للطلاب خذوا من تربها ونباتها إلى غزة.

سادساً: وجوب التدرب على السلاح:

كان الشيخ - رحمه الله - يرى وجوب التدرب على السلاح وخاصة لأهل فلسطين، ولا يرى عذراً لأحد في تركه، كما كان يدعو الجميع للرباط، وكان يعطي الشباب الذخيرة للتدريب على القنص، وكان لا يعتبر أن هناك إسرافاً في إطلاق الرصاص في حال التدريب، في حين كان يفتي بأن إطلاق النار في الجنائز إسراف لا يجوز شرعاً، وقد حدثني أخوه عبد اللطيف أنه في حرب الفرقان رأى أحد المجاهدين يطلق النار في إحدى الجنائز، فصادر الشيخ بندقيته، ثم ردَّها إليه قبل استشهاده بساعة.

وكان الشيخ أحياناً يدرب الشباب على السلاح بنفسه وخاصةً العلماء منهم. وقد حدثني أخوه عبد الطيف، فقال: اتصل بي الشيخ في إحدى المرات بعد صلاة العصر وطلب مني أن أُحضِر بندقيتين، وأن آتيه عند جامعة فلسطين في منطقة الزهراء وهي منطقة رمال تصلح للرماية والقنص، فوجدت هناك الدكتور نزار ريان ومعه أحد علماء غزة وولداه. يقول عبد اللطيف فأحضرت ثلاثة أنواع من السلاح كلاشنكوف، ومسدس، وm١٦. وبدأ الشيخ يدربهم.

سابعاً: الشيخ يدفع أولاده للجهاد:

كان - رحمه الله - يدفع أولاده للمقاومة والجهاد فيعطيهم أجرة الذهاب، فإذا سألوا عن أجرة العودة والإياب قال لهم: أنا لا أريد منكم أن ترجعوا.

ويومَ استشهادِ ولده إبراهيم كان على علم بأمور تجهيزه وتدريبه، وكان الشيخ يتابع ذلك أولاً بأول. وكان هدف إبراهيم في هذه العملية مغتصبة (إيلي سناي)، وهي تقع شمال غرب بيت لاهيا، وقد شاركه في هذه العملية الشهيد عبد الله شعبان، وكان متزوجاً وله ولد.

وعندما نجح إبراهيم وصاحبه في الوصول إلى المغتصبة، بقي الشيخ على اتصال مع ولده حتى نجح في قطع سلك المغتصبة؛ حيث اتصل بوالده وأخبره بذلك، وبينما هو يكلِّمه على الجوال وإذا بشاب يهودي يمشي مع فتاة شابة، فأطلق إبراهيم الرصاص عليهما وقتلهما، والشيخ يسمع صوت الاشتباكات ويشجعه ويحرضه على القتال. وحدثني عبد اللطيف (أخو الشيخ)، أنه هو والشيخ كانا يتابعان العملية من دار أخته التي كانت تسكن في مكان مرتفع يُطِل على المغتصبة. يقول عبد اللطيف: وكان يقول لي: ادع للمجاهدين، كما أوصى زوجاته أثناء العملية بالصلاة والدعاء. واستُشهد إبراهيم وصاحبه في هذه العملية؛ وذلك بعد اشتباك مع قوات الاحتلال من صلاة المغرب حتى منتصف الليل، وعندما بلغ أمَّه الخبرُ أطلقت الزغاريد، ولا غرو في ذلك؛ فقد كانت تعلم بخبر العملية مسبقاً.

حدثني أحد الإخوة الثقات مرةً، فقال: ذهبت إلى بيت الشيخ في اليوم الأول لاستشهاد ولده إبراهيم لأداء واجب العزاء وبصحبتي مجموعة من الإخوة. قال: فاستقبلنا الشيخ وهو يضحك، فجلسنا معه لتناول طعام الغذاء، فقال لنا الشيخ: ما عملت عملاً أخلص لله من هذا العمل.

ثامناً: تعلُّق قلب الشيخ بالشهادة والتعرض لها:

كان قلب الشيخ معلَّقاً بالشهادة، ولا غرو في ذلك؛ فهو الذي كتب أطروحته في نيل رسالة الماجستير، في أحاديث الشهيد والشهادة، واطلع بذلك على الأحاديث التي ترغِّب، بالشهادة والتعرض لها؛ لذا كانت الشهادة أمنيةً في حياته،

فقد دعا الله في مقدمة رسالته المذكورة، فقال: «أســـأل الله – تعالى – أن يرزقني الشهادة مقبلاً غير مدبر، مخلصاً قانتاً، على ثرى فلسطين».

وكان – رحمه الله – يرى مشـــروعية التعرض للشهادة، وقد زاد تعلُّقه بالشهادة بعد استشهاد ولده إبراهيم بشكل كبير، وهو مـــا جعلـــه يحرص علـــى صحبة المجاهدين وإياوئهم، ومن هؤلاء الشهيد صلاح شحادة؛ حيث كان الشيخ – رحمه الله – قـــد وفَّر له مأوىً في الحارة التي يســـكنها، وقد بلغت العلاقـــة الجهادية بينهما إلى درجة أن أوصى صلاح شحادة بأن يغسله الدكتور نزار إذا هو استشهد.

وبلـــغ من حبِّه للشـــهادة أنه قرر أن يخـــرج في عملية استشـــهادية، وكان الشيخ قد تدرب جيداً للعملية، ولكن قبل تنفيذ العملية بيومين تســـربت معلومات للقيادة؛ أن الشيخ واحدٌ من أعضاء المجموعة الاستشـــهادية، فصدرت الأوامر من قيـــادة الحركة بوقفه، فتأثَّر الشـــيخ حتى إنه بكى بكاءً شديداً، وزاد تأثُّره بعد أن نفذت المجموعة العملية واستُشهِد ثلاثة من أفرادها، حتى إنه أقســـم لأخيه حمزة أنه سيخرج في عملية استشهادية رغم أنف الإخوة.

تاسعاً: حبه للمجاهدين ورعايته لهم:

كان – رحمه الله – يحب المجاهدين ويحرص على سماع أخبارهم وحل مشاكلهم وتوفير الراحة لهم؛ فقد وفَّر المأوى والمبيت لكثير منهم، مثل الشـــهيد صلاح شـــحادة، ويحيى الغول، حتى إن الشهيد يحيى الغول استشهد وهو في طريقه إليه كما حدثني بذلك أخوه عبد اللطيف.

وكان يـــزوِّد المجاهدين بالســـلاح، وربما يعتذر لبعضهم فـــي بعض الأحيان فيأتي أحدهم بأمِّه شـــافعةً. يقول عبد اللطيف: وكانت هذه نقطة ضعفٍ عند الشـــيخ، إذا جاءته أمٌّ تطلب سلاحاً لولدها فلا يتردد في إعطائها قطعة سلاح.

عاشراً: القول يهتف بالعمل؛ فإن أجابه وإلا ارتحل:

كان – رحمه الله – يحرص في جهاده على أن يكون العمل رائـــدَه، حتى يكون لكلامه أثر؛ لـــذا كان يرفض أن يصرح أي تصريـــح جهادي وهو في بيته، فـــكان لا يصرح إلا في ميدان

المعركة والجهـاد؛ ففـي معركة أيام الغضب، كان لا يتحدث لوسائل الإعلام إلا وهو في أرض المعركة وفي بزته العسكرية.

وحدثـــي أحد المجاهديـــن مرةً أن إذاعة الأقصى طلبت من الشـــيخ نزار – في معركة (أهل الجنة) عندما اجتاحت القوات الصهيونية بيت حانون – أن يوجِّه كلمة للمجاهدين عبر الإذاعة، فقال لهم: موعدنا الســـاعة الحادية والنصف ليلاً، فـــي أرض المعركة، وفـــي الموعد المحدد لبس جعبته وســـلاحه وصـــرَّح لهم من أرض المعركة.

حادي عشر: العالم المجاهد القدوة:

لقـــد كان شـــيخنا – رحمه الله – يـــرى أنه يجب على العلمـــاء أن يتقدموا الصفوف؛ ففي ذلك أبلغ الأثر؛ لذا كان – رحمـــه الله – يمثل العالِم المجاهـــد القدوة، ومن مظاهر هذه القدوة:

١ – كان يشـــارك المجاهدين في حفر الأنفاق حتى أثناء مرضه، وقد ســـنَّ لهم سنَّة التســـبيح والتكبير كوسيلة من وسائل الخطاب بين المجاهدين أثناء الحفر.

٢ – كان يشـــارك المجاهدين في المنـــاورات والتدريبات العسكرية.

٣ – كان يـــزور المرابطين في رمضـــان ويطوف على كل نقاط الرباط دون اســـتثناء، وكان أحياناً يشـــاركه في ذلك الدكتور عبد العزيز الرنتيســـي، وإبراهيم المقادمة، وصلاح شحادة، رحم الله الجميع.

٤ – شـــارك المجاهديـــن في إطلاق صواريخ القســـام وقذائف الهاون على مواقع العدو العسكرية، وطائراته.

٥ – في معركـــة أيام الغضب: كان يمثـــل قائداً روحياً للمجاهدين في المعركة، وكان يتقـــدم في النقاط المتقدمة؛ فكان يرابط أيام الغضب في منطقة خطيرة توصف بالأشباح في بيت (عبد ربه)، وعندما ترك المجاهدين أعطى كلَّ واحد مخزن رصاص.

ثاني عشر: كان يحب الرباط ويداوم عليه:

كان – رحمه الله – يحب الرباط ويداوم عليه، وقد جعل قبل استشهاده بعامٍ ليلةَ الجمعة من كل أسبوع للرباط وكان

يداوم على ذلك، حتى ولو كان مريضاً. وحدثني تلميذه بشير سليمان. قال: «سألته عن أجمل ليلة في حياته، فقال: ليلة رباط كنت فيها مع الدكتور عبد العزيز الرنتيسي والمقاومة، وصحبت فيها صحيح البخاري، وعندما وصلنا إلى نقطة الرباط وجدنا هناك المجاهدين فأخذنا نربِّت على ظهورهم، فقالوا لنا بلسان الواحد: ما الذي جاء بكم إلى هنا، كفيناكم المؤونة؟ فرددنا عليهم جئنا نجاهد معكم، وذهبنا إلى نقطة متقدمة مفتوحة، فنصحونا أن نرجع إلى الخلف وألا نغامر بأرواحنا، فقلت لهم: هي موتة واحدة وَلْتكن في سبيل الله وجلسنا نتسامر في صحيح البخاري بقراءة كتاب الجهاد نقرأ ونعلِّق حتى أسفر الصبح.

وكان إذا رأى أضواء مدينة عسقلان أثناء الرباط يُسَرُّ سروراً كثيراً مستبشراً بقرب النصر والتحرير متذكراً حديث رسول الله ﷺ: «أوَّل هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم يكون خلافةً ورحمةً، ثم يكون مُلْكاً ورحمةً، ثم يتكادمون (يتعلقون به ولم يستمكنوا منه) عليه تكادُم الحُمُر، فعليكم بالجهاد؛ وإن أفضل جهادكم الرباط وإن أفضل رباطكم عسقلان»[1].

ثالث عشر: تشجيعه كبارَ السنِّ على الجهاد والرباط:

كان - رحمه الله - يفرح كثيراً إذا رأى رجلاً كبيراً في السن يرغب في الجهاد، وقد حدثني عبد اللطيف أخو الشيخ قائلاً: إن جماعة من كبار السن من رواد مسجد العودة في جباليا، جاؤوا إليَّ وطلبوا مني أن أكلِّم الشيخ حتى يأذن لهم في الرباط. قال: فالتقى بهم الشيخ في مكتبته العامرة وأعطى كلَّ واحد منهم بندقية، ثم اتصل بمسؤول الجهاز العسكري في المنطقة وأخبره أن يستوعبهم معه في الجهاز، كما أخبره أن ينظم سبعةً آخرين مثلهم، ووعده أن يعطيَ كل واحد بندقية. قال عبد اللطيف: وقد بلغ عدد هؤلاء بعد ذلك خمسين مجاهداً؛ فكانت هذه أول مجموعة مجاهدة من كبار السن.

رابع عشر: الجهاد يجمع الكلمة ويوحد الصفوف:

كان - رحمه الله - ينتهز فرصة الالتحام بالعدو ليوحد صفوف المقاومة؛ فهو القائد الذي يجمع ولا يفرِّق. يقول - رحمه الله -: «لست حزبيّاً في حال السلم والأمن والهدوء؛ فهل أكون حزبيّاً والسيف يحتزُّ الرقاب جميعها؟ إنني أزور كل المجاهدين، بلا استثناء، وأتقدَّم للخطوط الأمامية فأجد المجاهدين من كافة الفصائل، وفي هذه الأجواء الجهادية تذوب الفروق الفصائلية كلُّها؛ إذ ليس ثمة غير الهمس بصوت منخفض، وانحناء الظهر حتى لا يرصدك عدوُّك، والعناق الهادئ، لرفع المعنويات، والمصافحة لا على الهيئة العادية، كأنك تعانق الكف بالكف، وتسأل: كيف المعنويات؟ والجواب: عالية والحمد لله».

ويقول - رحمه الله -: وكنت مرة أطوف على المجاهدين وأتفقَّدهم، فقالت لي إحدى المجموعات المجاهدة: نحن فتح يا أبا بلال! فقلت لهم: وأنا أيضاً فتح، نحن هنا لردِّ الاجتياح والعدوان، وقد قال لي المجاهدون أكثر من مرة: نريد أن تبقى الوحدة الوطنية بيننا بعد الاجتياح، فأقول: بإذن الله.

خامس عشر: أخلاقيات الجهاد عند الشهيد نزار ريان:

حدثني الأخ نور عيد. قال سمعت بأذني الدكتور نزار يحدِّث أنه قبل العملية البطولية التي قام بها ولده إبراهيم بيوم أو يومين زار الدكتور نزار وولده إبراهيم معرضاً لصور شهداء الانتفاضة أقيم في أحد المساجد، وبينما كان إبراهيم يشاهد الصور إذ وقعت عينه على صور لأطفال صغار مزقت قذائف الحقد الصهيوني وصواريخه أجسادَهم الضعيفة، ولم ترحم طفولتَهم البريئة، وحينها أقسم إبراهيم والألم يعتصر قلبه، قائلاً: والله لن أرحم من اليهود صغيراً ولا كبيراً!

فقال الدكتور - رحمه الله -: «لا يا ولدي... الأطفال لا، الصغار لا، لا تقتل الأطفال»، وحتى يزيد الدكتور من إقناع ولده قال له: «أترضى أن يقتل اليهود أخاك فلان؟» وذكر له أحد إخوته الذي كان يومها رضيعاً في المهد، فأجاب: لا.

وجاء موعد التنفيذ وبدأت العملية وقتل إبراهيم من الجنود من قتل، ثم لجأ إلى بيت في المستوطنة ليحتمي به، ولما دخله إذا به يجد امرأة صهيونية ومعها عددٌ من أطفالها...

ما ظنكم بصنيع إبراهيم الآن والقذائف تتساقط حوله، والموت يتخطفه؟

كان بإمكان إبراهيم أن يمزقهم أشلاءً، ولكن تذكَّر وصية والده الدكتور نزار، التي بقيت ماثلة أمام عينيه ما فارقته لحظة، فما كان منه إلا أن أخذ الأطفال وأُمَّهم ووضعهم في مكان آمن داخل البيت وأغلق عليهم الباب، وواصل معركته حتى ارتقى إلى ربه شهيداً. واعترفت المرأة الصهيونية «الأم» بالحادثة، وذكرت صنيع إبراهيم معها ومع أطفالها؛ وذلك حسب أجهزة الإعلام الصهيونية.

رحم الله أبا بلال وجميع إخوانه من العلماء العاملين المجاهدين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

---

(١) أخرجه الطبراني عن ابن عباس، وذكره الشيخ الألباني في الصحيحة، رقم ٣٢٧٠.

أول جوال عربي لتحليل الأخبار

جوال فكر

أول جوال في العالم العربي يقدّم لك التحليل العميق للأخبار
وفق فكر أصيل ينشد مصلحة الأمة ويكشف ما وراء الخبر ..
ويزودك بمصداقية بالأخبار ذات الأبعاد ويصوغ رؤية أصيلة
ترى بها الأحداث .

STC الاتصالات السعودية

للاشترا ك : أرسل ج إلى 807200 إتصالات

وقريبا بإذن الله : موبايلي وزين

موبايلي mobily

zain

«دفتر سراييفو» لخوان غويتيسولو

كاتب إسباني يفضح مؤامرة الصمت وتهافت المثقفين

هشام الشاوي

أثار رفض خوان غويتيسولو لإحدى الجوائز العربية حَنَق بعض المثقفين المتهافتين ممن تخلّوا عن دورهم الطليعي التنويري الحضاري، واختاروا بيع ضمائرهم، ولَعِبَ دور النديم المهرج للسلطان؛ فأينما وليت وجهك تجدهم بجانب ولي النعمة، دون أدنى إحساس بالذنب أو تأنيب الضمير لتغاضيهم عن معاناة بني جلدتهم من الشعوب العربية المقهورة.

وقد يتساءل بعضهم: أليس غريباً أن ينتصر كاتب إسباني للشعوب المسحوقة، بينما نخبتها «تنام في العسل» أم هي مجرد عنترية جوفاء، كما يفعل كتَّابنا العرب الميامين؟

كلاَّ، لقد سبق أن ساند من قَبْل المسلمين، مخاطراً بحياته، وقام بما لم يقم به سائر مثقفي العالم العربي والإسلامي وكتَّابه ومبدعيه وفنانيه.

إنني ممتن لموقف الكاتب الإسباني، الذي دفعني إلى قراءة كتاب قديم له، كنت قد اشتريته منذ مدة من بين الكتب المستعملة من عند كُتبيٍّ عجوز يفترش رصيفاً. ثم وضعت الكتاب جانباً، وانشغلت بقراءة الروايات والكتابة عنها، (وأبرر هنا إهمالي له بأنه ليس كتاباً إبداعياً).

وأتذكر جيداً أنني سبق وقرأت عن محنة شعب البوسنة والهرسك، قبل أكثر من عقدين. أتذكر تلك اللحظة جيداً، وكأنني أتصفح ذلك العدد من تلك المجلة الإسلامية الآن، وكنت يومها دون سِنِّ العشرين.

ومن أجل الأجيال التي لم تعاصر تلك المذبحة، ومن أجل الأجيال القادمة نقدِّم هذا العرض.

كما جاء في مقدمة مترجم الكتاب، الصادر عن دار الفنك المغربية (١٩٩٤م) الدكتور طلعت شاهين، فإن خوان غويتيسولو يُعدُّ من القليلين الذين أصدروا بيانات ضد النازية الجديدة في البوسنة والهرسك، تلك التي تحاول القضاء على آخر شعب مسلم في أوروبا، وقد خاطر الكاتب بالسفر إلى سراييفو؛ حيث أمضى أسبوعاً كاملاً، عايش خلاله الموت الذي يحيط بالمدينة في كل لحظة؛ فكان نتاج هذه الرحلة مجموعةَ مقالات سماها: «دفتر سراييفو». وللكاتب حساسيته المميزة اتجاه القضايا الإنسانية العادلة بشكل عام، والعربية الإسلامية بشكل خاص، وفي حوارٍ مع المترجم صرح غويتيسولو بأنه حاول أن يظل محافظاً على احترامه لنفسه؛ فقد كان يشعر بالغثيان من قراءة ما يحدث هناك يومياً، وبعد مرور أكثر من سبعة عشر شهراً لم يعد يقبل هذا الدور دون أن يكون طرفاً مباشراً فيه، لكنه يعتقد أن الكتابة وحدها لا تكفي.

في طريق الرحلة يثير انتباهه مجموعة من السياح، فيتذكر ما قرأ في الصحف، عن شركاتٍ سياحية إيطالية تعلن عن رحلات خاصة للسياح المتعطشين إلى الاستمتاع بمشاهدَ خارقة للعادة؛ حيث يجوبون المناطق التي دمرتها الحرب حديثاً في مختلف أنحاء العالم، فيستنشقون رائحة البارود، ويتجولون في القرى المدمَّرة، ويشاهدون الأجساد المتحللة والمقابرَ الجماعية التي لا يكاد يغطيها التراب وأكوامَ الجثث المصطفة، ويخمِّن أنهم

في طريقهم إلى البوسنة، ويتساءل: هل يذهبون لالتقاط صور فوتوغرافية للنساء والأطفال المكدسين في قطارات النفي، أم لتصوير البيوت المحترقة والأجساد المتفحمة والمساجد المدمرة، أو تلك الفتاة المسلمة التي رسموا على ذراعها الصليب بسكين حاد، أو تلك المرأة الباكية أمام كاميرات التلفزيون، وهي تقص حادث اغتصابها المكرَّر على أيدي جيرانها، وتبول طفل أحدهم على وجهها وهم يمسكونها بأيديهم، وكلُّ جريمتها أن زوجها هرب ولم يدافع عن قضيتهم المباركة، وتعاون مع «المتطرفين المسلمين».

لحُسْنِ الحظ أن الحقيقة كانت بخلاف ذلك، لكن الكاتب يستغرب كيف يستمتع أولئك السياح بجمال الشاطئ الدلماسي (اليوغوسلافي)، ويتجاهلون ما يحدث على بعد مائة كيلو متراً. وفي الطريق إلى الفندق يسأل سائق السيارة أين يمكنه مقابلة المهجَّرين من البوسنة والهرسك، ممن يستطيع الحديث معهم باللغة الإيطالية، (وكان على معرفة بأنهم يقيمون في الفندق نفسه)، ولا يخفي السائق عنصريته اتجاه المسلمين قائلاً: «هذه مدينة نظيفة... وجودهم هنا يسبب لنا هروب الزبائن. نحن لا نريدهم هنا في سيليت».

– إلى أين تريدهم أن يذهبوا؟

– إلى تركيا أو ليبيا. عن نفسي أقول لك: فَلْيذهبوا إلى الجحيم».

أمَّا نشرة الأخبار الكرواتية، فهي مكرَّسة للأنشطة والخطب واللقاءات اليومية للرئيس العبقري توجمان. وفي دليلٍ مصوَّرٍ قديم للعاصمة (ما قبل الحرب) يقرأ تحته: «إذا سافرت نهاراً، فستعثر على مدينة شرقية تشبه تلك التي توجد فقط في الأساطير وستُذهل وأنت تخترق طرقها الواسعة ذات العمارات الحديثة البراقة أو على الطراز النمساوي في القرن التاسع عشر». بَيْدَ أنها لم تعد سوى ساحة من الدمار، مليئة بالجراح والأوصال الممزقة؛ أما والمباني والشوارع فقد اختفت بالكامل من الوجود، والناس قابعون في مخابئهم...

ويشبِّه الكاتب العيش في سراييفو بأنها حياة في مصيدة الفئران، تجبرهم على تجنُّب أماكن الخطر ومعرفة الأماكن التي يمكن التنزه فيها، دون خطورة كبيرة ومعرفة حتى الزوايا والتقاطعات المفضلة لدى القناصة؛ فأبسط خطأ أو غفلة في اختيار الطريق يؤدي إلى النهاية المشؤومة، مع أن الجميع مضطرون للخروج بحثاً عن الماء والطعام ومواد التدفئة، ويتعايش السكان مع مشاهد الإبادة اليومية والإحساس العام بالخيانة. ولا يتوانى الكاتب عن وصف كل ما يحدث في البوسنة وسراييفو من عمليات قتل وتدمير ومذابح أو ما يسمى بالتطهير العرقي الذي يجري بلا رادع.

ففي إحدى المستشفيات التي لم تسلم بدورها من القصف، تجد أغلب المصابين في المستشفى مبتوري الساقان أو مقطوعي الأيدي، وفي غرفة واحدة كان هناك مصاب كرواتي برفقة صربي ومسلم، يعيشون ثلاثتهم (كأشقاء)؛ حيث يصرِّح له الكرواتي بأن «الشكناز يريدون زرع الكراهية في قلوبهم». وفي جناح الأطفال يحس غويتيسولو باستحالة الوقوف إلى جوار طفلة صغيرة تتدلى عضلة ساقها الممزقة في دلو ماء... وفي المقبرة تتوجه كل الشواهد المسيحية والإسلامية، بجميع طوائفها، باتجاه القبلة؛ فالموت وحده يوحِّد بين المؤمنين من ديانات أهل الكتاب ضحايا الوحشية نفسها، ويقترح أن تضم المقبرة شاهداً آخر تُكتَب عليه عبارة: «هنا ترقد كرامة المجموعة الأوربية ومصداقية منظمة الأمم المتحدة المقتولتان في سراييفو. لقد ذهبتا ضحيتي جبن مفاوضيهم وزعمائهم النموذجي ووقاحتهم»، ولا يتردد المؤلف في أن يعلن أن تلك القرارات والاتفاقيات بقيت مجمَّدة في الأدراج؛ لأن المصالح الحيوية لتلك القوى لا تتعرض للخطر.

إن السيد رادوفان كاراديتش الذي يتخفى خلف مظهر شاعر حالم يتظاهر بجهله التام بتعبير «التطهير العرقي»، ويضمنه ببلاهة في إجاباته على الصحافيين، فيرد مستنكراً: «مذابحَ وغرفَ غاز ومعسكراتِ قَتْل؟ إنها من صنع خيال المجاهدين، والمتطرفين المسلمين الذين يحاولون السيطرة على أوربا»، فهو يلعب مع ميلوزفيتش وسيسليج دور الضحايا لمؤامرة (فاتيكانية، إسلامية، ألمانية)، وهم يقاومون كل المؤامرات بفضل مساعدات الروس واليونانيين، فضلاً عن حماية «سانا سافا» ضامن النصر النهائي للشعب السماوي المختار الذي تتغنى به الأغاني الشعبية الصربية.

وفي مأوىً للاجئين، قابل الزوجين ياسمينكا وإيساك، وتحت الجدار عُلِّقت عليه سُبَحٌ وشعار البوسنة والهرسك وضحا له أن «الشكناز ينفذون الأوامر كالآلات المبرمجة تماماً، وأكثرهم مرتزقة من روسيا و أوكرانيا أو من المجرمين الذين أطلقهم ميلوزفتش من السجون. يريدون أن يزرعوا الكراهية بيننا، لكنهم لن يتمكنوا من ذلك، سنعود لنعيش معاً

في يوم من الأيام.

وفي الجانب الآخر من الشارع توجد عائلات صربية، يساعد كلٌّ منهم الآخر، ويهبطون المخابئ معهم... «نحن لا ننسى، لكننا نعفو».

إنها سراييفو... وهكذا كانت.

أما الأرملة «أبزيا» فتسرد كيف أن قوات النسور البيض قام أفرادها بغرز كُلاَّب جزَّار في فم جارها المسلم ووثقوا يديه ثم ربطوه إلى خلفية سيارة وسحلوه، ليراه كل الناس ثم ذبحوه، ولعبوا برأسه كرة القدم، وبعدها رموا بأشلائه في النهر، وأجبروها على وضع فوهة مسدس في فم ابنها وينهالون عليها ضرباً بأيديهم وأرجلهم لتطلق الرصاصة، وحين يئسوا غادروا، لكنها فقدت النطق ثمانية أيام؛ لم تستطع خلالها النطق بأي حرف.

أما المسلمون اللاجئون إلى قراشدة، فقد حُشِروا داخل مسجد قديم، أضرموا فيه النار، ولم تنسَ صرخاتِهم المرعبة ورائحةَ اللحم المحترق. وعن إمكانية العيش مع صرب القرية من جديد، ترد بأنه من الصعب أن تعود للعيش إلى جوار الرجل الذي أرشدهم إليهم.

يسمي الكاتب قصفَ معهد الدراسات الشرقية، بمكتبته الشهيرة؛ حيث احترقت محتوياتها الثقافية الثمينة بـ: «اغتيال الذاكرة»، وهو يرمي إلى إزالة أي أثر إسلامي من أرض صربيا الكبرى، وأولها المكتبة التي تمثل ذاكرة الشعب البوسني المسلم.

ونائب رئيس الجمعية الإنسانية للثقافة والتعليم اليهودي يتأسف؛ لأنه لا أحد يزور البوسنة منذ استقلالها، ومنهم إسبانيا التي لا ترسل سوى الضباط وقادة الجيش، ويقول: «إنه لمن المخجل أن تتجاهلنا إسبانيا ولا تقيم علاقات مع البوسنة»، ويرى أن العلاقات بين الطوائف الدينية في البوسنة كانت طيبة جداً. وأنهم كانوا يطلقون على سراييفو اسم «أورشليم الصغرى». أما المعونات فهي «صدقة مهينة» بتعبيره... فهم يرسلون إليهم الحثالة وما لا يصلح للبيع من ملابس وأطعمة محفوظة، وأولئك المتوحشون يطلقون عليهم النار دون تمييز؛ لأنهم يعيشون معاً، ويعتبر الحديث عن التهديد الإسلامي «فرية من أكاذيب ميلوزفيتش؛ فالمتطرفون الحقيقيون هو وعصابته».

ويعتبر الكاتب وجود قوات القبعات الزرق بدورها المحدود حوَّلها إلى متفرج ثم إلى مشارك أخرس للمعتدي، والرافضون للتدخل العسكري يستخدمون الإعانات الدولية كسلاح يحرم المحاصرين في سراييفو من حقهم الشرعي في الدفاع عن النفس، بينما بيل كلينتون (الرئيس الأمريكي وقتها) يلقي بصواريخه على العراق، وهو ما قوبل بالتفهم من جانب وزارات الخارجية الغربية... ولا أحد يدين القناصة الذين يقطفون أرواح النساء والأطفال؛ لأن المنطقة التي تجري فيها هذه الأحداث، لا تدخل في مناطق «المصالح الحيوية» للولايات المتحدة والمجموعة الأوروبية، وقيمة الإنسان البوسني أقل من قيمة برميل البترول الخام.

إن المتطرفين الصرب يطلقون صرخات التحذير من «المتطرفين المسلمين» الذين توجههم إيران، هكذا تصير حرب التطهير العرقي حرباً صليبية جديدة ويجري إحياء الصراع الأوروبي القديم ضد المسلمين ومحاولاتهم إقامة «خلافة إسلامية في البلقان»، وهي حرب إعلامية أيضاً؛ فتلفزيونا (الصرب واليونان)، يحذران من الخطر التركي؛ حيث يبث تلفزيون بلغراد وصلة غنائية فيها فتاة بزي فلكلوري صربي تنحني بإثارة لتقبل مدفعاً يقصف مسلمي (أتراك البوسنة).

ويؤكد رئيس أئمة البوسنة أن الحكومات الأوروبية بدل مساعدتهم وقفت تتفرج عليهم وتسمح بإبادتهم، ناكرين حقهم المشروع في الدفاع عن النفس، ويتساءل: بمَ تفيدهم المساعدات الإنسانية إن كانوا يتركونهم يُذبَحون، وعن التهديد الإسلامي ردَّ بقوله: إنها فكرة يشيعها الصرب فقط، وهناك أكثر من سياسي غربي يعد استراتيجيته الخاصة لمواجهتها؛ فالشكناز يريدون محو الإسلام من منطقة البلقان.

قبل الرحيل يعترف الكاتب أن مبادرته والكاتبة الأمريكية سوسن سونتاغ لجذب كتَّاب من ذوي الأسماء الرنانة إلى سراييفو باءت بالفشل، والمسألة ليست سوى مقتٍ للإسلام، بينما المثقفون البوسنيون الذين ظلوا في سراييفو يسألون زملاءهم بإلحاح: «لماذا كل هذا الجبن وكل هذا الصمت؟». ويُقِر الكاتب أن لا أحد يخرج من جحيم سراييفو سالماً؛ فمأساة المدينة تحوِّل قلب وجسد من يشاهدها إلى قنبلة على أهبة الانفجار في مناطق الأمن المعنوي للمذنبين بشكل مباشر أو غير مباشر، وهذا الانفجار هو الذي يسبب أقصى الخسائر.

مجلة البيان

تقدم لقرائها الكرام

في شهر الخير

وجديدنا هذا العام

- برنامج عملي للأسرة المسلمة في رمضان.
- أحوال النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان.
- مكفرات الذنوب.
- كيف تنمي أموالك؟

www.albayan-magazine.com

بينات

"أستثمار أمثل لأوقاتك في رمضان"

الرياض: ـ هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١
التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨
المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

Badr: 0508948947

تربيتنا أمام تحدي التعليم بالصورة البصرية

عبد المجيد العابد
abdelmajidlaabid@hotmail.fr

تأطير:

نحن نعيش اليوم في عالم تشغله العوالم البصرية بكامل تفصيلاتها وطرقها في التدليل وأنماطها في الاشتغال، ولعل هذا وغيره ما دفع كثيراً من الباحثين في النفسيات إلى التأكيد على أن أكثر المعلومات التي يجري استيعابها من المحيط من قِبَل الفرد تمر عبر القناة البصرية، وهو ما يفرض الاهتمام أكثر بتطوير طُرُقنا في التعامل مع الجهاز البصري عموماً حتى يمكننا أن نستفيد من هذه القناة في تحصيل معارفنا. إن الآلة البصرية الإدراكية المعقدة بطبيعتها، جعلت الكائن الإنساني مختلفاً عن باقي الحيوانات الأخرى؛ لأنه يستطيع نقل المعلومات من المحيط الذي ينتمي إليه ومعالجتها من خلال هذه القناة الإدراكية البصرية بالخصوص.

١ - الصورة البصرية في التصورات النفسية:

مرَّ على البحث في الصورة مراحل عدة ارتبطت بالتصورات الفلسفية ابتداءً، ثم انتقلت إلى علماء النفس والسيميائيين وغيرهم. وإن المتتبع للدَّور التربوي والتعليمي للصورة يجد أن الأمر يتعلق بمدى مساهمة علوم التربية في تجديد النظر إلى الوسائل التعليمية المبنية على الوسائط؛ حيث يجري النظر إلى الصورة باعتبارها وسيطاً في المثلث الديداكتي (المعلم والمتعلم والمادة الدراسية).

لكنَّ كل المساهمات التربوية المرتبطة بالصورة مستمَدة من تطوُّر العلوم المعرفية في عمومها، خصوصاً أبحاث بعض رواد علم النفس المعرفي أمثال جان بياجيه (J. Piaget)، وميشيل دونيس (M. Denis)، وبيليشن (Pylyshyn)، وكوسلين (Kosslyn)، وبيفيو (Paivio)، ونيسر (Neissr)؛ حيث يجري استثمار مختلف نتائج الأبحاث المرتبطة بهذا الحقل المعرفي حول الإدراك (Perception)، والانتباه (Attention)، والذاكرة (Mémoire)، والتمثُّل، وبناء الصور الذهنية، والنمو المعرفي، وغيرها من مجالات اهتمامات علم النفس المعرفي.

ويمكن أن نَخْلُصَ إلى أهم التصورات النفسية التي عالجت موضوع الصورة في:

- الحقبة التي واكبت الكتابات الترابطية (Associanisme).
- العلوم المعرفية بمختلف اتجاهاتها، خاصة علم النفس المعرفي منها.
- نظرية الجشطالت (Gestalt) الألمانية.
- نظرية الذكاءات المتعددة؛ (Multiple intelligence).

فقد شكلت الترابطية في القرن التاسع عشر الاتجاه التحليلي للصورة، متخذة الفلسفة التجريبية مع جون لوك (J.Lok)، ودافيد هيوم (D.Hume) سنداً لها في البحث في الصورة؛ فالترابطية ترى أن الإحساس هو أساس المعرفة؛ فقد استطاع فرانسيس جالتون

(F. Galton) تقديم مساهمة فعالة؛ حيث بَلْوَر طُرُقاً إحصائيةً واختبارات مختلفةً، استطاع من خلالها قياس قدرة الفرد على اختزان الصورة واستحضارها، كما كانت لفيشنر (Fechner) اهتمامات بالغة بالصورة، دفعت علماء النفس إلى إعادة النظر في الأدوار التي تضطلع بها[1].

لكن الصورة لم تجد مكانها الطبيعي إلا مع الاتجاه المعرفي خصوصاً مع أعمال بياجيه وإنهالدر (Inhelder)؛ فالصورة عند بياجيه تحضر وتؤثر ابتداء من السِّن السابعة، وإن كان يشير إليها منذ المرحلة (الحسحركية) (Sensori-motrice)؛ لأن ما يميز المرحلة بعد السابعة هي العمليات (Opérations)؛ والعملية في عُرْفِ بياجيه فِعْل يكون دافعه الإدراك أوالحدس (Intuition)، وتباعاً لبرونر (J.S. Brunner) وبياجيه جرى البحث في فرضية التسنين (Codification) الواحد الذي يجمع بين دخل (Input) المعلومات الصورية، ودخل المعلومات الكلامية اللفظية.

ويميز بياجيه في بحثه في الصورة بين نوعين منها: صور منتجة (Images productrices)، وصور توقعية (Images anticipatrices)؛ فالصور المنتجة هي الصور التي يستحضر العضو بوساطتها أشياء وأحداثاً معروفة سالفاً، وسبق له أن أدركها. أما الصور التوقعية فهي تلك الصور التي لا تستند إلى ما سبق، بل إلى الخيال عن طريق توقُّع أحداث ووقائعَ لم يسبق للفرد رؤيتها وإدراكها من قَبْلُ[2].

والصورة عند بياجيه ليست امتداداً للإدراك، بل هي عملية ذهنية مرتبطة بنشاطات ذهنية، وهذا التصور هو ما يميز الاتجاه المعرفي عموماً عن باقي الاتجاهات الأخرى في تصورها للإدراك الإنساني[3].

أما النظرية الجشطالتية الألمانية (Gestalt بالألمانية تعني شكل) فيقال روادها: كوهلر (Kohler)، وكوفكا (Koffka)، وبول كيوم (P. Guillaume) من دور الثقافة والانتباه في الوظيفة الإدراكية، ويرون أن العالم والصور يفرضان بنياتهما على الذات الناظرة المتأمِّلة، ويذهبون كذلك إلى أنَّ إدراك صورة مَّا هو إدراك مباشر وحدسي، والذات تدرك الشكل كمجموعة لا فاصل بين عناصرها.

وتنقسم الصور المدركة عند الجشطالتيين إلى عمق (Fond)، وشكل (Forme)؛ حيث يمكن أن تؤثر طبيعة العمق في الصورة، وهذا ما يفسر عدداً من الأوهام الإدراكية (Illusion)، و (أعطت النظرية الجشطالتية أهمية قصوى للأوهام الإدراكية في بنائها النظري الشكلي).

أما نظرية الذكاءات المتعددة التي اقترحها هاورد كاردنر (H. Gardner)[4] فتشير إلى ثمانية ذكاءات تُميِّز التفكير الإنساني برمَّته وهي: الذكاء المنطقي الرياضي، والذكاء اللغوي، والذكاء الحسي الحركي، والذكاء الموسيقي، والذكاء الطبيعي، والذكاء الذاتي، والذكاء التفاعلي، والذكاء البصري الفضائي؛ وهذه الذكاءات – كما يشير كاردنر – ليست حصراً فهي قابلة للزيادة.

وقد أشار كاردنر في حديثه عن الذكاء الفضائي إلى أن هذا الأخير يخص في غالب الأحيان بعض الأشخاص الذين يتميزون بذاكرة فضائية؛ حيث يتمكنون من تذكُّر أماكن وفضاءات بمجرد أن يَرَوها لأول مرة، كما أن بإمكانهم أن يتعلموا بطريقة أفضل عن طريق الصورة.

٢ – قوانين انتقاء الصور البيداغوجية:

إننا نؤكد على أنه لا يمكن لأي صورة أن تكون صورة بيداغوجية إلا إذا احترمنا في اختيارها مجموعة من المعايير الكفيلة بجعلها أكثر آداتية، خصوصاً منها المعايير الجشطالتية، كما أن على المتعلم نفسه أن يتحلى بمجموعة من القدرات والخبرات التي تساعده في إدراك الصورة، ونختزل هذه القوانين المشتركة بين الصورة ومتقبلها ومنتجها في النقاط الآتية:

١ – لا بد للمتعلم في إدراك الصورة أن يكون منتبهاً؛ لأن الانتباه هو الحركة الأُولَى في العملية الإدراكية، تليها عملية الإحساس؛ حتى يمكنه أن يستدخلها في صورة ذهنية ويستثمرها استقبالاً، ويفترض فيه الثبات والتركيز على الصورة من حيث مكوناتها وعناصرها؛ فكلما طال التركيز ودامت نظرته كلما استطاع فهمها واستيعابها. وينبغي أن تكون له رغبة وحافز للتعامل مع الصورة، وهذا التحفيز يفرض على منتِج الصورة أن ينتقي الصور التي تُشبِع رغبات التلميذ التي تختلف بحسب الميولات والتنشئة الاجتماعية.

فإذا كانت الصورة لا تلبي رغبة المتعلم فهي بذلك صورة غير بيداغوجية، أما التنظيم فيرتبط بتنظيم مكونات الصورة حتى تبدو خاضعة لنَسَق معيَّن، والتنظيم مرتبط كذلك بوجهة تَلَقِّي الصورة من قِبَل المتعلم؛ فعماد الصورة يؤثر في تلقِّيها عموماً، كما يُفتَرَض في الصورة أن تكون من جنس التنشئة الاجتماعية للمتعلم، وتنتمي إلى موسوعته الإدراكية؛ فالصور

(1) DENIS (M): Les images mentales, PUF, Paris, 1979, pp 1922-.

(٢) خصص بياجيه كتاباً كاملاً من مجموع كتبه للنظر في الصورة الذهنية، وهو المعتمَد في هذه الدراسة، نقصد كتابه: PIAGET (J): L'image mentale chez l'enfant. PUF.Paris.1966

(٣) انظر: تصورات إيكو U.Eco، وبورس Ch.S.Peirce، وجاكندوف ودونيس.

(٤) نخص بالذكر كتابه الأول الذي كان اللبنة الأُولَى في إرساء مشروعه الذي اعتمدناه في هذه الدراسة وغيرها.
GARDNER (H) : Les intelligences multiples, Ed RETZ, Paris, 1996

التي ليست جزءاً من خبرات المتعلم السابقة ستكون عصيَّة على الاستيعاب، وهذا ما نلمسه لدى المتعلم الصغير عندما يصادف صوراً في الكتاب المدرسي لا عهد له بمرجعها الثقافي؛ حيث تبقى عنده مجرد أوَّليات كما عبر عنها بورس، لا يستطيع تذكرها ولا يحصل له الإدراك بصددها.

كما ينبغي للصور أن تكون خالية من التشويه أو التحريف، بل يجب أن تكون بسيطة في عناصرها؛ لأن الهدف ليس الصورة في ذاتها، بل ما تقدِّمه من أدوار تعليمية تعلُّمية، والتحريف قرين الخداع الإدراكي، كما ينبغي أن يكون العمق فيها عادياً بسيطاً، ويستحب أن تكون في المراحل الأُولَى من التعلم ثلاثيةَ البعد؛ لأن الطفل في بداية تعلُّمه لا يستطيع أن يسقط الأشياء ذات البعد الثلاثي على مساحةٍ من بعدين اثنين بطريقة سهلة.

٣ - أهمية الصورة البصرية في المنظومة التربوية:

يمكن بما لا يدع مجالاً لشك إذاً أن تلعب الصورة دوراً فاعلا في العملية التعليمية التعلُّمية؛ فإذا كانت المدرسة إلى حدٍّ الآن تعطي أهمية بالغة للعناصر الشكلية اللغوية، فإن بإمكان الصورة أن تدخل التعليم من هذا الباب نفسه باعتبارها وسيطاً أصبح يفرض نفسه على المنظومة التعليمية أكثر من أي وقت مضى؛ وذلك لما تتميز به من خصائص لا يمكن أن تلبيها اللغة اللفظية.

والصورة ليست وسيطاً في التعلم والتعليم وحسب، بل هي استراتيجية وطريقة في التفكير والتعقل والتنظيم والتحري، وليست مادة فضلة يمكن الاستفادة منها أو تركها، بل هي لازمة لزوم الاستيعاب للتعلم، وهي كفيلة بتجاوز التعلم اللفظي الذي يعتمد الحفظ والاستظهار في الغالب، ولا يتيح للتلميذ إعمال الفكر والتفكر والتعقل والتنظيم، بينما الصورة تمنح للطفل الفرصة للمقارنة واستخدام ذهنه في حل المشكلات، واستثمار كل العمليات المنطقية في التحصيل، كما تسهم في إبقاء الأثر التعلُّمي بعكس اللفظ، ولا غرو في أن أغلب خبرات الفرد يحصل عليها من خلال حاسة البصر بنسبة ٨٠ ٪ إلى ٩٠ ٪، كما أن مبدأ سيكولوجياً يقول: إن الفرد يدرك الأشياء التي يراها إدراكاً متميزاً أكثر مما لو سمع عنها أو قرأ.

ولا غرو في أن الوسائل المرئية تتعدد بتعدد الاهتمام بدورها التربوي في العملية التعليمية التعلمية؛ فمنها الصور الفوتوغرافية، والصور المتحركة والثابتة، والأفلام، والشرائح بمختلف أنواعها والرسوم البيانية والتوضيحية، والرسوم المتحركة، والحكايات المصوَّرة، والعيِّنات والنماذج والخرائط والاستعمال البصري للسبورة، واللوحات الوبرية والمجلات الحائطية وغيرها؛ غير أن طبيعة البحث تفرض الاهتمام بنوع منها، نرى أنه يفضلها في المدرسة المغربية؛ لما له من دور فعال في تطوير المناهج التعليمية خصوصاً في المدرسة الابتدائية، ونخص بالحديث الصورة في الكتاب المدرسي؛ فقد أكدت التجارب التي قمنا بها واستطلاعات الرأي التي اعتمدناها مدى أهميتها في العملية التربوية.

ولا بد من التذكير بأن كل وسيلة تعليمية تختلف عن نظيرتها، وهذا ما ينطبق أيضاً على الصورة؛ فالتعلم بواسطة الحكاية المصورة مختلف عن التعلم بواسطة شريط سينمائي، أو التعلم بالصورة الإشهارية... وهلم جراً؛ فإذا كان كل نمط من هذه الصور يختلف في بِنيَاته، وكيفيات اشتغاله، فإن التعامل معه يكون أيضاً مختلفاً تباعاً لذلك؛ إذ لا بد للمدرس من أن يكون على بيِّنة بهذا الاختلاف كي يأخذه بالحسبان في العملية التعليمية؛ حتى يمكن للصورة أن تلبي حاجات المتعلم التعلمية، ويدخل في هذا أيضاً اختيار المكان المناسب والوقت المناسب والطريقة المناسبة في توظيفها.

وبما أن التعلم مرتبط بشحذ الذاكرة؛ سواء تعلَّق الأمر بالتعلم الذاتي (التغذية الراجعة)، أم بالتعلم التقليدي المعتمِد على الحفظ والاستظهار والتلقين، فالصورة تسهم إسهاماً فعالاً في استثارة مخزون التلميذ، وتشحذ معارفه في الموضوع الذي تثيره الصورة في المادة الدراسية، فيكفي المعلم أن يُحسِن التعامل مع الصورة بُغيَة الوصول إلى تحقيق الكفايات المرادة من الدرس.

تلبي الصورة حاجات التلميذ في التعلم والتدقيق والتحصيل والبناء وإعمال فِكْره المنطقي في التعامل معها، كما تُحِسُّه بأهمية ما يشاهده ويعاينه، وتدفعه إلى التعرف أكثر إلى الأشياء التي يشاهدها، وتجعل العملية التربوية متوازية بين المتعلم والمعلم؛ يشتغلان في آن واحد؛ إذ بوساطتها سنتمكن من تجاوز معضلة التدريس العمودي الذي يرى في المتعلم صفحة بيضاء؛ إذ يقوم هذا التعليم التقليدي على الإلقاء والشحذ والاستظهار؛ فالصورة بعكس ذلك تجعل الطفل الصغير مشاركاً في بناء دلالة الصورة.

ويمكن أن نختصر سمات الصورة البيداغوجية في أنها:

- تُعَدُّ عنصر إثارة وتشويق بالنسبة للمتعلم الصغير؛ تيسر الفهم والاستيعاب والانتباه الدائم.
- تساعد الطفل في البناء المنطقي واستخدام أسلوب الاستدلال والاستنتاج والمقارنة والتأمُّل.
- تنقل المعلومات العلمية والجمالية والأدبية وغيرها، في

صورة سمعية بصرية تقوم على التركيز والاختزال في الجهد والوقت.

• تلعب الصورة دوراً مهماً في تغذية التفكير الذهني لدى الطفل، وتنمي قدراته العقلية في التخزين والتذكر واستعمال التفكير المنطقي عموماً، كما أنها تعدِّل من سلوكياته المختلفة انسجاماً مع المنظومة التربوية عامة لما تريد تحقيقه من قيم وأخلاقيات.

• بإمكان الصورة أن تثير اهتمام الطفل، وتستثيره في تقبُّل المادة المدرسة.

• تتميز الصورة عن اللفظ في أنها دقيقة وتختزل المسارات القرائية المتشعبة للفظ؛ لأن صورة واحدة قد تغني عن آلاف الكلمات.

• يمكن للصورة أن تؤثر في المتعلم الصغير؛ لما تحمله من قيم وأساليب في التنشئة الاجتماعية والتربوية.

• الصورة لا تخضع لسلطة الزمن والمكان والحدود، وتُغْنِي عن إحضار الأشياء بالنسبة للمتعلم الصغير؛ فهي غير اللفظ الذي يحتاج إلى إحضار موضوعات عينياً؛ لأن الطفل الصغير لا يمكنه أن يدرك أشياء غائبة جزئياً عن موسوعته الإدراكية بطريق اللفظ وحدَه مهما حاولنا شرحه له.

• تساعد الصورة الطفل على استثمار مَلَكَته العقلية في الاستنتاج والحكم والتقويم والتقييم والربط، كما أنها تشحذ ذاكرته في استحضار الأشياء الغائبة عن حقله الإدراكي، وتيسِّر خَلْقَ الصور الذهنية في تمثُّل الأشياء؛ وهو ما يساعده على التعلم السريع.

٤ - أدوار الصورة في التعليم والتعلم:

يمكن للصورة أن تلعب دوراً فعالاً في المنظومة التربوية، وهذا الدور يبدو جلياً اليوم في حضارة الصورة عموماً؛ بالرغم من أن المجتمع العربي لم يعطِ للصورة الدور المنوط بها في العملية التعلمية التعليمية؛ إذ لا يتعدى الاستعمالَ التقليدي العادي، دون أن يكون له أثر فاعل في الرفع من الجودة إن وجدت، إلا أن الصورة في البلدان الغربية وجدت أرضاً خصبة بوصفها أكثر الوسائط التعليمية أهمية، وأقدرها على تقديم المادة الدراسية بأيسر السبل، كما تساهم في تجديد النظر إلى الرفع من التقنيات وتحسين البرامج التعليمية، إن الصورة تلعب مجموعة من الأدوار في العملية التعليمية التعلُّمية، ويمكن إجمالها في ما يلي:

إن الصورة تقلِّل من الجهد والوقت والمصادر التي يمكن أن تكون ضرورة من دونها في إبلاغ المادة الدراسية، كما أن

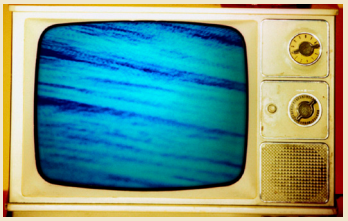

الصورة تعمل على إشباع رغبة التلميذ وتحقيق حاجاته بالتعبير (الكلاباردي) من خلال الخبرات التي تزوِّده بها؛ وكلما كانت هذه الخبرات قريبة من تنشئته الاجتماعية وواقعه الذي يعيش فيه ويتلقى معلوماته منه، كانت أكثر فعالية في تدعيم المعلومات وشحذ ذهنه للخلق والابتكار في علاقته بها، وتؤدي كذلك إلى ترتيب واستمرار أفكاره وَفْقَ سيرورة نَسَقيَّة؛ وهذا ما سيجعل المعلم يحقق الكفايات التي يستوجبها الدرس بأقل تكلفة ممكنة وبفعالية أكبر؛ وكلما استطاعت الصورة ضخ أكبر عدد ممكن من المعلومات لدخل المتعلم، استطاع التلميذ على إثرها إثراء خبراته؛ وهذا ما سيجعله قادراً على التعلم ومقبلاً عليه، إن هذا الاستعداد التي تمنحه الصورة للمتعلم، سيجعل عملية التعلم في مستوى أرجح.

وتساعد الصورة كذلك على تجنب الاتكاء الكبير على اللفظ؛ حتى ليصبح الدرس من خلاله عبئاً على المعلم والمتعلم، والصورة كفيلة بتجاوز هذا العائق التعليمي؛ وذلك بخلق مجال أرحب للمزج بين هذين المكوِّنين السيميائيين، ولا غرابة في أننا قد نجد المعلمين يستعملون ألفاظاً ليست في الموسوعة الإدراكية للمتعلمين، تأتي هكذا بلا وعي، ولو أنه حاول وصفها باللفظ فلن يزيدها إلا تعقيداً؛ لأن الطفل في هذه المرحة يكون التفكير عنده ليس تجريدياً؛ أي أن المفهمة لا تبدأ إلا في حدود السنة ١٢ (مرحلة العقل التجريدي) كمرحلة يصل فيها المتعلم إلى توازن تام. إن الصورة باعتبارها شيئاً ملموساً قادرةٌ على جعل المجرد مقدوراً عليه من قِبَل المتعلم، وهو ما يخلق خيطاً ناظماً بين معاني الألفاظ عند المعلم والمتعلم على حدٍّ سواء، وهذا التنويع في المكوِّنين سيؤدي - حتماً - إلى تكوُّن تصورات متوافق عليها بين المعلمين والمتعلمين.

وتساعد الصورة الطفل كذلك على إشراك جميع حواسه (الحس المشترك)؛ وهو ما سيودي لا محالة إلى الزيادة في كمية التعلم وتسيير غناها، وتساعد في تخزينها واستيعابها والاستفادة منها استقبالاً؛ لأن هذا هو المبتغى الأسمى للتعلم، كما تساهم في الرفع من قدرة المتعلم على المشاركة، وترفع من قدرات التفكير العلمي لديه بدءاً من الملاحظة والوصف والتفسير إلى حل المشكلات وطرح البدائل، وهو ما يساعد في الرفع من جودة التعليم.

في مدرسة الإمام القرطبي
التحذير من أوهامٍ تعُوق عن عمل الخير

عبد العزيز بن صالح العسكر(*)

ليس كتاب الإمام القرطبيِّ كتابَ تفسير للقرآن الكريم فقط؛ وإنما هو كتاب فقهٍ، وتاريخٍ، ولغةٍ، وفكرٍ واسعٍ عميقٍ، ومن مدرسة القرطبي ومن رياض علمه وفقهه، ومن عبير حكمته ورواياته نقتبس سطوراً فيها عبرة لكل معتبر.

فقد روى الإمام القرطبي في الجزء الأول من كتابه (الجامع لأحكام القرآن) فقال: (روى حجاج بن حجاج الأحول قال: سمعت قتادة يقول: يابن آدم! إن كنت لا تريد أن تأتي الخير إلا عن نشاط، فإن نفسك مائلةٌ إلى السَّأمة والفترة والمَلَّةِ؛ ولكن المؤمن هو المتحامل، والمؤمن هو المُتقوِّي، والمؤمن هو المتشدِّد، وإن المؤمنين هم العجاجون إلى الله الليلَ والنهارَ).

لا يوجد مسلم على وجه الأرض إلا وهو يحبُّ الخير ويتمنى فعله، ولكن من يبادرون في زماننا قلَّة قليلة من أفراد المجتمع المسلم (رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً)؛ فما السبب إذن؟ قد يقول قائل: إنَّها الإمكانات والوسائل هي العائق!

أقول: إنَّ الإنسان معذورٌ إذا فقد الوسيلة والقدرة، ولكنَّ المؤلمَ والمحزنَ حقاً هو أن عدداً كبيراً منَّا ما عاقهم سوى مرض واحد قديم جديد هو (التَّسويف).

يقول الأول: سأتصدق حينما يكون دخلي كثير ومالي وافر.

ويقول الآخر: سآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر حينما أكبر وأحصل على مؤهِّل دراسي رفيع.

ويقول الثالث: سأبَرُّ بوالديَّ حينما يكبران وتشتد حاجتهما إليَّ.

ويقول الرابع: سأصوم النوافل حينما ينشط جسمي وتكبر سنِّي واتفرغ للعبادة.

ومثله الخامس: في صلاة النوافل.

أما السادس (المثقَّف) فيقول: سأقرأ حينما تَخِفُّ أشغالي، وتَقِلُّ أعمالي و (أتفرغ) للقراءة.

وسابعهم يقول: سأحج فريضتي حينما تتحسَّن الظروف - ولا نعلم ما الظروف؟ - ويقل عدد الحجاج ويقل (الخطر).

وهكذا تستمر حلقات التَّسويف، وكل أولئك (العاجزون) مُفَرِّطون في أوقاتهم وأعمارهم، متشبثون بأوهام تستمر معهم؛ لأنَّهم لا يخرجون من همٍّ إلاَّ إلى هموم، ولا يرتاحون من شغل إلا إلى أشغال، ولا يزول عنهم تعبٌ إلا ويوصِلُهم إلى أتعاب؛ فالعمر يكبر والعيال يزيدون والأتعاب تزيد وتكثر... ولذلك قال النبي ﷺ: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك)[1].

إنه من الممكن أن يتحقق لبعضنا أملُه مستقبلاً؛ فَيَفْرَغ من كثير من الأعمال، أو يُشفَى من مرض عضال، أو يفتح الله عليه فيغتني بعد فقر... إلى غير ذلك، ولكن وساوس الشيطان وحبائله تزيد وتتطوَّر، وقد عرفنا من الواقع:

(*) عضو الجمعية العلمية السعودية للغة العربية.

(١) رواه الحاكم عن ابن عباس وصححه.

١ – أن عدداً كبيـــراً من غير الأغنياء ينفقون في سُـــبُل الخير أكثر من الأثرياء وأدوم؛ لأنَّ حب الدنيا يزيد وكذلك الإحســـاس بأن ما حصل عليه بعَرَق جبينه من الصعب التفريط فيه!

٢ – أنَّ عدداً من الشـــباب أنشط من كثير من الكبار في صيام وصلاة النوافل.

٣ – أنَّ الأمـــر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأســـرة والمحيط الذي يعيش فيه كل فرد كان في الشـــباب أجود منه عند الكبار، وأن السن لا دخل له في أداء هذه الشـــعيرة. ومن شـــبَّ على شيءٍ شاب عليه.

٤ – برُّ الوالدين يبدأ مع الإنســـان من صِغَره؛ وهو تدريب للمســـتقبل. والقرب منهم يُعِين الأبناء والبنـــات على البـــر في المســـتقبل، وعكس ذلك صحيح؛ إذ كيف يَبَرُّ والديه من كان بعيداً عنهم في صغره وشبابه ونشاطه؟

٥ – أن القراءة والتَزَوُّد من الثقافة يحتاجهما المرء كحاجتـــه للماء والغذاء، ثم إنها قناعات تنمو مع الفرد وتســـتمر بناءً على الخبرة والإحســـاس بالأهمية والتَلَذُّذ بثمارها؛ ولن يقرأ رجل أو امرأة لم يشـــعرا بحاجتهما للقراءة ولـــم يتلذَّذا بثمارها فـــي صغرهما؛ وحينما يحاول أحدهم أن يبدأ في الكِبَر فسيفشل في أول خطوة، وسيرمي أول كتاب يمســـك به، ويغطيه الخمول والكســـل الذين شبَّ عليهما.

ولذلك صدق قتادة حين قال: إن النفوس تميل إلى الفترة والملل والخمول والكسل... والمؤمن حقاً هو الـمُتقوِّي. قال الله – تعالى –: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]؛ فالصلاة عونٌ للمســـلم في شؤونه كلِّها وعونٌ على بقية العبادات والقربات...

والمؤمن هو المتشـــدِّد؛ والمقصود: المتشدِّد في المحافظة على أعمال الخير الملزِمُ لنفسه بالمواصلة فيها وهي شدَّة محمودة لا تعني التضييق أو إيذاء النفس أو الآخرين. وعكســـها: الخمول والتساهل والاستجابة للوهم والشـــهوات الدينية؛ فهل نبادر للخيرات ونقتنع بأن خير البر عاجله.

وزارة الشؤون الإسلامية
والأوقاف والدعوة والإرشاد

محاضرة افتتاح الدورة

لفضيلة الشيخ
د. عبد السلام بن محمد الشويعر

الأستاذ في كلية الملك فهد الأمنية وفي المعهد العالي للقضاء بالرياض

بعنوان

مقدمات العلوم الشرعية

مغرب يوم الجمعة ١٤٣١/٧/٢٠هـ

جامع الراجحي ببريدة

مميزات الدورة

- يمنح المشاركون في الدورة شهادة حضور.
- يمنح المنتظمين في الدورة ولمن اجتاز المسابقة جوائز قيمة وهي كالتالي :
  ١- نظرة النعيم ٢-الشرح الممتع
  ٣-كتب قيمة أخرى ٤- عدد أجهزة لاب توب
- يوجد مكان مخصص لطالبات العلم والتسجيل لدى مشرفة الدورة في مصلى النساء .
- يوجد بوفيه مفتوح بين الدرسين.

للإستفسار : ٠٥٠٥١٥١٠٩٩

المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بحي الصفراء ببريدة
وتوعية الجاليات بحي الصفراء ببريدة

الدورة العلمية الصيفية ١٢

الأسبوع	اليوم	دروس الفجر		دروس العصر	
		الدرس الأول من ٤:٤٥ - ٥:٣٠	الدرس الثاني من ٥:٤٥ - ٦:٣٠	الدرس الأول من ٤:٤٥ - ٥:٣٠	الدرس الثاني من ٥:٤٥ - ٦:٣٠
الأسبوع الأول	السبت ٧/٢١ الأحد ٧/٢٢	شرح كتاب أصول التفسير لابن عثيمين لفضيلة الشيخ / عصام بن صالح العويد		أصول المعاملات المالية لفضيلة الشيخ الدكتور فهد بن خلف المطيري	
	الإثنين ٧/٢٣ الثلاثاء ٧/٢٤ الأربعاء ٧/٢٥	الأحاديث المنتقاة في أشراط الساعة الكبرى من السنة لفضيلة الشيخ / أحمد بن عبد الرحمن الزومان			
الأسبوع الثاني	السبت ٧/٢٨ الأحد ٧/٢٩	فقه النوازل الطبية لفضيلة الشيخ د./ صالح بن مقبل العصيمي		قواعد في الإيمان بالقضاء والقدر لفضيلة الشيخ د./ محمد بن عبد الله الخضيري	
	الإثنين ٧/٣٠ الثلاثاء ٨/١ الأربعاء ٨/٢	أحاديث الصيام من كتاب عمدة الأحكام للمقدسي لفضيلة الشيخ /صالح بن عبد الرحمن الخضيري		الأحاديث المتلعقة بالسفر لفضيلة الشيخ د./ سامي بن محمد الصقير	

مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية فرع القصيم
SULAIMAN BIN ABDUL AZIZ AL RAJHI CHARITABLE FOUNDATION

للمساهمة

حساب الزكاة
SA ٢٥٨٠٠٠٠ ١٩٢٦٠٨٠١٠٠٠٢٢٢٦

وقف النصرة
SA ٧٢٨٠٠٠٠ ١٦٢٦٠٨٠١٠٠٦٢٢٢٦

دعوة غير المسلمين
SA ٦٧٨٠٠٠٠ ١٦٢٦٠٨٠١٠٠٦٠٠٠٦